الحاجات

داركتاب للنشر والتوزيع



مسئول النشر

طارق رمضان

مدير التوزيع

عمر عبد السميع

مدير العلاقات

مها عادل

الطبعة الأولى
الكتاب: الحاجات
تأليف: أحمد صابر الزعبلاوي
تصنيف الكتاب: رواية
مصمم الغلاف: محمد سليمان
إخراج: أحمد عبد الرحمن
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٠٧٧٤ / ٢٠١٨
الترقيم الدولي: 5 - 36 - 6597 - 977 - 978

العنوان : ٤٧ تقاطع الفلكي مع محمد محمود - القاهرة - مصر

التليفون : ٠١٠٩٧٥٥٣٣٢٨

Email : darkitabone@gmail.com



رِوَايةٌ لُعْبَةٌ تنتهي بما لا يتجاوزُ وقتَ

بداياتٍ مولودةٍ بذيولٍ جيدة

أحمد صابر الزعبلاوي

قال لي:

أُكْتُبْ رواية،

/

فكَتَبْتُ!

عناوين كانت مقترحة للرواية مازال يمكن الاسترشاد بها:

١- مَهْبِلُ الشِّطْرَنج أو بطل شطرنج يبحث عن مهبل مناسب

١- الوَطْء

١- الفَقَط

١- رواية الواحد

لا لسببٍ إلا لأنني أخجل من إهداءٍ يستوجبُ مُهدًى إليه ويجهزه بِـ ولِما يسميه هدية؛

لذا- قلت:

لا تبدأِ الخطأَ حتى تُنهيَ الصواب.

لا تبدأِ الخطأَ

حتى

تُنهيَ الصواب

وماذا تُفيدُ الروايةُ في عالَمٍ، لا يُرْوَى إلا بالدَّمْ، والعَدَمْ

قبل ختام الجزء الأول من الشيء والواحد

أعرف من الحكايات ما يملأ أقفاصا تسد أي ثقب أسود بثقب أبيض منه. أحملها لا لحب السرد أو التسلية أو الوعْظة، لكنها تحملني فحسب..

مخطط الحاجات

(لا أعرف تحديدا. يصحو من النوم كل يوم، يفعل أشياء ويقول أخرى، ثم ..)

***

يحب النهر. اعتاد المشي بجانبه ليوهم نفسه أنه ليس وحيدا. ويوم سعده إذا عطست الشمس فانولد ظل يكمل مجموعة صغيرة لها حميميتها واعتبارها وسط الوحيدين وفرق ألعاب القوى أو السيرك التي تستولي تقليديا على مسارح كل شارع ينوي أن يزور أرضه قبل اختفاء يوم جديد قديم.

على يمينه الماء وبعض شجر. على يساره سيارات أطفال كبار ملونة بصافرات لا تتوقف عن الصراخ إلا ليصرخ قائدوها بأنفسهم في معارك شتى. الجو غبي كعادتهما معا، والوقت يلعب فيه النهار مع الليل.

شعر بملل لازمه منذ زمن، فأخرج من جيبه علكة لفها كتقليده في ورقة رُزنامة. أخذ العلكة وكاد يرمي الورقة. تذكر

أنه يُكْتب في هامشها السفلي بعض العبارات التي قد تحمل حكمة أو كلمة ملهمة أو حتى طرفة تخفف عنه وطأة الطريق المندعس،، وربما تقلل حنينه إلى الكلام، الذي كلما اشتد، عاد إلى استبضاع مقولات مأثورة عمن يحبهم ويقدرهم.

تناول العلكة وبدأ فمه يتذوقها، وبينما هو كذلك شرعت يده في استكشاف السر وفض مفاجأته. كان يقوم بأشياء مشابهة حينما يستشعر الكآبة تسفعه بذيلها من بعيد؛ يستعيد ذكريات، أو يحاول شغل نفسه بمتابعة ما يرد أمام عينيه بداعي تغذية بصره، وملء كيس الفراغ الصغير الذي ينتفخ معه تقليديا ليجاوز حجم المنطاد. فتح فمه يتمتم ببعض هذه السوابق استعدادا لما قد يلقاه مدونا في قعر ابنة الرزنامة، لعَلَّهُ فورا أو بعد ذلك، يفك معضلة تعصره أو يخفف ألما يوخزه بضمير. فتح الورقة على مهل لئلا يفسد الهدية، رغم سأمه. فتحها جزءا جزءا ببطء شديد، كأنه يداعب فستان عروسه ليلة الزفاف، ويتحسس تدشين حياة الزوجية بسراديبها كافة، واختبار السرير الدافيء بنعومة. فتحها، وما لبث أن ضرب بعينيه إلى أسفلها فما عاد يطيق أي انتظار آخر.. قرأ المكتوب:

«وقفة عيد الأضحى المبارك! كل عام والإخوة اليهود والمسيحيين والمسلمين بخير» ..

***

فجـأة – عـادةً – يعلـم أن شـخصا كان قـد طلـب صداقتـه عـبر الفيس بـوك، هـو الآن ميت.. يدخـل صفحتـه فيجـده شـابا متنـورا بحـق ومتسـاميًا، فيشـعر بالنـدم لأنـه لم يُجِبْـه قبـل فـوات. يحـاول التكفـير عـن ذنبـه. يـشرع في البحـث عـن عائلـة الصديـق المفـترض،، يجدهـا وينخـرط معهـم في ذكرياتـه، وذكرياتهـم. ويفكـر في التقـرب مـن صاحـب المـوت المجـاوز عـبر حياتـه التـي ظنهـا ممتـدة في شـقيقته – (الحبيبـة / الجميـل) حتـى يسـقط فعـلا..

***

هو، مازال يحلم ثم يتقلب فيصحو فزعا..

يحلـم أنـه يسـتقل طائـرة يختـار بهـا أعـلى وأبعـد نقطتـين في الكـون، ويحـاول أن يمـد بينهـما خطـا،، ينجـح في تحديـد النقطـة الأولى ويكابـد مـن أجـل تعيـين الثانيـة.. يـرى بعـض الأعـلام الصغـيرة الغامضـة وقـد تعلقـت في منتصـف الخـط / الحبـل، وكلـما نظـر إليهـا وضـع نفسـه مكانهـا فجـأة فأصابـه دوار، وشـعر أنـه يتهـاوى مـن أعـلى فأعـلى، فيقفـز فزعـا مـن نومـه. يشـعر أنـه تائـه ثـم يعـود إلى النـوم بـأسرع مـا صحـا..

(قِطَعٌ من زمانِ المكان تلعب في بذور الوقت.

الطريقُ الخطأ إلى الصواب،

الخطأ إلى الصواب وغيره:

فضلاتُ الخَلْق أم الخالق!!

تابع بعض سطور عُثِرَ عليها واضحة إلى حد ما – صدفة– في مفكرة الكاتب الضخمة، وقارئه..

كل شخص يود لو يعيش في زمان ومكان وظروف تريحه. أعتقد أنني أجد راحة ليست بقليلة – مع، وفي، وخارج وضد مفكرتي هذه، التي ما تفتأ تضيع مني!!

(١)

أَدْخَلَهَا بيده إلى سرير القبر كما اعتاد جَلْبَ النوم لها من فوق خزانة الملابس حين كان الأرق ثالثهما بعد الحب. أدخلها القبر فتذكر كيف عاشا سعيدَيْنِ معا، حقيقةً، ومكتفيَيْن، في حياةٍ لم يتوقعاها أو ظنها غيرُهما بكل هذا الشِّبَع النبيل، والسلام الأصيل. أدخلها القبر بعد أن رآها تتجهز للخروج. الدنيا مطاطٌ مشدودٌ بعنايةٍ، قال. أدخلها القبر فردد سرًّا: أأنا أيضا إلهٌ قصير، أُحْيِي وأميتُ على قدر.. أدخلها القبر، فرأى الظلامَ يُخلي مكانه للكفن، والعظامَ تحدد السقف والجدران، والرملَ ناعمًا بصدق، والمساحةَ ليست بسيئة، والهواءَ دافئا أو هادئا – لا يستطيع الجزم – رغم أن الجو شتاء، والنهار غريب، والليل يبدو بعيدًا، لكن قريب.

(٢)

أعاد ترتيب البيت. نقل مكتبه من غرفة على الأطراف إلى غرفة مائدة الطعام ذات الموقع الحيوي التي لم يكن يستخدمها، فهو إذا جاع - فتح البراد وتناول أكلا سريعا وظيفيا وفقط. رغب في أن يلي باب الشقة. منفذ الدخول الذي هو نقطة الخروج. خطوة أو خطوتين يدخل ومثلهما بالضبط يخرج. لمجرد أن فعل هذا ماتت غرفة المكتب الأولى بسهولة. موجودة وليست موجودة. لا فائدة منها، حتى لو استمرت أو باتت مخزنا لغير المستعمَلات. أيكون هو أيضا صار مجرد مخزن. قبو.. ياااااه. الموت يأتي بهذه البساطة، وكذلك الحياة.

- نعم، الناس طيبون. مجرد أن تكتب شيئا يبحثون له عن معنى حتى إن لم يكن.

(٣)

كيف أكتب رواية ليست رواية لكن رواية. مجردَ تنضيدٍ لُمبَعْثَـرَاتٍ وإنْ نَظَمَهَا سِلك حريري أو حديدي. أرجو أن تكون حقيقة حقيقية. طبيعة طبيعية. زرافة خيالية. واقعية. لا حقيقية لا طبيعية لا خيالية. أو بالأحرى ما بعد حقيقية ما بعد طبيعية ما بعد خيالية. أو حتى ما قبل ذلك كله. تعترف بلا خشية. تصدق بلا تحفظ. قول قائل فعلي وفعل فاعل مباشر. تعمل واجبها في الكاتب والقاريء والسامع، ولا يشوبُ تأثيرَها الذي لم أحدده حتى الآن أيُّ تقصير. لكن، ماذا لو اعتراها نقص؟ ما الذي سيضيرني مثلا أو يضيرها. إذا كانت انعكاسا لي فالنقص سَمْتْ. وإذا لم تكن أي ظل لأدنى انعكاس فالنقص ليس دائما عيبا خاصة لو كان غير مُتَعَمَّد. حتى لو كان متعمدا، فهل تَعَمُّدُ الكمالِ ضمانٌ لبُلُوغِه. هل تَقَصُّدُ أي شيء حافظٌ مِنْ إفلاتِه أو فَوَاتِه. أعتقد الآن في أنه آن الأوان.

(المهم شبكة العلاقات والصراع الحامي طبعا !!)

الحكايات تنتهي. لا، لا تنتهي. تختفي. لا، لا تختفي. نحكي أم نعيش. ولِمَ شيءٌ مقابل شيء؟

إذن، وبعد كل ما حصل، لم ينتبه جيمس أنه يكتب، إلا بعد أن قفزت القطة على الكيبورد فضغطت كم زِرٍّ معًا لا يدري لكن النتيجة هي التي تهم. واو. أعجب بنفسه. وبالقدر ذاته انزعج من حركة القطة فارتعد لفكرة أن ربما لم يحفظ ما أدرك بعد أن كان يكتبه تقريبا منذ اليوم الثاني لفطامه، أو الأول على ميلاده؛ إذ الفترة السابقة على هذا ما انفكَّ يضرب أكباد الإبل والخيول والسماوات والأراضين في سبيل ثني أمه عن الإشاحة بثدييها..

أمي. صرخ فَحَبَا. وصل إلى سريرها وهي مسجاة في سلام أرعبه. يداها امتدتا إلى رصيفَي وجهه فهدأ. ثم، أفاق.

هل.... لا.

إنها مازالت....

هي....ءءء

أنا أعرف تماما وقادر على التحكم في كل شيء. إن ما حدث لا يعدو قَفَصَ حبكة جيدة قد تأتي مصادفة مع أي أحد.

ولكـن، لسـت أنـا. لسـت أنـا. هـاه. رددهـا بصـوت مرتجـف، رغـم طبقـات الثقـة التـي كانـت تَدْهُـنُ وجهـه الشـاحب.

سَـحَبَ نفسـا مـن صـدره الضـاري. كاد يحتـضر. شـغله أثـيرُ الوقـت، وأثـرُه. لا منطقيتُـه وسـيولتُه الفظـة، بـل وتلـذذُ الوقـت ذاتـه - في رأيـه - بالانفـلات. قـال أشربُ قهـوة. وأدخـن. قـام إلى المطبـخ الـذي صممـه ليكـون منفصـلا عـن بقيـة بيتـه. وجـد كل شيء في مكانـه إلا البـن. يـوووووه. فتـح الثلاجـة فتنـاول مشروبـا ليهـدئ مـن روعـه قليـلا. توتـر ثانيـة. طيـب، هـل سـأكمل؟ وكيـف. ربـما أكتفـي بـما فَعَلْـتْ. أريـد فعـلا أي نسـمة. أيـن أنـتِ يـا مَـن اسـمُكِ الراحـة، ههـهـه. سـخر باسـتخفاف ثقيـل تمامـا. جـرس البـاب يحمـل دائـما لـه قلقـا إضافيـا. فاتـورة الكتـب. أنـا مِـنْ دار سـعادة للنـشر والتوزيـع. المبلـغ: ألفـان فحسـب. دخـل ليحضر مـا سـيدفع فكـان أن نـسي مـكان الفلـوس، ومـا سـيفعله بهـا فيـما بعـد. جـرس البـاب ثانيـة. البـاب مفتـوح، منـدوب دار سـعادة وراءه أوردرات أخـرى، ولم توصـه أمـه عـلى السـيد جيمـس وحـده. ولا حتـى أبـوه طبعـا.

الحاجـات. أسـميها الحاجـات أم أتـرك الحاجـات تسـمي مولودهـا بمزاجهـا فهـذا حقهـا المكفـول بحسـب قوانـين لسـت أذكرهـا الآن. كان يحـث نفسـه عـلى الحديـث عاليـا رائحـا غاديـا ومنـدوب دار سـعادة متأفـف مـن الهبـل الـذي ليـس لـه فيـه مـن

أي ناقـة أو جمـل، هههـه. الأوردر حضرتـك. نعـم، آه، طبعـا طبعـا. هـل يمكـن أن تأخـذ جولـة في المنطقـة إلى أن أتصـل بـك ثانيـة حالما يتسنى لي حـل مشـكلة غبيـة لا أريـد أن أشـغل بالـك بهـا. المندوب في مصعد البناية يلعن اليوم الـذي بـدأ فيـه العمـلَ ويـومَ وُلِـدَ ويـومَ يُكْمِـلُ حَيًّـا..

جيمـس، تـرك البـاب مفتوحـا، وجلـس عـلى مهـل في مكانـه المعتـاد..

(٤)

أعلـن التليفزيـون الألمـاني صباح اليـوم وفـاتي أنـا لـودفيـج فـان بيتهوفـن إثـر صراع مـع الألم والوقـت والظـرف دام أكثـر مـن سبع وخمسـين سـنة.

يُذْكَـرُ أنَّ الموسيقيَّ العظيـم قـد تـوفي عـن سبعة وخمسـين عامـا قضاهـا كلهـا في خدمـة القضيـة التـي أوراقهـا مازالـت منظـورة، ولم يتضـح بَعْـدُ مـا الـذي سيحدث في إرثـه مـن النوتـات والأفكار والمواقـف؛ فالفقيـد لم يتخـذ صاحبـةً تربـط بينهـما وثائـق معتمـدة، وبحسـب مكتـب الأمـن الداخـلي فهـو لم يَلِـدْ، كـما يـدور كلام آخر أنـه أيضـا لَمْ يُولَـدْ.

مـاذا، كيـف؟ هكـذا، ودون ذكـر أي شيء عـن الجنـازة. اتصـل جيمـس بصديقـه عـالم الرياضيـات ليحسـب معـه كـم مـن الوقـت يلـزم لتجهيـز الحاجـات. بـدأت الأمـور تَبِـين. الجنـازة عسـكرية. وسـوف تُنَظَّـمُ الفعاليـةُ سِرًّا، فكَـمٌّ الموتورين والحاقديـن والمنافقين

والجُهَّال ومَنْ يَعْلمون ومَنْ لا يعلمون – الذين ربما يحضرون أو لا يحضرون – قد يسبب كارثة في الخروج عما ينبغي للمقام.

لدى جيمس هواتف كثير من أصدقائه العاملين في وكالات الأنباء العالمية. أراد أن يتأكد الخبر من مصدره. وبالفعل، كان ما يخشاه.

(الأخيرة: عبارة في منتهى التقليدية والسذاجة، فليكن! ههههه)

(٥)

جلس ممسكا بمقلوب أفلاطون، وهي قطعة الكيك التي كان قد اخترعها مع حبيبته. ظل يجيل فيها عينا ويأخذ منها قضمة. هي مثلها مثل أي كيك آخر، أو أخرى، ههههه. لونُها سقراطيٌّ باهتٌ نسبيًّا، ومَلْمَسُها عجينيٌّ قليلا. أما مذاقها فما لَمْ يَسْمَعْهُ نَهِم، أو خَطَرَ على أَيِّ لُبّ..

الطعام مهما كان لذيذا هل يُرَقِّيهِ ذلك على غايته الوظيفية. تساءل هربا من مهمته الأساس.

جيمس، واحد ممكن كانوا في حرب الشائعات التي اشتعلت على الحدود بين أبوللو وديونيسوس. دوره انحسر في عَدِّ أتباع كل طرف ممن يرغبون في العبور إلى الطرف المقابل بأي شكل أو ثمن.. ليلةً، جاءته امرأة تبكي وبين ذراعيها طفل. سألها: أهو ابنك. قالت لا. إنما وجدته على حافة النهر بينا كنت أفكر في قتل الصراصير التي أَلَّفَتْ أوركسترا ما بعد

حداثـي في معـدتي. شَـكَّ جيمـس في اللغـة التـي تتحـدث بهـا. فهـي عـلى مـا رأى واحـدة عاديـة؛ فأنَّـى لهـا هـذا الوصـف بتلـك الدقـة والمبـاشرة. طالبهـا بجـواز سـفر فأخرجـت لـه ثديهـا. عَلِـمَ آنئـذ أن الليـل الطويـل يوشـك أن ينجلي. وأن ثقـة القـادة فيـه عـلى المحك، فيـما إيمانـه بقدراتـه يراوغـه؛ بحيـث لم يعـد يعـرف أصغـير هـو أم كبـير بحـق؟ أقـادرٌ عـلى تحمـل الحاجـات أم أن قـدره موضـوع بإحـكام في إصيـص، إذا تَرَكْتَـهُ يبـدو صُلْبًـا عنيـدًا عتيـدا عفيـا تليـدًا، وإذا رُحْـتَ كسرتَـهُ لَمْ يَفُـهْ.

الكتـاب الـذي تحملـه يداه سـقط بـين أقدامهـما الأربعـة في نقطة تصلـح لأن تكـون مركـزا رياضيـا حقيقيـا لمربـع وهمـي.. كان أن أرسـل أبوللـو عابداتـه لتعبئـة العقـل الواقـع في صدورهـن. أمـا ديونيسـوس، فلـم يكـن حتـى عـلى درايـة بخطـورة موقفـه؛ فبعض أجـزاء القلـب المتفـرق سـاخت في الأرض فأنبتـت أسـماءً وصفـاتٍ وحـالاتِ غَـرْسٍ حـار معهـا خـبراء البيولوجيـا والإيكولوجيـا حتـى امتـد صداهـا إلى معامـل الأيديولوجيـا، إلا أن الرحمـة أمـرت أبـواب تلـك المختـبرات بالتـزام مواعيـد قاسـية..

(٦)

الناس تحب الحكايات. وأنا لا. قال جيمس. ماذا أفعل إذن بتلك الرواية؟ أو بالأحرى: ماذا سيفعلون؟

أَعْمَلُ ما عَلَيَّ. أَكْتُبُ وأُفَكِّر. أُفَكِّرُ وأَكْتُب. أَعِيشُ ثم أَمُوت. ولْنَنْظُر.

هه. أقول لماذا يموت الإنسان؟ ناهيك بالطبع عن سؤال: لماذا يعيش..

نشرت مجموعة كلاسيفاي تَوًّا عرض عمل لتعيين مشرف على قسم الدُّمَى. اشترطت الشركة في المتقدم على الرابط المُرْفق أن يكون لديه خبرةٌ لا تقل عن اثنتين وتسعين سنة في تنسيق الأحداث؛ لذا، يفضل من كان محتلًّا منصب رئيس جمهورية أو على الأقل أمين عام للأمم المتحدة. المزايا: تأمين شامل. حياة خالدة. سيارة. طائرة. فيلا دوبلكس بسائر مستلزمات الرفاهية أعلى جبل المقطم أو كومباوند القرود أو مانهاتن

أو سـوهو حسـب تصنيفنـا لـك. ضـمان كامـل لوجـدان الأمـان الوظيفـي حـال وقـوع كارثـة اقتصاديـة أو عسـكرية أو ثقافيـة أو سياسـية أو عاطفيـة أو تفـشي وبـاء عالمـي..

قـرر جيمـس خـوض التجربـة. جهـز ملفاتـه وتـوكل عـلى الله. ثـم اتصـل بصديقـه عـالم الرياضيـات الـذي ينتظـر جائـزة العـام منـذ قرنـين ليحسـب لـه احتـمالات القبـول والرفـض. ولمـا جـاءت سـاعة الحسـم، اتصلـت بـه المجموعـة لإجـراء مقابلـة. وهـو مـا لم يكـن قـد وضعـه في اعتبـاره قـط.

اسمي: ...

ما سألناك!

بدايـة مربكـة. طيـب. فلأسـكت حتـى يطلبـوا شـيئا. قاعـة دوارة مبطنـة بحواجـز صـوت. عـلى جدرانهـا عُلِّقَـتْ تماثيـلُ الإيطـالي جيوفـاني لورينـزو بيرنينـي فنـان القـرن السـابع عـشر الـذي خَلَّـقَ أسـلوبَ البـاروك في النحـت وهـو مَـنْ وُصِـفَ بـأن منزلتـه تـوازي شكسـبير وكلَّ مـا يمثلـه في فضـاء الدرامـا.

المهـم، أن الجالـس في الوسـط يرتـدي عبـاءة تعـج بنقـوش مدببـة ومنحنيـة. لم يشـغل بالـه بهـا. مـا ركـز عليـه طريقـة اعتـلاء العـرش، وريـش النعـام الـذي يـؤدي في الأفـق دورا مروحيـا..

بالعودة إلى الجالس في الوسط، نجد خلفه صورة «سيلفي» يظهر فيها ملاكه الحارس - بحسب مصدر رفض الكشف عن هويته. أما العباءة فلها جيوب فضية: كلما خلت امتلأت. وإذا امتلأت قالت هل من كل مزيد!

وجد جيمس كل هذه المعلومات - وسواها - وكأنها تُقذف في رأسه رغم أن لم يلج ذاك المكان فيما مضى حسب ما يتيقن تقريبا. ومع هذا أيضا، لم يكن واثقا في قدرته على مواجهة.

أُقْعُد حيثما انتهى بك المجلس. قال الذي يبدو أنه الرجل الكبير..

جيمس «متوجسا» - اقترب واستقر.

* تعرف طبعا ما الذي سنُعْطِيكَه، هاه، ماذا لنا في المقابل منك؟ ابتسم من داخل العباءة.

- كان لديَّ فراغ عجيب حِرْتُ كثيرا في ملئه، إلى أن صادفت عرضكم فقادني شعور ببعض أمل. تردد جيمس وهو يبحث بانقطاع رغبة فيما يقول.

(٧)

خلفت الحرب مزيدا من ضحايا لم يشاركوا فيها أصلا. بَلْهَ من شاركوا وندموا، فضلا عمن شاركوا ولم تكن لهم فرصة لعض الأنامل أو عد القنابل!!

حكى صديق موسيقي مرة أن كان في النية تنظيم حفل يرفه عن الجنود. وعلى الهامش سيُختار أفضلُ عازف بين الحضور، وأفضلُ استعداد لتلقي دروس موسيقى مجانية. انتشر الخبر أسرع من أي قذيفة فجائية... كلهم يريدون الحفل، من سيبقى معي. قالت الحرب.

باقَ النفيرُ فبرز كثيرون كسيرون. الجمعة كانت للحفل، أما الخصوم لَمَّا تناهى إليهم الصوت ظنوا على الأبواب معركة. فضربوا. القاعة الرملية التي بلا حوائط أو مقاعد باتت خاوية على عروشها، إلا أن الموسيقي النبيل ظل يشعر

بِهَبَّات من البَرَد تخرق وصلات النيران التي تعتادها النفوس في مثل هذه الأنواء.

أتكون تلك أرواحهم. قال الموسيقي وهو يسير مع ظلال كثيفة يكشفها جيدا ليل دامس مغموس في دخان وغيوم. ظلال وليست أشباحا. شبه أطياف. فهم الرسالة أن من واجبه تطوير آلية تدخل بها الموسيقى في عالمِ مَنْ لا جَسَدَ لَه. اتخذ ساترا، وبدأ يعمل تحت القصف. الجو ملائم، وكل شيء تام، ولا ينقصه سوى تنظيم الأرواح أمامه، إذ بدا له أن ربما كان عددها قد تخطى كثيرا عتبات أجسادها.

(٨)

لقد خلقت في العالم الخطأ. أو أنا الخلق الخطأ! أو طبعا كلانا الخطأ.. نعم. هذا حل مُرضٍ تماما لما يحدث. الواضح أنني لن أنتهي من نهر اللذة إلا أن ينتهي هو أولًا. قال جيمس وهو يزيد في الشراب أكثر مما اعتاد. هذا الماء السحري، له القدرة على إذابة كل الحواجز والعوائق والحدود والعِلل! بطبيعتي أمتلك تلك القدرة على رؤية الحاجات عارية كما بدأت أو على أصل ما هي في كل وقت وفي كل مكان. لدي كذلك القدرة على ربط المتناثرات بل نكز الخفايا حتى تكشف عن ساقيها المُشْعِرَتَيْن فأميز جيدا بين ولد الغنم وولد الله، فما بالك بما تفعله الخمر معي. خمر.. من أين جئتَ بتلك القسوة، إنها جمر، يقلب في الجوف كل أمر، ويعدل المائل وينضج الصغير على حجارة القصر.. ههه، ألم أقل إنها تعمل. وبإخلاص، هههههه.

أسند جيمس رأسه إلى حائط، وعقد يديه على صدره. تنهد وهو يتردد ويترصَّد ذكرى كلارا الحادة. آه. البرد لا يرحم. والقلب لا ينسى، ووسط كل ما أنا فيه، يحلو لطيفها العبثُ الأبيضُ - الذي يلون كل الأشياء حولي بما يشبهها، ولا يكاد يصيب من أثرها؛ رغم كل تلك السطوة المتغلغلة.

(٩)

لا أتوقع، بل بالأحرى، لا يتوقع أحد أن يرى نفسه مُشَرَّحَةً على طاولة هذه الرواية. بل قد لا يرى نفسه أصلا، بل ربما لا يرى! ما أضمنه أن تكون مرآة صادقة لعبث العالم الفوضوي، وحكمة عادلة تتقافز تَرَاوُحًا بين أكداس الظلم المأفونة. هذا بالطبع لا علاقة له بأن المرآة مهما كانت صادقة فهي لا تعكس غير صورة، إلا إذا كانوا اخترعوا مرآة ترى الأصل وتستنسخه. وإذا كان، كن مدركا أن الأصل هو الشيء الأول والأخير من نفسه. كما أن هذا لا علاقة له كذلك بدرجة عدل أي حكمة – هي فحسب: حكمة، لِمَ زج بها الكاتب إلى مأساة تحاول هي ذاتها أن تلطف من حرارة دموعها. نعم، أوليست متاهة حقيقية؛ هازلة وقاسية – أن تتحدث في الأصل عن:

«حكمة» ثم «عادلة» أو حتى عاقلة!! ههههه

إنـه عـالَمٌ واحـد. لا. كـذب مـن قـال ذلـك. هنـا عـالم وهنـاك عـالم. بـل هنـا عـوالم وهنـاك عـوالم. كل واحـد عـالم. كل شيء عـالم. كل فكـرة عـالم. كل شـعور عـالم. كل حالـة عـالم. بعـد ذلـك إذا تتجمـع هـذه العنـاصرُ العـوالمُ صـارت خلقـا آخـر لعـوالم أخـرى تمامـا. مـا تـراه ليس مـا تـراه. مـا تعيشـه ربـما. مـا تسـمعه ليـس مـا تسـمعه. مـا تحسـه ليـس كذلـك. الروايـة أم العيـش!

أيـن الحقيقـة وأيـن الوهـم أو الخيـال؟ الثقـة هـي مـا يصنـع ذلـك أم الادعـاء. الشـك أم اليقـين. المحاولـة والسـعي الجـاد أم الصدفـة. النظـام أم الفـوضى. الترتيـب والمنطـق أم العشـوائية واللامنطـق!!

المـادة هـل هـي مـا تبـدو عليـه أم مـا أُبْدِيـه لهـا ومنهـا وفيهـا؟ الـروح والنفـس والجسـد. هـل ثمـة تقسـيماتٌ أخـرى. وهـل تلـك تزيـد الكيـان ثـراءً أم فقـرا. عمقـا أم تشـتتا. كثـرةُ الحاجـات تُفاقِـمُ التنـازعَ أم تُقللـه.

الإنسـان هـل هـو إنسـان بحـق أم حيـوان أم جمـاد أم أدنـى أم أعـلى. السـؤال فاتـح أم غالـق. الجـواب راحـة أم تعـب. الرحلـة أم الراحـل. تَصِـلُ، تتعثـر أم تَعْـبُر. جَـوَازٌ أم مَجَـاز؟ ولِمَ أَوْ. الحيـاة حيـاة أم مـوت. المـوت مـوت أم حيـاة. الـكل أو الجـزء. الحركـة أم السـكون. التحـول والصـيرورة أم الثبـات والاسـتقرار. الحـب فعـلًا أَمْ كيميـاء. الـضرورة أَم الرغبـة أَم المتـاح أَو الموجـود أو المعـدوم!!

(١٠)

الوصف. اللغة، لاسيما الألفاظ ومعجمها. الحدث الدراما المكان الزمان الشخصيات، الوحدة. السرد والفرد والحرد والجرد، وكل ما لا ينفع بالطبع في الحر ولا في البرد، ههههه. ماذا أنسى أيضا من مقادير الرواية المطبوخة. تاريخ، جغرافيا، أساطير، رموز، مشاعر،.. لا أَعِدُ أن روايتي ستمنح النكهة المتوقعة. قد لا تؤكَل، بل ربما لا يُنظر إليها من البداية. وقد لا تُهضَم إذا أُكِلَت. الكلام كلام. واللغة لغة. والفكر فكر، والحدث حدث. هل بيد كل الألسن أن تعبر حقيقة عن كلمة «آه» التي يقولها المتوجع بعد أن يشعر أَلَمًا بضمير أو عَرَضًا. الحب: كيف ستكتبه أو تكتب عنه. السعادة، الفرح، الحقيقة، الكره، الظلم، الوحدة، الوحشة، الأنس، كل هذا وأكثر يُخْرِجُ لسانَه لكل لسانٍ ينبري ليَخْرُجَ من بين فكين أو أطراف أصابع سابك الذهب.

كل راوٍ يباهي نفسه والدنيا تِبَاعًا بما روى. نعم. وبعد.

تكتب رواية كي تقول ماذا حدث وقيل وأين ومتى وكيف ولماذا؟ مَنْ قتل مَنْ، ومن أَحَبَّ من، ومن كره ومن ظلم ومن تلصص على من ومن خان من، ومن نام مع من، ومن سافر إلى كذا، ومن التقى فلانًا، ومن حلم بمن وماذا؟ - (هذا طبعًا مع اتفاقنا أنَّ اللغة جَوَازٌ ومَجَازٌ ولا لُغَة).

تسمع عن رواية، تقرأ رواية، حتى لو هِمْت بها فترة؛ ماذا سيحدث تاليًا. يقولون تشكل وعيك، وجدانك، لبنة في كيانك يا رجل، واعيًا بها أو لاواعيا كنت، فهي هكذا أو هكذا تكون. موافق. هنيئا لك. ولكن مازلت لم تجب عن: وبعد؟! يقول الراوي والناقد إنها تخطفك، تذهب بك وتجيء، تضيف وتحذف وتفعل وتتستر وتتغلغل وتفسِّر وتُحسِّر وتُيَسِّر وتُعَسِّر وتُكَسِّر وربما تزلزل. تجعلك تعيش الحالة وتنقل إليك عالما حيا أمامك تحيا معه وفيه وربما به. الوصف والتفاصيل والخيوط والخطوط والعوالق والمشانق والشراشف. الأسلوب والبناء وعناصر العناصر وعوامل العوامل ما ظهر منها وما بطن. أعتقد أنه مازال نقص ما. لا يقنعني هذا الكلام فيما أعرف وأستشعر. إنني أكتب وأقرأ وكل فعل منهما يبدو مكتملا في ذاته أو متكاملا مع غيره أو مستحثا لما يليه؛ في وقتٍ وظرفٍ ووضعٍ وموقفٍ ووَقْعٍ وواقع. نعم، هو ليس

لانهائيا وإن كان غير معروف تحديدا معادلتُه وعملُه: كيف وأين ومتى ولماذا ومن وما وهل؟ ..

الأغرب أن من كتبوا ذاتهم لم يشفع لهم في ذواتِهم ما فعلتْه ذواتُهم. أُحِبُّ نيتشه بالطبع، لكنه حين كتب «إنساني مفرط في إنسانيته» و«هكذا تكلم زرادشت» وغيرها، لم يحمه كل ذلك من الألم والوحدة والوحشة بل وكما كتبوا : حواف الجنون. شوبنهاور كذلك خاصة في «العالم إرادة وتمثلا»، هيمنجواي، سالينجر، دوستويفسكي، وجيمس جويس، ونجيب محفوظ، وكاواباتا وماركيز ويوسا، وخوان مياس، وغيرهم كثيرون من الروائيين وكتاب السيناريو الذين أحبهم ويحبونني، كلهم كلهم، إما مرضوا أو انتحروا أو انعزلوا أو ماتوا عادة دائما أو أو أو أو. لا تصدق إذن ما يقال عن الاستشفاء بالكتابة ونجاعة الحروف فيما تخفق الأدوية!!

يقول الرواية تجعلك تعيش حيوات ترغبها وتفتقدها وتحلم بها أو لا تعلمها. وهل أنت عشت حياتك أنت. يرد: لهذا أقرأ وأكتب. لهذا ولذاك، ووووو.. طيب!!! وإذا كان أصحابها لم يعيشوها، أو هم الذين عاشوها فعلا ووجدانا، ماذا تعرف عنها يا مسكين؛ استقراءات بذيول جيدة، وتاريخ بلا جغرافيا الزمان. تكهنات وحسب؟!!

حتى ما يقال إن الروايات كعمل فني تصير العالم أجمل وأكثر احتمالا وووووووو- ماذا يعلو بها عن النسيان وعدم الاكتراث. أو الخمر، أو المخدرات، أو الحب أو الجنس أو الانغماس في أي شيء آخر.. يطلع لك ناقد يسبك إذا قلت هذا لسبب بسيط هو أنك أوقفت حاله بذلك بل أنهيت لقمة عيش كثيرين؛ كتاب وصحفيين وروائيين ونقاد وناشرين وموزعين، ودعاية، ومنظمي مناسبات، ومُرَوِّجِي بَظْر الشهوات الاحتفالية..

ههه، أنا نفسي كنتُ بين حَدَّيْنِ حادَّيْنِ بقسوةٍ لا تحتملها بِنْيَتِي الخليقة؛ إما لا أكتب الرواية قَطْعًا، وإما أن أظل أكتبها أبدًا..

عادتي صغيرا، أنني أحببت كثيرا فقرة الساحر. أي ساحر. الرجل الذي يحقق ما يريد وما هو غير متوقع بحركة خفيفة ساحرة بحق وبلا عناء. ليتني كنت ساحرا. ليت الكتابة بلا عناء..

كذلك، لا أحب ما يحدث، فالواحدة لا تقرأ بنفسها، لكن بترشيح وتزكية وإعلان وتواطؤ على أن الرواية تحفة المتاحف وجميلة الجميلات، فتقول القارئة الجميلة: إذن فالجميلة آتية!!!!

الكتابة اختبارٌ موضوعٌ سلفًا ومصححٌ سابقا، وما عليك سوى إجابة المتوقع والبلاء المنتظر. بنيةٌ كنظام العالم لها آلياتها العاملة وعناصرها الأساس والمساعدة، الفاعلة والباطلة، الشاغلة والمشغولة، ههه، وتلك الباعثة على الاتساق بل والانسياق والانسحاق بدعوى هذا الاتساق ذي الرؤية الجامدة على قالب وقلب وعقل مُتَوَقعٍ مُنْتَظَرٍ ومتفقٍ عليه ومَرْضِيٍّ عليه وعنه ومَدْعُوٍّ إليه ومحتفًى به. الخطوات جاهزة، والحركة مستمرة. حتى ما يسمى بقفزات الإبداع - كلها تدور في سلك واحد أو أسلاك واحدة!!! اذهب مثلا إلى جائزة؛ هي تضع الشروط، وأنت تطأطيء للمجد والفلوس. تمام. اذهب مثلا إلى من يقولون لك اكتب حتى لا ننسى - وهل هذه الكتابة المعروفة بالرواية حقيقة تحفظ من النسيان والذهاب في الأرض مع كل ما يذهب ومن ينسرب. يقول انظر لما ترك الفراعنة، الأشوريون، البابليون، السومريون، الأكاديون، الفينيقيون، الإغريق، وكذا وكذا. نعم. ماذا؟ .. هل ما أقرؤه فعلا ما حدث. كيف، هه. النقص بادٍ في أي محاولة للنقل المتطابق. النزاع الأبدي بين الذاتية والموضوعية. ما تَطْبَعُهُ وما يَنْطَبِعُ فيك ويَطْبَعُك.

الرواية يقولون تعطي تجربة، تمنح نماذج وحلولا وأسئلة وإجابات ونوافذ وأبوابًا ودروبًا ومسالك ومسارب وأمثلة

وأنماطا لتكون جاهزة حين الحاجة إلى استدعائها. ولِمَ؟؟؟!!!!

الرواية يقولون هذا زمنها، وهي قادرة على استيعاب كل الأشياء والقوالب والحاجات. لماذا هي أكثر انتشارا الآن من الشعر والمسرح، والسينما أحيانا، ومن أشكال فنية أخرى؟ ..

الرواية هكذا توفر لرواد المقاهي والمجالس والمواقف حتى حكايات مناسبة لحكايات أخرى، ولْنَتْرِكِ الحياة «الحياة» إذن. آه هي تنقل، ولكن ألا تشوه وتوهم وتنكص عن الواقع والحقيقة؟!

يقول يكفيك كلمة ملهمة وجملة رائعة وحدث محفز. طيب، وهل يكفي هذا فعلا ويستحق كل ذلك الجهد. هذا الإلهام ما أكثره بين الفطريين ومن لم يتعلموا ويتثقفوا فضلا عما تضطرم به الطبيعة أصلًا والكون سجيةً والكائنات على تنوعها والفكر على أوجهه والفن على سحره.

***

لا أحب أن أصل إلى نقطة ما الذي فعلته أعظم وأكمل وأفضل الروايات في هذا العالم وللعالم؟ فلهذا حديث آخر. أما لماذا أخوض في ذلك وأنا أؤلف روايتي، فأنا حر. وببساطة،، لا أعرف.

***

(١١)

تُوُفِّيتُ في يوم كان أغرب من سائر الأيام التي عشتها. إحساسي به لم يختلف عن سابقه وفي الوقت ذاته لا مثيل له. كنت مستعدا منذ ولادتي لهذا اليوم. تجهزتُ للرحيل بكامل هيئتي. أخذتُ وقتا طويلا في اختيار ملابسي الداخلية ولا أعلم لماذا.

أعتقد أن أكثر ما افتقدته كان صديقي البُرص الذي يعيش معي في البيت لكن ليس مثلي على المقاعد وإنما على الحوائط والأشياء الأخرى. كذلك تذكرت حلمي القديم بإنشاء مكتبة لإعارة المؤلفات الموسيقية مجانا، والذي اكتشفت أن التكنولوجيا قضت عليه قَطْعًا.

قليل من الخمر يفرح قلب الإنسان. لكن لِمَ. لا أحد حزن علي. ولا تَذَكَّر. عاديٌّ جدا. لا يهمني. كما لم يحضر أحد جنازة لم تُقَم. ولا عزاء.

إبليس، يـا صاحبـي الغريـب، حقـق لي رجـاء أخـيرا بعـد كل مـا تفضلـت مـن كـرم بـذوق الداهيـة اللطيـف. كنـتُ أوصيـتُ زوجتـي إذا مـتُّ فلتحرقـي جثتـي وتجمعـي مـا تبقـى مـن رمـاد لتفرقيـه في طريـق لا تعرفينـه - تسـيرين فيـه تائهـة بسـيارتك الجميلـة يـا حبيبتـي. قالـت: لا تقـل ذلـك. كيـف أفعـل. لا. لـن تمـوت. أنـا التـي سـتموت.

أرجوك يا صديقي. أرجوك.

(١٢)

يَرَى. لا يَرى. يَرَى. لا يَرى. يرى!

واضحٌ طبعًا. أولًا هو عاديٌّ في سيره تمامًا إلا أنه يُشعِرك بشيء ما. وجهٌ جميل، ملابس أنيقة، هالةٌ تحرسه وهو يمشي؛ رغم البادي أنه مَن يحرس رفيقه ويرصده بل يقوده.

الظلامُ حالٌّ صحيح لكنني أَرَى.

قَطَع المسافة بين شارعَي البستان وشامبليون كما لو يَحفظُ أشبار التحرير (أو يُحفِّظها لِعَيِّلٍ تائه)، وكأن ذرات التراب تحدق في حذائه بإشارات بينهم فقط. توجيهٌ من بعد. نفحة. كله ممكن. المسافة قليلة. الطريق قصير. وما ثار من أسئلة في رأسي عما رأيت كثير جدا. لِمَ؟

حـدثٌ عـاديٌّ تمامًـا. في يـد هـذا الولـد عصـا. لَمْ أوقـن أَهِـيَ البيضـاء في السـواد الـذي كان يحضننـا. أم عصـا ليسـت بيضـاء (أو ليسـت بيضـاء تمامـا أو ليسـت بهـذا الحـد).

المهـم. تتبعتـه وأنـا أسـتمر في طـرح أسـئلتي الجميلـة. سرتُ وراءهُ جيـدا ولم أصـل إلى أي شيء. تعثـرتُ قليـلا إذ لم أكـن أرى بطبيعتـي في النهـار فـما بالـك بالليـل يـا سـيدي. يعنـي. ظـل عقـلي يقـودني وراءهُ. ولم أصـل لـشيء.

تركتُـه يسـير ومـن معـه ويقـودهُ ويكمـلُ في أَلَـق، وعـدتُ أنـا بعـد ملـل غريـب طغـى عـلى مـا سـبق مـن فضـول. رجعـت إلى السـور الحديـدي - الأخـضر. وضعـتُ يـدي عليـه. كان لتـوه مدهونًـا بطـلاء عجيـب. ولا شـمسَ هنـا. لعنـتُ كل شيء، كل شيء، ثـم - لا شيء.

انشـغلتُ في تنظيـف يـدي. أحـاول العبـور. صرخـت بصـوت ابـن كلـب:

فرااااغ. فراااغ. أُففففف

لكـن.. صحيـح. أكان هـذا الولـد الجميـل - ولـدا، وجميـلا، وأعمـى، هـاه. أيـن العـدل في هـذا مـا الحكمـة. مـا المعنـى مـا الغـرض مـا الداعـي؟

ماذا يحدث؟ ماذا أقول؟ ماذا أرى ماذا يرى ماذا ترى؟!!!!

ما هذا؟ أحسن. كدتُ أموت قبل الموعد بسبب سيارات غبية تستخدم «نهر» (الطريق) وكأنها «عَبَّارات» أو الجواري المُنشآت في البحر كالأعلام. يا سلام. يا سلااااااااااااام. فراغ. آه والله.

(١٣)

القـدر يلاعبنـي شـطرنج، وأنـا بالـكاد لا أعـرف سـوى أن الرقعـة أبيـض في أسـود، ثـم اكتشـفت لهـا ألوانـا أخـرى.

العـالم ليس عاقـلا. العـالم ليس مجنونا. العـالم؛ هو العالم: سياج شـائك يفصـل بـين مرآتين أو أكثر، يطلق الروايات مـن بين فخذيه ويظـل يقهقـه. كلـب ذيله أعـوج ويقنع المارين بأنه يُقَوْقِـيء. نعجة الحكيـم التـي تعـصر خمرا، وتتعجـب مـن أنها حتـى الآن لا تطير.

(أنت العالم

والعالم أنت

القلـق: هـو اندفاعـك في التسـلق – للتعلـق. اشـتباهك في كل شيء. اعتـمادك فـن المـوت لفهـم الحيـاة، واهتمامـك الجنـوني بالحاجـات والأشـياء والرغبـات والتصـور والصُّـوَر/ وأنـت لا تـبرح تسـأل يائسـا مـا الاهتـمام العاقـل إذن؟

حين يأتي الظلام؛ حتى الشعراء أنفسهم يتركبون من ذرات، ويُقْسِمُون: إن ما يكتبه الخالق في الصبح نقرؤه آخر النهار. أنا الإله الذي على القد.

درس إضافي:

فتح الجريدة وقرأ،،

لاجئون لكننا: وطن القصيدة؛ وطنُنا: هو الرواية. كانت مراكب تُقْلَبُ بنا في مياه البحر، والبحر قاسٍ كامرأةٍ لا تحب من قدم لها رأسه على طبق الفضة أو الذهب لا أتذكر. كانت بلاد ننشال من سجلاتها، وتضعنا على خوازيق حدودها؛ لتصنع منا لافتاتٍ مكتوبًا عليها :

إلى الخارج!

كانت بلادنا هي الثعبان الذي يُرْسَمُ ملتفا حول كأس الصيدليات، وكنا نحن السم. كانت أقدامنا تروح ناحية الشمال؛ لتسأل أيدينا أين استقر المقام بها. كان اتضاعنا منسأة الغيم، وحواف السماء، ودرس البيانو الذي توقف بسبب الحرب الصماءْ.

كان المغنون بيننا، ثم فقدوا النوتات التي جفف بها عرقَهم مَن احتاجوا إليها أكثر.

تغـيرت أولوياتنـا، حتـى أن أسـماءنا – لم تعـد كـما كانـت. صرنـا.. كالنمـل.. كالصراصـير، كنقـار الخشـب، تمامًـا كـ (العاصمـة) – عائمـين عـلى سـطح براميـل الرصـاص، طافـين فـوق تاريخنـا، ننظـر إلى أسـفل المـاء، وبالفعـل نجـد القشـة هنـا – في يـد الأخطبـوط/ الغـارق.

أغلق الجريدة،

واستأنف..

أحـبَّ بنتًـا. حمَلها عـلى ظهـرهْ. طـار بهـا العـالم، وعلِـق في الممـر الأبيض – ببِذْلَتِـه السـوداء. وجدهـم يلعبـون الدومينـو. يقـشرون البطاطس، ثـم يلقـون بالحبـة في سـلة المهمـلات.

صـوتُ تَوَجُّـعٍ أعـاده إلى بدايـة الممـر؛ ليصعـد سـلمًا آخـر ألوانـه باهتـة في البدايـة.

يقول الحكيم:

امـلأ كتابك بالصُّـوَر؛ لـذا جلبـتُ رَفَّـينِ من السـماء، ووضعت عليهـما الشـمس جيـدًا. طِـرتُ إلى حافـة الأرض، حططـتُ عـلى جبـل الجليـد، وكان الجليـد حزينـا واهيـا فواسـيتُه. وضعـتُ يـدي عـلى قمتـه فكـان رماديـا بامتيـاز .

سأل البنت ماذا تشرب قالت:

TEQUILA SUNRISE. غنى الـ **EAGLES**. تذكر حبه لـ **METALLICA** و **DREAM THEATER**، أغمض عينيه، ووضع إِصْبعَهُ في في العالم.

كان الله حليما بقلبه فودَعهُ – (أحمرَ كما كان) – ولم يتحول لقطعة فحمٍ سوى لسانه.

البنت يحملها وهي تحمل العالم والعالم يحمل أوزاره والليل يطاردهم وهم يعلمون تمامًا: أن ما يحدث حادث وأن الحادث ليس جديدًا وأن الجديدَ هُم والقديم هُم والممر الأبيض ليس بأبيض والبذلة السوداء كانوا يلبسونها جميعًا.

الدرس الثالث:

المتاح من العالم: أنك لست سوى مادة للأخبار. لا طعم لا لون لا رائحة.

المتاح من العالم أن تُمَثِّلَ اختراعَك العالَمَ كُلَّهُ وإعادةَ اكتشافِكَ المكشوفَ (ملحوظة فقط للحمير)، أو كما قال أخي نيتشه طيب الله جنونه، وجنوني.. كدخان الأسفلت وهم يزرعون به الطريق أنت! كثعبان كلما فح اهتزت شعرة من رأس الجو. كطابعة نسيها إله القطط تعمل منذ سنوات وأترعها بطيور الورق المرسوم عليها فئران الحي. كشمس تدعك ظهر السماء باللوفة والصابون أول انفساح الزمان عن

المكان. كجلمود صخر حطه السيل من علٍ ومازلت تقول يا سلام وكأنك تفاجأت فعلًا. ككلب كخنزير كذئب كزرافة كفراشة كذبابة كسمكة كما يحلو لك ما لم تكن نباتيًا. كاحتمال الفرض حين يجزم اليقين بتأكيد الواثق من شكه. كخبطة الشرطة ابنة الحرام في بلدٍ حرامٍ بعد منتصف الليل على باب كأنه يقرعه الحرامي الغشيم..

ضع ك ثم أكمل وحدك لأنني في الحقيقة كأنني سئمت كما كنت أعتقد كبداية..

(نعم، كتابي الجديد سأهديه إلى جيوردانو برونو؛ لأكافئه على عالمه العدم الجميل. فهو وإن أحرقته الكنيسة على رأيه - كان قد أفرط - برأيي - في تفاؤلهِ - بالتشاؤم.

الشارع تعبره وأنت تقول: ياه، هذا الظلام لماذا هو أسود هكذا. تستهزيء بأرجوحة الاختيار في الجبر؛ بل، وانزواء العلة قبل أن تخمد سيجارة !

ماذا، هه، كل هذا الـ . ليس في قلب الكلام - سوى كلام. وللأمانة: بعض البذر.

تسمع كيف يموت الصغير على الوردة؟ كيف يكون الصغير صغيرا وهو كبير؟ كيف انتحال الحياة الوحيدة صفة

حياة. هل لأنها هكذا أصبحت كذلك، أم لأننا كذلك أصبحنا فعلا -هكذا؟

سأل الوردة قبل الموت. سأل الوردة بعد الموت. سأل الموت: قال أُجَرِّب. أخذ التراب بين يديه، كأنه ابنه. أخذ ابنه وبين يديه: كان تراب. طار على محوره أعلى، وجد الظل؛ بشعر يقطر لَبَنًا وشموسا ونبيذا، جسد مثل بيضة نعام.

قال الناس تراني ذئبًا. قال الذئبُ الناسُ وعينُكْ. قال انتهى وقود العالم، قال العالم أنت بشَرْطْ. قال انتظر، أغلق أولا فمك، وافتح قلبك رغم الخوف - بالخارطة. عاد يغني، ويغني. يقبل بالأوقات بديلا للمعنى، والأشخاص بديلا - عادة - للحق. يذكر للتاريخ فضيلة فرض التحقق، وللفيزياء خلاص النية في الطبيعة ببداهة، وللرياضيات قميصها الهَفْهَاف الذي نرتديه! والفلسفة، ما الفلسفة؟ وعلبة العِلم الملون، والمجاهل في المعارف، وانتحاء الكل ببعض، ثم لا يذكر ما السر. هل كان يعرفه في البداية؟ أم لا يحتمل الوجود اثنين على نفس العدم.

النهر، لا ماء فيه. لا، هناك، انظر! أقول لك لا ماء. وأنا وأنا نقول هناك. فلنسأله، هل فيك ماء؛ أبِكَ ماء يعني؟ لا أنا لست من تقصدان. أنا مجرد ماء، لا نهر. من إذن. قلت الماء. وماذا أيضا ؟ لا الماء، ولا النهر ما تتقصَّدان. لا السائر

حتى ولا المسير. أنتما تريدان البحر، والبحر أيضا ليس هنا، فاسألا.

(رغم أني لا أستطيع سوى الصياح، جلستُ إلى عرش البيانو - أنقر الأبيض والأسود)

أعرف أني حين أموت؛ أكثر من واحد قليلا سيعرفون، وأقل من مثل ذلك - من سيحزن، وطبعا أقل كثيرا جدا من سيبكي. لكنني أحتاج الآن أقل من ذلك بكثير؛ من ينتبه، لو- عَرَضًا - أني مازلتُ معدودًا - في الأحياء.

الكل أولاد زِناء. حتى «زِناء» نفسه

(١٤)

من كتبها عبقري أبله بالتأكيد. سيقولون. من قرأها مجنون. ومن فهمها حَتْمًا مأفون!!

الناس لا تأتي إلا على السمعة. لا يهم. مَعِينٌ على النقص مَعْيُونٌ على التمام. والذي نفسي بيده؛ إنهم ليحسدونني على ما ليس لدي، عادة، وعلى ما ليس لي غيره. الطيبون أولاد الرائعين!!

يكفي أنني وأنا أكتب، ألتفت كل حين إلى شيء آخر قَطْعًا يكون كتابا أفضل أعجبني بحق، وغالبا: لا يكون رواية بالتأكيد يعني!!! لكن، احذر، روايتي هذه فيها عُصَارةُ الخَشْخَاش.

أنا في الحاجات بين أَفْنٍ، وتَحْيِين: نَقْصٍ وتَوْجِيب؛ أأحْتَلِبُها أَنَّى شئتُ كل وقت وفي غير حِينها مُسْتَخْرِجًا كل ما بالضَّرْعِ غَيْرَ وَادِعٍ فيه شيئًا، أم أَحْلُبُها في اليوم والليلة مرةً واحدة!

ألطريقة الوحيدة لتفادي الخطأ هي الجهل أو البَكَم. لا. أعتقد «الموت». يجوز. ألا رُبَّ موتٍ جَرَّ أخطاءً أفدحَ مِن حياة. قد. لكنْ يَظلُّ الموتُ الجوابَ الأفصحَ عن السؤالِ الأَعْوَص!

العَيِّنَة بَيِّنَة! الريموت، النظارة، روحي ونفسي.. يااااه... أين أنت يا كلارا - الوحيدة التي كانت تعثر عليهم جميعا في أي وقت وفي أي مكان ودون أدنى جهد.

صدقيني. كانت ستعجبك الرواية. وتضحكين كثيرا وأنت تقولين لي بعينيكِ: بيبي، أحبك.

هي تلك التي حكيت لك عن بدايتها وكنت ساعتها لا أعرف كيف سأبدأ وكيف ومتى أنتهي.

الفن ضرورة. ويا ليتني لو أعرف لماذا. الموسيقى ضرورة تماما. الشعر ضرورة خاصة وحادة جدا وناعمة. الرواية يقولون أيضا. يااااه. لِمَ كل هذه الضرورات؟ ألا تكفينا ضرورة الحياة وضرورة الموت. لاضرورتهما. الصحة المرض. ضرورة الوجود ضرورة العدم. ضرورة الحب ضرورة البغض. ضرورة الصوت ضرورة الصمت ضرورة العمل؟!!

آآآآآه. العمل.. لو ألغينا فكرة العمل ألم تكن ستُلغَى معها فكرة الظلم. نُلغِي بعدها إذن مَن يستغل من. آه. ولكن من

يستفيد ممن؟ لاااا. سنلغي الاستغلال لكن الفائدة ستعم. لا تَعُـمُّ فَحَسْبُ إلا إذا حددنا من يستفيد ممن لمن وفي سبيل ماذا؛ أي الاستفادة مشتركة بعدالة وقانون ومساواة حقة واضحة.

لا. مازلت غير مقتنع.

إذن يا ذكي ماذا نفعل؟

- هذا ليس شأني أصلا !

(١٥)

في وقـت مـا، ربـما الربيـع المقبـل - سـأكون قـادرا عـلى كتابـة سـينما كل الحاجـات والأشـياء بلقطـة واحـدة واسـعة لا تسـمح بأيـة تأويـلات سـوى نفسـها. أسـميها عـن الواحديـن الأكثـر مـن أن يُحْصَـوا في صـالات البنـوك، أو شـجرةُ الـكلاب الصغـيرة التـي تتـدلى مـن أثدائهـا أغصـانٌ تحتسي عَـرَق العابريـن - أو الأقـربُ ظِـلُّ ماكينـة النقانـق المفـرود عـلى ظهـر المخـرج المسـاعد.

نعـم سـتكون كتابتـي محـددة تمامـا ومبـاشرة ومختـصرة أحـاول بهـا معالجـة القصـور الشـديد لمؤسسـات الفهـم.

سينعم السـيناريو الأول بتأييـد الجماهـير اعتـمادا عـلى رصيـدي الصِّفْـرِي؛ لأنهـم بذلـك سـيكون لديهـم أمـلٌ أخـيرًا في أن يَـرَوْا أنفسَـهم - نائمـين..

أبـدأ بامـرأة تجلـس بسـاقَي مِقَـصٍّ تُقَطِّـعُ قلـوب الناظريـن باحـتراف. أنتقـلُ إلى امـرأة أخـرى تمسـك عـدة النجاريـن وتـدق

مسامير في الحائط الرابع. أقتحمُ المُشَاهِد بحركة لولبية تأتي بالكاميرا من خلفه ليجد صورته تُقَبِّل امرأة، وامرأة أخرى تبحث في جسده عن علامة استحقاقه ميراث العرش، وامرأة أخرى تماما تقلد ما سبق بما لا يُشعر أحدا بأن الأحداث لا تحدث - وامرأة أخرى جديدة تسجل التفاصيل في كراسة، وامرأة جديدة أخرى تضع يدها في جيب امرأة تضع يدها في جيب رجل - ثم رجل غريب بلا شارب يتجه إلى الكاميرا ويُلَوِّح لي ويقول:

أنا لن أُمَثِّل إلا بعد أن أستلم أجري كاملا عن كل قُبلةٍ بشكل منفرد. لن أكرر غلطتي وأتقاضى أموالا تقل كثيرا عن مجهودي الخرافي.

أنا رجل لي سمعتي في السوق وإن لم يعجبكم عندكم غيري مِمَّن يَرْضَوْنَ بأي ثَمَنٍ - للحب.

سارت بينهم وبجوار الكلبِ فتعالى الصفير بالغزل. ظلوا يتبادلون الإعجاب بهذا الحيوان العجيب. وملأها الغيظُ من أن أحدا لَمْ يلحظ فستانها الجديد ولا سِحْرَها الطافح - كما أن الكلب اندمج في اللعبة وأخذ يبادلهم التحية بإشارات الامتنان والغرور.

رن الهاتـف: أنـا لسـتُ موجـودةً الآن. أعتـذرُ بشـدة. رجـاءً تفضـل بـترك رسـالة.

أنـا.. أنـا أتصـل لأني لَمْ.. أنـا الآن.. أحـاول..ءء. كيـف حالـك. هـه. أنـا.. أنـا أتصـل لأعـرف كيف حالـك. أحلـم بـك. أشـعر أن شيئًا عَكَّرَ بعضَ وقتِك. هـل. هـل تنامـين جيدًا. هـل تأكلـين جيـدا؟ أتشـعرين بالـبرد؟ كيـف حالـك صحيـح هـاه؟! هـل.. ءءء .. أنـا..

صافرةٌ طويـــــــــــــــــلة.. الصوت ينقطع.

تعـودُ مـن رحلـة الخـارج. تُعلـق لوحـةً خاليـةً أخـرى عـلى الحائـط. تنظـر مـاذا يليـق بـأن يحبسـه هـذا الإطـار - وتنـام.

تصحـو. تفـرك عينيهـا. تشـعر برائحـة قلـم رصـاص ولَمْ تعـرفْ مِـن قبـلُ هـذه الرائحـة. يكتـب ويكتـب ثـم يتأمـل. رَمَـتْ نفسـها عليـه وكادت تقتلـه. بـدا كأنـه كان ينتظـر. ضَغَطَـتْ. لَمْ يَحْتمـل. تُعلـق لوحـةً خاليـةً أخـرى.

عـلى الحائـط. تنظـر. وتنـام. يكتـب: هـذا الفيلـم قـد يحتـوي عـلى أشـياء حـادة ربـما لا تناسـب بعـض المشـاهدين. تبـدأ اللقطـة.

يستمر صاحـب الرسـالة في التوسُّـل. يخـرج مـن الحـمام عاريًـا. تقـول ارتَـدِ ملابسَـكَ لنجلـس ونتكلـم في تفاصيـل الطـلاق. يرفـضُ أن يسـتمر. لا يذكـر أنهـما تزوجـا. يبكـي. يؤكـد أنـه لا

يبحث عن علاقة. تؤكد أنه قبَّلها. هي لا تعرف. هو مازال يحبها. اليأس يسحقه ولا يتوقفان..

تنام. تكتب كلارا في مفكرتها: ليس معقولا أبدا أننا كلما اختلفنا في أي شجار ثم أترك جيمس حينًا - أعود فأجده مشنوقا بحزام بل معلقًا في أي شيء يعلو. أووو؛ لن أمثل في فيلمِك. حبيبتي، أكلمكِ عن الحياة تقولين الفيلم! ما المانع؟ لا شيء - صدقيني، لا عليك. هل أسبب لك مشكلة؟! لا، كل الأمور بخير؛ فقط - لا تبالي.

يستمر جيمس ويقرأ طويلا من مفكرته: ما أتذكره أني سأظل أحبك. أعتقد أنكِ لن تتزوجي. أنا يقينًا لن أتزوج. وربما، لن نلتقي!

أنا: خالق وجودي - بتصرف - أشعر وكأنه كُتِبَ عَلَيَّ حُبُّ البعيدة العالية. الحبيبة السَّالِيَة. الوادعة بصخب لا ينطفيء. الصامتة حتى لو تكلمت وأسهبت في الضحك. الرقيقة الناعمة بعنف. السلام الذي يدغدغ الحرب بعنفٍ مخلص، وقلبٍ لا يشيخ أبدا. ووجه الله.

وراءَ تَينِك العينين. تقف، وأمامها كثير من الحشيشة والأمواج. فرصتُكَ الآن. إذا كنتَ تكره شيئًا بَدِّلْه. لكن سأبدلُهُ بشيءٍ آخر. مَن يضمن ألا أكرهَ ذلك فيما بعد.

يبدو أني سأترك هذا كله وأذهب لأتابع سلاحف البحر في موسم تزاوجها؛ حيث تلعب الأنثى مع أكثر من ذكر قبل أن تعشش. هل تُصَدِّق. رائع. سأقف هناك ولن أتألم. صِرْتُ خبيرًا. لَمْ أعد أخشى شيئًا إلا المرض. هل يمكن أن أقفز فوقَهْ. أختبر فقط شجاعتي. كما أحتاج التأكد من أن ذلكَ - كُلَّهُ - حقيقيٌّ، وليسَ:

DEMO

ليس هناك أجمل من قُبلة ونحن غَرْقَى، وعناقٍ في عُزلة. ليس هناكَ أجملُ من قبلةٍ ونحنُ غرقى، وعناقٍ - في عزلةٍ، أو عزلةٍ / في عناق. ثم يعود ليبكي..

أُحبكِ جدًّا. أم لا أحبكِ. لماذا تركتِ خدك على شفتيَّ حتى الآن؟

لِمَ لا تذهبين وحسبُ، كما ينبغي. لستُ سعيدا. صدقيني. وأظنكِ أنتِ كذلك..

أنا هنا، وأنا هناك. نحن الذين كثيرون جدًّا. نحن الذين قليلون جدًّا. نحن الذين ولسنا تمامًا. نحن الحاجة إلى معالجة الاغتراب. نحن حديقة الحيوان؛ ونحن كراسيُّ الحديقة ونحن الحارس النائم. ونحن مزرعة الأفيون. ونحن أعضاء التناسل. ونحن لا نعبأ بالحب إذا كان سائبًا. ونحن الزوجة المخدوعة

نجمة المسرح، والزوج المظلوم نجم السينما، والأبناء التائهون. ونحن أيام العطلات. ونحن أشياءٌ أخرى لن أذكرها.

أَكتبُ، أكتبُ، ويا ليتني لو أعرفُ لماذا؟ أُغَيِّرُ العالمَ بالقليل وبالكثير. يتغير العالمُ بالقليل وبالكثير. أنا أُغَيِّرُ هذا العالمَ بالكتابة، والعالمُ فعلًا ينتظرُ أن أغيرهُ طبعًا بالكتابة!!

الفلوسُ لَبُؤَةٌ؛ تُخفي سروالها الداخلي الأسودَ في فمي. الفلوس كَلْبُ الحقيقة، وتجربة الصعود إلى «زُحَل» – عاريَ المؤخِّرةْ.

أكتبُ، أكتبُ، ويا ليتني لو أعرفُ ماذا. أكتبُ، أكتبُ: يا ليتني أعرف ما أعرف. أكتب أكتب: ليت ما أعرف ما أعرف. أكتبُ أكتبُ، ويقولون جدارُ المنزل آيلٌ للسقوط الكبير!

أكتبُ عن سقوط الغبار إلى أعلى. أكتبُ ثم أقول لها: لو تقدرين انظري في عيني وابكي. أكتبُ: في انتظار الطريق إلى راحَتِي. أغني، وأصفق؛ أنا لست سعيدا مع أنني عزفت أحلى صولو في حفلي الأخير كعادتي. أنا لست سعيدًا يا ابن الـ.. لست سعيدًا. حتى لا يمكنني الصراخ أو البكاء. لا يمكنني أي شيء. لستُ سعيدًا ولا يمكنني أي شيء. لستُ سعيدًا ولا يمكنني، لماذا؟

ما الذي قد يكون قادرًا على أن ينال من الموسيقى، ويحطم أسطورة القُبُلاتِ المتتالية التي تفرضها المحبة على الواجين.

تعزف كتيبة ميتاليكا جيدًا بعد الخمسين وتنضبطُ بعض الوقت، لكنْ حينما رِبما - تحب العودة، و، تريدها - لا تستطيع !!

هناك وَتَرٌ عارٍ تمامًا. هناك الليلُ يَعَضُّ احتمالي. هناكَ هناكَ مازالَ، ومازال هنا يخبط رأسه. كيف الذي يحدث يحدث؟ ولماذا لا نبغي التوقف عن أذى الحياة بحكمة، ولماذا لا تأتي الحاجة على الدوام، على ما نرى - على ما نحب.

أقول افتقدتُ وجودي بشدة في فمِك، أفتقد شعرَكِ، صوتَكِ ووجهَكِ، ورائحتَكِ، وعينيكِ، وصمتَكِ. أفتقد رؤيتي في غرفتِك، وحكايتي قبل أن نحلم بالسرير، وحكايتي بعد الضجر، وكل شيء. كل شيء. أنا أحبكِ صدقيني. أفتقدك ولا شيء يعوض عنكِ مهما كان ولا أحد..

حين كنت أفتش في يديكِ عن الحياة، كنتُ أُقَلِّبُها فِي يدِي وأنا أُقَبِّلُها. لا تزيحي رأسك عن كتفي اللعين، ولا تزيحي رأسي العاقَّ عن فخذيكِ، ولا تزيحي عينيك اللتين أحبهما وكلٌّ منهما تبلعني على حدةٍ ومعًا؛ أفتقدك بشدة صدقيني، كما أنني بالفعل لست سعيدا يا حبيبتي.

بحثًا عن فراغ، يجوز. عن مكان أو امتلاء، بحثًا عن هذه الدنيا في الدنيا – رُبَمَا كنتُ راعيَ ضأنٍ لا يملك إلا نايًا وجده على شط واحة ثم جهد حتى تعلم كيف يمسكه جيدًا بَعد الإيقاع المتكرِّر.

ربما كنتُ راعي ضأن يذهب أول اليوم وحيدا مع القطيع؛ ليعود آخر اليوم وحيدا مع حزمة جرجير.

ربما كنتُ راعي ضأنٍ يُغَنِّي للشمس فتطلع للقمر فيستمر في الاستدارةِ لقوس قزح فينشط في تلوين السماءِ للنجوم فتأتي فورًا بصدق!

ربما كنت راعي ضأن غريب الأطوار فكان الشياهُ يحبونه ويُقَدِّرُونَ عدم تقليده لهم فأخلصوا لتنغيمة شفتيه ثُمَّ لَمْ يَنفروا من رائحته – بعد الموت.

بحثًا عن هذه الدنيا في الدنيا، ربَّما كنتُ لاعبَ جولف كان الجميع يشيد بمهارته؛ لكنهُ كان ممزقًا بين فتنة ساحة اللعِب والمياه التي يراها تجري أكثرَ مما يجب.

ربما في حياة أخرى؛ بحثًا عن دنيا في الدنيا – ربما كنتُ امرأة فأبحث عن معنى الرجل في الصوامع والمولات وفناجين القهوة والشاشات وكل ما هو زجاج لا ينكسر بسرعة!

ربما في حياة الحقيقة أرى الحقيقة. ربما في حياة الحياة أرى الحياة. ربما في ظروف أخرى أُغْمض عينِي للنهاية؛ لربما أرى الإنسان (أو أي شيء يعني).

كنتُ الذي كانَ يمكنُ أن يكونَ الذي فكان الذي والذي كانَ!

بحثًا عن قبو الخير في شارع اللذة، في شارع المتسكعين بالمَحافظ الهوائية، في شارع المعنى المؤدي إلى ما يؤدي. في شارع المقهى - أَنَجْلِسُ مثلما كنا نفعل في نفس المقاعد. أُمسكُ بالقلم الذي ليس في يدي، وأَزْحَفُ به على بطن الورقة؛ ربما حين أُدْفِئُها تَنْفَتِح.

هلَّا فعلنا كما فعلنا. نجلس في نفس الشارع نفس المقهى نفس المقاعد. نفس الذين كانوا حولنا. نفس الدخان نفس الكلام. نفس العيون التي تمتد إلى الصدور نفس الظلام. نفس رنات الهاتف نفس القلق. نفس الأكواب نفس الأطباق. نفس المشاكل العالقة نفس اللُّعَاب. نفس يدكِ الباردة حول نفس يدي المائتة. نفس ما كنا نشرب نفس ما كنتِ تأكلين. نفس جنازة الدخول نفس قُدَّاس الخروج. نفس الوقت نفس النقطة. نفس النشيج الذي كان في نفسٍ بعيدةٍ نفسٍ قريبة. نفس النقطة، نفس الوقت.

قال النادل: لَمْ يكونا كما ينبغي، ولم أرَ أحدا مثلهما. لم يتكلما في الحب أوالخوف. لم يتعلما تمضية الحلم بين الشجر، ولم يعرفا كيف يضعان الفم على الفم حتى المنام. ولم يريانِي شبحًا أو ملاكا أو طفلًا يحمل مصباح علاء الدين. كما لم يلصقا جسديهما بحجة البرد فِي عِزِّ الصيف. لَمْ أُصدق أنهما مازالا خجولين. أم لعلهما لا يعرفان!

ما حدث أن الذي حدث قد حدث. رَبَطَ رَأْسَهُ بذيلها،، و – بَكَى..

نظر إلى الشاشة خلفه فقالت له لاجئةٌ هذه البطاقاتُ الذكيةُ التي نأخذ بها حظنا. دخل الشاشة بعينيه فأصابه دوار البحر للمرة الأولى. هو سباح ماهر في قول الماء. رفع رأسه فارتطم السقف بسقف آخر. ذبح روحه فرجع إلى الراوية التي تعرف كل الحاجات. فَتَحَت الكتابَ ووَضَعَتْ فمَها على كلمةٍ لها أسنانٌ مقوسة للخارج. هذا أنت. لا شيء يُمْكِنُكَ فِعْلُهُ فهذا أوان الخسوف الكلي الذي كنتَ تهربُ منه. وما أنت إلا معدة مضطربة بأسى.

دخل إلى سينما الأحياء فلَقِيَهُ قاطعُ التذاكر بجثته كاملة. طلب أن يتأكد من وجود الشاشة البيضاء بيضاء، وأن يَضْمَنَ

له عدم إصابة الممثلين بالملل، وألا يحاولوا الخروج من المقاعد. الرد كان طبيعيا فعرج إلى مسرح في الجوار فلقي الجثةَ ذاتَها فطلب الطلبَ ذاتَه. الجثة تركت النافذة صاعدة إلى خشبة المسرح بين النص لِتُعَدِّلَ فيه ارتجالًا يليق بالجمهور الكريم. الرد كان أن الطَّيْفَ ظَلَّ قبل لقائهما يتردد حتى رأى فسند إليه ظهره وتابع. الموقف أنه الآن شيخ وهي في المحراب وهُمْ على سُلَّمِ المحيط والنارُ تبدو أمام المؤمن المُخْلِصِ أقربَ إليه مِنْ حَبْلِ الوريد..

قرأ فلم ينتبه. كتب فلم يَتَّزِن. أكل ولم يشبع طبعا كي تتم سذاجة ما يقول إنه يحسه. بحث عن نقطة مرجعية غيرها فوجدها فيها رغم أن قانونَه اللاقانونيَّ كُلُّهُ ثقوبٌ متمددة. عادت بظهرها إلى قلبها قليلا لِتُكْمِل. سقط إلهُهُ في حجرها. كادت تبكي. شرع في تحريك يده اليمنى ليحضنها. اليُسْرَى كانت تَشُدُّ خَطَّهُ بقلمٍ جَافٌّ. ساعتها، وقَبْلَهَا لَمَّا رأى عباءة الراوية تفرد جناحيه، عَرَفَ أن الطعام لا يستلزم مائدة، وأن البطاقاتِ الذكيةَ لها رصيد. ثُمَّ، لَمْ تُصَدِّق الراويةُ – طبعًا – الحلقةَ الأخيرةَ من بدايتها، وفَتَحَت بابَها على شَقَّةِ الإنسان الذي يؤكدُ أنهُ أفضلُ مِنَ القِطَّة. بَلْ ويشربُ – حين شاء – كُحُولِّيَّاتٍ – بلا ثمن!!

تعب؛ لكنه استمر..

فِعْـلُ الحيـاة: تحقيـقُ شَرْطِ الوجـود والإرادة. الإلـه ذاتـه لا يُمْكِنُـهُ تَغْيِـيرُ مَـا مَـضَى، وأنـا؛ سـأؤلفُ قصيـدةً عـن الإحسـاس عنـد غَـرْزِ الرمـح في خـاصرة المـوت؛ وأنـا أحضـن رأسـك بـين عينـيَّ وشـعرُكِ يُدْفِئُنِـي، فيـما تقولـينَ اخْـشَ عـلى نَفْسِـكَ مِـن نَفْسِـكَ يـا أنـا.

سأقاتلُ الأيـام حتـى آخـر رَجُـل، وسـأقفُ عـلى قلبـي لأصـل إليـكِ بحـق. وأقـولُ أرجوكـم، أرجوكـم لا تُفَجِّـرُوه.. أنـا هنـا لِعَزْلِـه عـن الرطوبـة، وهـو هنـاك ليتعـرَّفَ لِمَ مازالـت الكنائـس والمعابـد والمسـاجد متناثـرة..

عُـرِضَ عـلى اسـمِهِ صنـدوقٌ خشـبيٌ صغـير، فَتَحَـهُ فـإذا بسـنوات الحـرب تنتهـي بكلمـة واحـدة: الحمـدلله. هـل صحيـح أن العـالم فيـه روعـةٌ؛ رغـم الـرَّوْع؟!!

طَعْمُهَـا في دَمِـه، دَمْعُهـا في فمـه. وكُلُّ الأشـياء تبحـث عـن صوتهـا لِتُعَلِّـمَ الطريـق. هـي ربـما قـد تكـون شـجرة صَبَّـار، لا، بـل هـي الوصـف الحقيقـي لـكل تعبـير عـن الجوهـر إذا كان نبيـلًا فحسـب. تَسَـلَّق السـاعاتِ فوجدهـا تطبـخ الوقـت بـلا موقـد. جاءا، فمالا إلى ميناءٍ وسطَ اليابسـة المتسللة. سـألا عـن المركَـبِ المُقْبِـلِ مـن جهـة الله – فأشـار صبـي إلى ناحيـة الجبـل. قـالا وكيـف

ونحـن الآن لا نسـتطيع. رَدَّ الشـيخُ اليـوم يومكـما فـلا تُضَيِّعـاهُ في السـفر إلى جزيـرة القـش. بعـث الملـك إليهـما بـرأس الظالمـين في حـوض سـمك. نَظَـرَا، فـإذا بالمياه تحـت أقدامهـما. اسْـتَقَرَّا..

(حَمَلَهَـا فـوق رأسـه ولمـا تَعِـبَ أراحهـا عـلى ظهـره ثـم إلى صـدره ففـي فـراش قلبـه العـالي، وهـي تنفـخ فيـه مـن روحهـا ببـذخٍ حتـى يصـير روحـا تليـق بإخـلاص الأبـد.

وقَفَـا عـلى عَرَبَـةِ السـائر، وباعـا كُلَّ شيءٍ واشـترياهُ كـما يُحِبَّـانْ. وهمـا يرقصـانِ بوعـيٍ دافيءٍ، واللاوعـيُ هنـاااااااااااااااكْ – يُصَفِّـق..

بـدأ يشـعر بنفسـه يَتَلَـوَّى كطريـق المذبحـة في مدينـة الكائنـات، لكنـه رغـم ذلـك اسـتمر في الكتابـة..

أنـا الحـاضر في كل شيء، وكل شيء في الحـاضر، وأنـتَ لسـت سـوى أنـت فحسـب. أَحْلُـمُ بخَلْـق حيـاة الحيـاة، بكتابـة كِتَـاب الكُتُـب، وتأليـفِ موسـيقى الموسـيقى، وأنـتَ تسـتدعي الجُهْـدَ الحـافيَ عَـبْرَ الزَّمَـنْ.

ولَمَّا استشعر أنَّ الدُّمْيَةَ تتململ في خيوطها غَيَّرَ الحديث:

كُلُّ صفعـة عـلى وجـه فقـير في الأرض أُحِسُّـها صفعـةً عـلى وجـه الإلـه. أليس كل شيء منطقيا جِدًّا أمامك يـا ولـد. صَدَّقْـتَ أنـكَ جيـدٌ بـما فيـه الكفايـةُ فريـدٌ وَحْـدَكَ وأنـتَ بضعـةٌ مِنْـكَ

أصلًا. جئتَ عاريًا، وللمفارقة، تعلم أنْ ستغادر أيضًا عاريا بكساء صدقة. ورغم ذلك، لا تفتأ تُكَدِّسُ الأغطية في خزانة الملابس. الأحياء: لا يحتاجون أغراضهم البتة، بل الأموات..

العالَمُ كُلُّهُ فِي كِفَّةٍ وسعادتُكَ إذا لَقِيتَهَا؛ ألا تكفيك كآبةُ الليل! طُولُ وحْدَتِكَ ذاتِ الأنياب والخياشيم. لا. لن أذهب للضريح الآن. أكتفي بإرسال قرباني هذه المرة، كما سبق.. هه، مازلت ضفدعا صغيرا يجلس على بركة الماء، ويشاهد الحياة قطرة قطرة، ومع هذا؛ أسعى أن أكون أصيلًا. لا أن أكون خَلَقْتُ نفسي، وإن كان ذلك صحيحا إلى حد، بل أن أكون سَبَبَ نفسي، وعِلَّتَها؛ كي أستطيع التحكم بحق. أن أكون أصيلا فريدا نسيج ذاتي وحدي فحسب.

ليس عكس ألا تحب أن تكره. هي كذلك: تحب، أو – لا تحب، وحسب.. كن جديرا بالاختيار. لا تهرب. الحب ليس نقيض اللاحب كما سبق، هو نقيض نقيضه لا أكثر ولا أقل. كل شيء نقيض نقيضه فحسب؛ أُحِبُّك، وقال كذلك لها، أُحِبُّك. تَخَدَّرَ ظِلُّه. رَدَّدَ، لا أحد مثلَكِ، لا أحد. لا أحد. رأى عينيها تدفق منهما كل المادة، وتبذر في كل عضو روح الاسم، ثم وَضَعَتْ في كفه حيواتٍ صغيرة، وهو ذاهب؛ حينها تَذَكَّرَ ألا أحدَ يُمْكِنُهُ خَتْمُ الإنسان.

أنـتِ أفضـلُ بكثـيرٍ مما تعتقديـنْ، وأجمـلُ مما أظـنُّ بمراحـلَ صَدِّقينـي. أمـا أنـا فأَلْمَـعُ بشـدةٍ وأنـا أَطِـيرُ في وَجْهِـكِ الـذي يُـرَبِّي الحيـاةَ الرحيمـة. رَدَّدَ فِي نَفْسِـه كذلـك أنـه مـازال غـيرَ مُصَـدِّقٍ لاعتـدالِ العدالـة، ولا أنَّ شُرْفَـةَ القـدَر ربـما تُطِـلُّ - مَـرَّةً ولـو بالخطـأ - عـلى بُسْـتَانٍ سَـمَّوْهُ فيـما بَعْـدُ شـارعَ الموتَـى. قـال لهـا اسْـمُكِ مَمَـرُّ الدنيـا إلى سِـدْرَةِ التسـامِي الرَّطْـبْ. أَفْتَقِـدُكْ. مُحتـاجٌ إليـكِ بدرجـةٍ لم أكـن أتخيلُهـا. أَتَأَمَّـلُ رسـائِلَكِ عـلى الفيسـبوك لأهـدأ كأنهـا مِـنْ خَـطِّ يَـدِكْ.

أريـدُ أنْ أصحـوَ عـلى صوتِـكْ. أن أنـام بأنفاسِـكْ. أن أعيـش لأجلِك. أن أموت دونـك. أن أكـون سجادة مـن قطيفـة القلـب بـكل الألـوان تسـتقبل قدميـكِ أَنَّـى وَلَّتَـا. أن أصـير هـواءً ناعـمًا يحرس أحلامَكِ. أن أكُـونَ إلهًا جيدًا يَتْبَعُـكِ. أن أُمَهِّـدَ الحاجـاتِ لأن تلمِسـيها. أن أُعَبِّـيءَ الأيـامَ بدفئِـكْ. أَنْ أُغَـيِّرَ اصطلاحـاتِ القداسـةِ لتُقَـارِبَ ضَـوْءَكِ الـرَّءُومَ الواحـدَ المُتَعَـدِّد. أرجـو أن أحتمـلَ جمالَـكِ المتجسـدَ فيـكِ وحـدَكِ عـلى غـير كل العـادات. أرجو بانهيـارٍ كاملٍ أن أغادر سَـقْفَ الكتابةِ والقراءةِ والموسـيقى؛ لأتفـرغ مـن أجـل الـعِبَادَةْ. أرجـو أن أَبْكِـي. أَبْكِـي. أن أكـون رَجُـلًا بِحَـقّ، وأُحِبَّـكِ - كـما يجـب. عـلى كل حـال، الحمـدُ لله أن نِمْـتِ مبكـرًا الليلـةَ يـا «حبيبتـي». أُحِبُّـكْ. فقـط، أحبـك. وقـد لا

أستطيع غدًا أن أكتفي.. فالواحدُ: لا يَجِدُ وجودَهُ، ولا يُحَقِّقُهُ – أَبَدًا، قَطْعًا – بتلك السهولة.

أحبك، وأفتقدك. رغمًا عني بإرادتي، وبلا وَعْيِي الواعي أبدًا كاملًا.. نَحْنُ. وفقط. نَحْنُ: وَحْدَنَا كُلُ شيء. وكُلُّ الحاجاتِ والرغباتِ والملكوتِ والأسماءِ والصور.. أشعر للمرة الأولى بِكُلِّي كُلًا حقيقيَّ الوجود. أَنَّ حدودي بلا حدود.. أَنَّ جسدَيْنَا رُوحانْ، وأننا اثنانِ واحدانْ، بل إننا أَصْلُ الواحِد. أنتِ طبيعتي التي لَهَا طَعْمُكْ، وطبيعتي أن أذهب إلى القدر؛ لا أن أنتظرهُ فيأتي أو لا يأتي. أَمَلِي أن أُجَرِّبَ فيه أَثَرَ الخَمْر. أَنْ أَعْرِفَ إنْ كان رجلًا أَمْ قِطَّة. أَنْ أَمْشِيَ فوقَ ظِلِّهْ. أَنْ أَجْعَلَهُ يتعثر. أو يقول: رأيتُ البارحةَ لسانَ الغدِ – يتحرك..

تعبت. الدواء يجعلني مريضا بحق، نائما بضمير، مهلوسا باقتدار. الدواء مُخْلِصٌ تمامًا للمرض، لا للمريض. أنا مريض.. ولا أعرف لماذا؟ أنا مريض ولا أعرف إلى متى؟ أنا مريض ولا أعرف ماذا يحدث بالخارج ولا بالداخل. أنا مريضٌ نموذجي. المرضُ كالقصيدةِ، ولا تقل كيفَ. المرضُ: كالقصيدةِ، مهما قيل للمساكين.

يقولون يكبر الحزن في بدايته ثم يصغر فيتلاشى. هؤلاء الذين لا يحزنون بضمير، لا يحزنون بضمير، ولا يحزنون!

أصبحت كمَرْطَبَان البراغي؛ عجوزا يجز العشب، ويتذكر فرحة ابنه الكبير حين أتم قص أظافره دون جرح. أشعر بالتعب. بالإنهاك. بالخداع الجيد. أنتظر بلا حراك. أكمش في السرير كَدُبٍّ كان يوما ما «شهوانيًّا»، ولما جار عليه الزمن، أصبح لا فرق بينه وبين البَقّ. وليس يعرف موطنه الأصلي أو منفاه أو حاضنة عظامه وطبق الرفات، أو الطريق إلى الحمَّام طبعا. والأغرب من ذلك كله: بقي عالقا في الفراش!

يقول الفحص إني طبيعي جدا. وهذا – في رأيي – أهم دليل على جمال العلم، ومدى التقدم الذي سيتجاوز التقدم إلى آخر. وأن ارتداء الـ تي شيرت يخضع لقواعد منضبطة؛ لا تبدأ بإدخال الرأس، ولا تنتهي بإخراجها.

الحياة كَمْشَة. العمر كمّاشة. الإرادة فأر. الحب مصيدة. الدين خيار. السعادة أفيون. الأمل نابالم. الصحة محصول. المرض حاصل. الحاجة عجلة. الرغبة سيارة. العقل جوافة. هه. القلب فلفل. الرجل حاجة / المرأة حاجة. الوقت كمثرى. الأشياء فستان. الصورة مقبرة. الباب نافذة. البيت منزل. السكن مستحيل. السفر حبل. الإقامة وهم. الماضي مضارع. المستقبل مشبك. الواقع مستنقع. الحقيقة قهوة. الحق احتمال. العدالة سجادة. الخيال شامبو. الإفاقة حلم. التعب إسفنج. المخ حرقان. الأيام حطب. الباقي: قش.

على باب مقبرة الملك العظيم وقفت أصيح: أنا لست بديك!!!

على باب الحديقة شجرة البهجة تنادي: لا تدخل... ولا تخرج!

يتمدد اللسان ليبحث عن التواء خارجي فيتوقف الكلام عن الكلام. يخرج اللسان فيتوه الكلام. الأطراف تفقد هي الأخرى صلتها بأوامر المخ. العقل موجود فقط ليحمل عينين على التحديق، ولا قدرة على أي شيء سوى الندم والعجز والذهول ثم الرضا بالهزيمة والنهاية.

لا تقل إنك حتى الآن لم تتعاطف فأنا أعرف.

أُمَشِّطُ شعرها بفمي وأعبِّيءُ صدري بدخاني. أُمَسِّدُ صدرها بيدي وأجفف عيني بالخوف. ألقي خدي في فمها لأصطاد نشوةً ما حتى لو زائفة.

أنت وحيد كمرآة مقوسة بين الجسوم. كفرج مقدس بين فخذين. كعلامة طريق بعد منتصف الضباب. كماء تستحم به الجميلة قبل الفراق. كغراب اصفرَّ صدفة وصدّق فانتظر على أمل أن يصيرَ أحمر. كمن يلتقط صورةً بالأبيض والأسود لِلَّيْل، ويكتب على كل شيء لونه الطبيعي، ويشير في هامش المنظر إلى شدة الإضاءة. يكتب عن تجربته ولا يعلم لماذا.

يكثر من البدء بالواو العاطفة، وقد نسي بالفعل ما الغرض من صورة كهذه، ومن كتابة كتلك. كما أنه لم يَرَ يومًا صورةً أصيلة.

هل تفعلين لخاطري مثل إيزيس عندما جلست بجوار جثة زوجها المقتول تندبه وتقول: تعال إلى بيتك أيها اليانع. تعال إلى بيتك لأراك، أنا زوجتك التي تحبك. لا تفترق عني، تعال إلى بيتك فأنا لا أراك، أيها اليافع الجميل. قلبي يناشدك، عيناي تشتهيانك، أبحث عنك لأراك. تعال لمن تحبك، أيها الكائن الجميل، تعال إلى زوجتك، تعال إلى سيدة بيتك. أنت يا من أحببت الضوء، لا تذهب في الظلام! أنت يا من أحببت صخب الحياة ونزقها، لا تذهب للعزلة!

أفقد السيطرة على كل شيء. أفقد انضباطي وعقلي، وأجلس بلا عمل سوى الرغبة في البكاء الذي لا يأتي. أفقد سيطرتي تماما على الوقت. أرى المكان يبلعني كما يبلع الهواء الهواء. أسمع صوتي لا يخرج من كهف الكلام. أطرافي لا أشعر بها ولا بنفسي بأي شكل. ماذا يحدث؟ لا أعرف حتى .. الرغبة تملأ كِيسَ العالم بالحصى والثقاب. كما لا أعرف متى تتصرف الساعةُ معي كرَجُل.

نم يا حبيبي. عَلَى أن أحبك أكثرَ غدًا، فأحب غدًا بِكَ أكثرْ. ثم قال لها: الوحيدون للوحيدين.

أنـا تعبـان. أخبرنـي مـاذا أفعـل لـو داهمتنـي التشـنجات المعتـادة وأنـا وحـدي؟! إننـي حتـى لم أكـن أخشـى المـوت ذاتـه - مـاذا حـدث! وأنـتِ أيضـا؛ مـن سـينظف قدميـكِ حـين تسـقطين مـن دَرَج السـلم - كالعـادة، وأنـت وحـدك.. ببسـاطة، خـذي راحتـك؛ حُـبُّ شيءٍ أو أحـد لا يلغـي سـواه. إذن؛ لا خيانـة!

لا شيء. أنتفضُ ثُمَّ لا شيء. أحاول البكاء ولا شيء. أحاول التماسكَ أُجَرِّبُ التصنعَ أحاول ثانيةً لا شيء! أضطرمُ لا شيء أسكنُ لا شيء أرتعدُ لا شيء. أحاول البكاء سريعًا وبطيئًا وخَفِيًّا ومُعْلَنًا وفَجًّا وخلسة. أرجوه لعله يخجل مني كما أفعل. أنتظر رسالتكِ.. عنفكِ.. غضبكِ.. أي شيء.. أي شيء. أنتظركِ. لا شيء. لا شيء.. لا أبكي. لا أهدأ. لا أعرف. لا أي شيء!!!

أنتظر انتظاركِ لِي. آتي لأتفرج عليك وأنت تسقطين في غرامي كإبرةٍ في عين الواقع ثم أتلذذ بمراقبة محاولاتك النجاة، لهفةً لا انتقامًا كما تفعل السينما في الحياة ولا تفعل الحياة في السينما. أغضبُ، أذهبُ، تنتبهين لعدم وجودي، وتتركين الحفل بحثًا عني. تجدينني مستندا إلى حائط وأشعل سيجارة وأنا لا أدخن. صدقيني، لقد أقلعت عن التدخين ساعتها وعدت. أُخرجُ من جيبي قنينة وخنجرا ومفتاح الحقيبة. أفك أزرارًا وأفتح الكتاب على الصفحة. تعضين على

شفتك السفلى وتدعكين المصباح. ينزل المطر والبَرَد والملائكة والشياطين والأجنحة والأسلاك ونبدأ الرقص، ونكمل..

يكتب بقلمٍ مَسَّتْهُ يداها ليراها. يلعن اليوم الذي دخل فيه الروبوت إلى عُلبة الدنيا، ويلعن الدنيا التي فَتحت علبتها للروبوت ذلك اليوم.

أكلمكِ في الليل لأجد السكينة والسلام بعد الحرب. أكلمكِ بالليل لِأَصلَ إلى راحةٍ ما (ولا يهم أن أعرفَ - لماذا؟). أكلمك في الليل لأعرف الليل؛ ربما أحتاجه كصديق بعدما تَمضين كعادتك. أكلمكِ بالليل بعيدا عما يُشَوِّش أكثر - يكفيني ما تفعلين.

أكلمكِ في الليل لأطمئن على مثواي. لأُرَبِّتَ على كتفِي. لأربط قلبي بِيَدِ التأمل. لأربط قلبي بجذع الشجرة. لأربط قلبي بحقل التجارب. لأربط قلبي بشعركِ. لأربط عيني بوجهكِ. لأربطَ روحي بقدميكِ أو أكثر. لا أكثر.

أكلمكِ بالليل لأقول لليل في وضح النهار: يا ليل، يا ليل.. أكلمكِ بالليل لأؤكد لنفسي لاجدوى العالم مِن دونك. أكلمك بالليل لأحمل أوزاري في صمتٍ وأضحك .. كصدًى ساذَجٍ وشبِقٍ ونَهِمٍ وراءكِ في المحيط.

أكلمكِ بالليل كي أَرى أمامي بِحِدَّة. أكلمكِ بالليل؛ لتتحسن قدرتي على القراءة والكتابة. أكلمكِ بالليل لأقتل الكآبة. أكلمكِ في كل حين لأرى إن كنتُ حيًا مازلتُ، ومتى الألم التالي، وكيف يكون؟ أكلمكِ بالليل لأقتل الوقت وأنا مرتاح الضمير وصافي الذهن. لأقتل الوجع الذي لا أعرف له سببًا. لأقتل الخوف والحزن الملوَّن. لأقتل النمل والضفادع والذباب والآلات والأوراق والتوقيعات والضمانات. لأقتل اللامعنى واللاوعي واللاغيركِ واللاأنا، و- أنا.

أبهذا القَدْر حبيبتي؛ لا تحبينني! بهذا القدر يا حبيبتي؛ لستِ حبيبتي. ماذا يمكنني أن أفعل سوى الغناء؟ هي لا ترد. مع هذا ظل يكتب لها استئناسا بها على البعد، متوجعًا: آه لو قريبة!

بالمناسبة، كدت أنسى ههههه.. إذا لم تفهمي شيئا فلا قلق؛ أنا أيضا لا أعرف شيئا سوى القلق..

أَوَتعرفين؛ ليلة الكريسماس - أسرعُ وسيلةٍ للقفز. فرصتُكِ الوحيدة تقريبا لوَهْمٍ جماعي آخر. هاه. ليس بعد. هاه. لا أسمع جيدًا. ألن يقولوا هنا: خمسة، أربعة، ثلاثة، اثنان، واحد... ويَدَقُّ منتصفُ الليل عنقَ العام القديم؛ ليثبِّتَ مسمار الجديد بجواره!!

هِـيَ لم تَـرُدّ بعـد. لَمَ تَعُـد. مـا يذهـب يذهـب. حكمـة اليـوم. ليلـة الكريسـماس. وأنـت وحـدك معهـم. وأعتقـد أنهـم أيضـا. مـاذا كنـت تتوقـع. هـاه. مـاذا تنتظـر يـا عبقـري؟!

أعـرفُ كيـف سـيكون القـوس الجديـد خاصـة مواليـد ٩ديسـمبر١٩٨٠. كلـه باسـتقراءٍ شـديد البسـاطة؛ حيـث للحيـاة تاريـخ أُسَرِيٌّ مـشرف في سرطـان الثـدي، وبقيـة الأنـواع بالطبـع.

قامـت القنفـذة مـن مكانهـا؛ لتضـع بيضـة بجـوار السـنجاب. كان ظـل العـالم مهترئـا؛ فاتخـذت خليـلا تـشرب معـه الشـاي الأزرق. الجَـوُّ كالحضـن المخـروم، والغابـة سـمعت في نـشرة الأخبـار عـن حريـق قـادم سيطهرها مـن القش. أغلـق السـنجاب المرنـاة ليتمكـن مـن رؤيـة ذيلـه للمـرة الأخـيرة. القنفـذة تحـاول العـودة، لكـن المكان غـير شـفراته فجـأة. البيضـة: لا تـزال تحمـل الفرصـة. المرنـاة اشـتغلت عـلى مشروع جديـد يذكـر القديـم بكل خـير. والمذيـع قائـلا: إلى هنـا سـيداتي سـادتي، تكـون قـد انتهـت، ربـما، نشرتنـا – للأخبـار.

والكاميرا دائرة..

(١٦)

بما أنها رواية وحيدة وإن تعددت لها – وفيها الروايات. بما أنها أولى وأخيرة يقينًا؛ قلت أجعلها تبدأ في أي نقطة وتنتهي في أية أخرى. أجعلك تبدأ معي أو معك، وتختم معك أو معي!

ليت هذا العالم يسير كما في الرواية؛ بالقلم والورقة والجملة والكلمة والحرف وعلامات الترقيم المنضبطة الضابطة. هههه، أو كما تقدر لوحة المفاتيح أن تنضغط مطاوعة أطراف الأصابع.

في هذه الحال، ليس مطلوبا منكَ حبيبي سوى ضمان حياة البطارية، ونفي أي عطب!

نعم. أن تكون رواية الروايات. ولمَ لا. اسأل أي عاشق محترف أو حتى هاويا يحبو – عن رواياته المفضلة؛ سيجيبك بعدد قليل إجمالًا، وبرواية أواثنتين على الأكثر لكل كاتب سارب حاذق خارق بارق.

هل ما يُكْتَبُ مجردُ تَكرارٍ واجترارٍ وتَصْوَارٍ وتَذكارٍ وتَفكارٍ – وتَصارُعٍ على التسارُعِ والتسارُقِ والاستراقِ والاسترقاق والاستحماق والاختراقِ والاحتراق والاغتراق، ههههه. ربما..

يعني أريدها أولًا أن تكون رواية، ثم كتابا حقيقيا يُقْتَنى ويُقرَأ ويَدرَك، لا أن يستَعْمِلَه الأذكياء ثُقَالَةً تربط الورق فوق المكتب بحبل الجاذبية وتقص ريشه من قلب القلب فلا يطير، أو يكاد يحاول. كذا؛ لئلا يتخلى عن قصوره الذاتي الذي يمنعه تغيير حالته سكونًا أو حركةً بسرعة منتظمة في خط مستقيم.. (هو يعني العالم هيعمل ايه إن شاء الله بكل الروايات دي. ارحموا من في الأرض والسماء!!).

هنا حبيبتي تحضرني تجربة مثيرة حقا عليك أن تنتبهي لها جيدا؛ إذ أحكيها بدقة؛ على رجاء خروجك منها بخبرة لا مثيل لها في كيفية معالجة الأمور الحساسة والمسائل المصيرية والملفات الثعلبية:

من اقتراحاتي الأصيلة والمعاصرة وما بعد المستقبلية لإصلاح العالم التي قدمتها إلى الرئيس التنفيذي للشركة أن يكون أفراد الجيش عازفين بالفطرة، وأن يلعبوا تحديدا الجيتار الكهربائي بأنواعه، والبيانو- شرط إطالة شعورهم – مرتدين زيهم

العسكري كاملا بقلنسوات أو دونها لا يهم. كما لا يتوقفون عن إثارة البهجة الصاخبة التي تهز خشبة المسرح وأركان المعمورة.

الجزء الثاني يتعلق باستمرار الموسيقيين في حفلاتهم بمعنى لا يتركون خشبات المسارح أبدا هم أيضا من أجل الراحة أو اللعب أو النساء أو المخدرات أو الكحول - أو الميديا بالطبع!

قدمت الفكرة إلى الرجل بالفعل، فاعتذر بشدة لارتباطه باجتماع في فرعنا بالكوكب الأحمر، ووعدني بدراسة الأمر فور إنهائه رحلته الخاطفة إلى بعض أقاصي أطراف الكون الذي نعرفه وما سيكشف لنا من أكوان متوازية أو متقاطعة ظاهرة وخفية أو حتى أيديولوجية، هههههه.

بالتأكيد لم أشكره قط؛ إلا بعدما شكرني بحرارة - مفتخرا بحماسي الذي قال إنه يذكره جيدا بطفولته الناضجة، وشبابه الرصين - وشيخوخته الملونة بالأبيض الثقيل والأسود الشفاف!!

المهم، يئست أنا، لا. جهزت فكرة أخرى لحين عودة الرجل الفاضل بسلامة من رحلته. وبعدما قال إنها رحلة سريعة؛ قدحت زناد فكري اللَّدِن بكل أنواع الخمر حتى تستوي الرؤية.

قلت أقول له كي نعالج غَرَقَ الناس في بحور السوائل المنوية والمحيطات المَهْبِلِيَّة – لِمَ لا نضبط المسائل ونحقنهم بالكَهْرَبَاء. أي نعم؛ وهي مادة راتنجيَّة متاحة لدينا في المخازن. صحيح صفراء اللون، شبه شفافة – لكنها قوية العزل للكهربائية. تصوري المعجزة!!

العجيب في الأمر أنها أيضا أول المواد التي عُرِفَ تَكَهْرُبُها بالدَّلْك، وبهذا نضمن ممارسة طبيعية تماما للعملية. واااو!!

كما أنها – فيزيائيا – سبحان الله – العامل الطبيعي الذي تنشأ عنه بصفة عامة ظواهرُ التجاذب والتنافر التي تحدث في حالات معينة نتيجة الدَّلْك أو التسخين أو التفاعل الكيماوي، أو نتيجة حركة نسبية بين المغناطيس ودائرة معدنية مُوَصِّلَة. خذي بالك هنا أن التيار الكَهْرَبَائِي نوعان: موجِبٌ أو دافِع، وسالِب أو جاذِب. أحب كذا لفتَ انتباهكِ إلى أنه حال سوء الاستعمال تَحْدُثُ الكَهْرَبَة أي الإصابة بالصعقة الكهربائية. بالله عليك يا شيخة – بم تذكرك شبكة الأسلاك والوصلات تلك، أقصد الصلات، ههههه.. أووو، صغيرتي، ألن تتخلَّي عن خجلك هذا أبدا. بيبي: لا حياء في الكهرباء، ههه.

لا بأمانـة، مـا رأيـك في عقـل حبيبـك أيتهـا السـاحرة الماكـرة.. أريـدك حَتْـمًا أن تكـوني فخـورة بي – وأعـرف قطعـا أنـك هكـذا – لكـن مـن حقـي عليـكِ أن يكـون فخـرك بي أكثر بكثـير مـن فخـر رئيـسي المسـافر – رده الإلـه بسرعـة – وإلا مـا الفـرق إذن. ألا تودين اختبـار أسـخن درجـات التجـاذب بيننـا. هـه. مـاذا؟!! مـا بـك حبيبتـي، هـاه. لم لا تردين. آه. لا.

Ouch

(١٧)

بعدما بان عنه بداية طريق الرواية، طفق يحاول غورًا آخر، لا أعرف اغتواءً أم هروبا، أم مجرد هاجس تشتيتي معتاد. قال: أليس يمكن أن يكمن السحر في الشرق مثلما كان يروج أصدقاؤه. ود لو يشرع في أساس جديد تماما: إما يوقد له، أو يحوله فينساق ولْيَصِرْ ما يصير!! (اعتلى المسطبة وبدأ يقتبص، حتى أصابته قيلولة)

قال إن السيناريو ربما؛ لا بل أكيد أنه فن غير مقطوع الصلة بالرواية. إذن، فلِمَ لا..

حَصَرَ المشاكلَ في الظروفِ والمواقفِ وبعضِ اختلافات ثقافية وبيئية وقطعا لغوية. الغرب تقريبا استنفد أشياء كثيرة وإن بقي به ما فيه. ملعونٌ مَن يُصنِّفُني غربيا لمجرد أن اسمي جيمس، وأحب الأفلام الجيدة بجوارحي ووجداني وعقلي

غـير المتعقـل دائـمًا مهـما كان جنسـها ولونهـا ولسـانها وخطهـا المخطـوط أو حتـى المخلـوط!!!

تجهـز – كعادتـه – بـكل مـا يلـزم، وانطلـق مـشروع الروايـة البديلـة أو السـيناريو الوقـود؛ كأنـه ولـد يومـا عـلى مقهـى بوسـط البلـد الـذي فَجَّـر الضمـير، ثـم اسـتعد للخـروج إلى نهايتـه الأخـرى في النهـار السـاكِع..

ملحوظة للأصدقاء..

(لَمْ يرغـب في مدخـل حيـاة الـشرق الاسـتشراقية وإنـما فَضَّـلَ مدخـل غـرب الـشرق الغـربي!)

سيناريو وحوار» دومينو، وآيس كريم«

أو نص شاشة « لغز استحالة الأمور.

فيلم لـ

جيمس ص. ز.

البداية:

كلمة تُكتَب على الشاشة (تدريجيا، وحرفا حرفا بصوت مميز) (في منتصف شاشة سوداء بالضبط، وباللون الأزرق الزهري)، تقول:

كل شيء زائل إلا الفراغ الممتليء (تقريبا)

صمت، يخرج منه أصوات غائمة

ثم

قرع طبول تدريجي، متباعد الإيقاعات

ثم

ضربة «بيانو» من ذوات الصوت الغليظ

اللقطة الأولى:

يفضل مكان عادي هاديء بلا علامات..

الشمس في الأعالي، غير واضحة بحدة، ويمر أمامها ما يشبه خيوط العنكبوت التي تتلاعب بها الريح، لكن في كل الأحوال لا تبتعد

الخيـوط عـن دائـرة قـرص الشـمس.

*غزالـة تصلـح ماكياجهـا في مـرآة.

قطـع ناعـم عـلى «عـادل» جالسًـا في صالـة الاسـتقبال وهـو يقـرأ كتابـا بهـدوء، ثـم يصيـح بحنـوٍ عـلى زوجتـه «شـذا» وابنـه «كـمال» وابنتـه «سـارة» ويقـول:

عـادل: مـش يـلا بقـى والا ألغيهـا،، (وهـو يضحـك)..

يردون تباعا:

خـلاص آهـوه، حـالا، إوعـى، شيـل إيـدك مـن عـلى الـزرار، (مـع صـوت تضاحـك جماعـي، يُشْـعِرُ بجـو مـن السـكينة والحـب) ..

قطع سريع على الأسرة وهي في سيارتهم الحديثة لكن متوسطة الحال (لا قديمة ولا فارهة) ..

الزوجة هي التي تقود، والزوج بجوارها ممسكا نفس الكتاب، يقرأ هادئا، والأبناء الذين في سن المراهقة يتهامسون معا ويضحكون، وفي الخلفية موسيقى وأغنية سيزيف لمجموعة «أجراس» التونسية، والأطفال يقولون لأبيهم:

ايه رأيك يا بابا نسمع حاجة جديدة تبقى مناسبة مع الجو دا، وهم يبتسمون مع إشعار ببعض تذمر متنوع الإشارات.. هه

الأم؛ بيد تمسك عجلة القيادة وبالأخرى تربت على ساق عادل اليسرى، وتقول:

شذا:

يلا يا ولاد قولوا عاوزين تسمعوا ايه.

الأولاد: مش فارقة، بصوت واحد: أي حاجة للهضبة مثلا.. فيبدأ عمرو دياب يغني: قمرين دول والا عنيه، وهما يمرحان ويمثل كل منهما أنه الهضبة ممسكا بميكروفون ويندمج في الغناء والتعبير عن مشاعر المطرب العظيم أمام جمهوره الغفير!!!

قطع سريع على الشارع، ناس تمر بجوار بعض، والمحال تعمل، وضابط مرور منشغل في دفتر يدون فيه..

فجأة، الكاميرا على الشمس، في كامل بهاء نورها، فيبدأ قرصها في طور الضباب - فالعتمة؛ إلا من ضوء خافت جدا ينتقل مع كل من تركز معه الكاميرا كما يلي:

قطع سريع بلقطة عامة للجو المعتم تماما.

تنتقل الكاميرا على أسرتنا في السيارة، ينظرون إلى أنفسهم ثم خارج السيارة، ثم إلى بعضهم..

قطع سريع جدا على الشارع من حولهم، والضوء يبدأ يعود طبيعيا بعد حوالي نصف دقيقة، والكاميرا تدور على أوجه المارة وهم مندهشون؛ منهم من وجد في يده حقيبة نسائية تبدو ثمينة. ومنهم من وجد نفسه ملتصقا بامرأة جميلة من الخلف ويلف ذراعيه حول صدرها. ومنهم من وجد دفتر ضابط المرور ممزقا تحت قدميه. الكاميرا تدور- على بعض المحال التي تبدو منهوبة

أصوات غمغمة، فأصوات عَدْو، وضرب، وصراخ، وصخب لا يُعْرَفُ مصدرُه.

صامتين. ثم يقول عادل، مرتبكا: بصوت لا منخفض ولا صائح: يا سلام، دي تحية الرحلة بقى والا إيه! زوجته وأبناؤه لا يردون.. بل لا يبدو عليهم سوى القلق والخوف من مجهول ماذا سيفعل بهم!!

شذا: الحمد لله إن رجلي دايما ع الفرامل..

والفوضى تعمها، ثم البنك، الذي يخرج منه دخان، والعاملون به يهرعون جيئة وذهابا، وضابط المرور يخرج من باب البنك وهو يكدس أجولة شفافة مليئة بالدولارات ويضعها في سيارة شرطة كان يستعد للانطلاق بها وحده!!

بعد عودة الضوء كاملا، ينظرون جميعا لأنفسهم ولبعضهم، صامتين، ثم تتداخل الأصوات:

صراخ: حرامييييي. يَرُد: إيه اللي انا بعملو ده. يا انهار اسود. شيل ايدك يا حيوان. شنطتيييي. صوت مرتبك: لللأ، مششش أنا اللي عملت كدا لللأأأأ، ترد عليه: أومال أنا يا ابن الـ ش ..

لقطة عامة بعيدة من فوق للشارع وسيارة الأسرة تبدو غارقة فيه كنقطة بلا لون. ثم قطع على شخص عجوز رقيق الحال يقعد جانبا على رصيف بعصا يستند إليها؛ عصا غليظة، رأسيةً تقف بين يديه، وهو يسند وجهه إليها. وجهه مجعد تماما، لكن طيب، بشوش. صامت. يراقب، ولا يبدي ردًا.

الكاميرا تعود إلى الأسرة، والأب يقول:

الزوجة بتطلع بالعربية وتمشي شويه، والولاد بيبصوا لبعض.

يلا بينا نكمل. والا إيه!!!

كمال لسارة: هيكون إيه اللي حصل؟

سارة: عادي، الكهربا قطعت فجأة، عادي يعني.

كمال لسارة: كهربا في عز النهار، بطلي هزار بقى.

كمال: أعتقد مفيش حاجة، عطل مفاجيء واتصلح. عطل ف أي حاجة. المهم احنا نلحق مشوارنا.

عادل، يبدو متحيرا،، ينظر لأولاده بحنو المضطرب، ثم يقول لزوجته:

عادل: شفتي التحول.

شذا: مش عارفة تحول والا عودة للأصل.

عادل: يعني البشر همج ومستنيين الفرصة!

شذا: مش شرط هما، يمكن جواهم حاجات بتغلي محدش شايفها، لأ، دا أكيد.

عـادل: بـس دا ينفـع مـبرر لنقلـة مفاجئـة تامـة شـاملة متنا قضـة .

شـذا: الحيـاة زي مـا هـي كنـز الكنـوز، هـي كـمان سر الأسرار وكلهـا لعبكـة.. المهـم بـس يـا حبيبـي روق بالـك عشـان خاطـري، وبـلاش تركـز كتـير أوي كـده..

الكامـيرا عـلى الـزوج، وهـو أكثـر حـيرة..

عـادل يفكـر فيـما تقولـه شـذا، ويـترك الكتـاب. يضعـه في حقيبـة صغـيرة أمامـه، ويعـود برأسـه عـلى الكـرسي، ويبـدأ يفكـر سـارحا..

الكامـيرا تنسـحب بضبابيـة من وجـه «عـادل» عـلى شـجرة تقـف أمـام مكتبـة يجلـس فيهـا عـادل أمـام مجموعـة كتـب ثـم تتحـرك معـه الكامـيرا واقفـا يبحـث

في الأرفف، ثم يرى بين الكتب القديمة نملة يتأملها وهي تتحرك بثقة وسهولة، فيبتسم بسخرية، ويقول:

عادل: شكلك لقيتي اللي بتدوري عليه يا عفريتة،، صوت ضحكته. طب ساعديني، مش احنا زملا.

الكاميرا على باب المكتبة وعادل يخرج منه.

قطع على شحاذ، يشبه (الشخص السابق رقيق الحال لكن أصغر قليلا طبعا) . الشحاذ يضع كتابا جواره، ويعزف على الباندينيون **(ليبرتانجو لـ آستور بيازولا)**، لكن ببطء شجي..

الكـاميرا على عـادل ووجهه مسـتغرب لكـن مسـتمتع بـما يحدث. لا يـود مقاطعـة الرجـل لكـن لا يستطيع الانتظـار حتى يكلمـه.

عـادل للشـخص ( ) الله، بـس ليـه!!

الكاميرا تتنتقل بين عادل والشخص..

الشـخص: باعتـداد وثقـة: (يقـول بالفصحـى) السـؤال حيـاة، والإجابـة مـوت، إذن، مـاذا تريـد؟

عادل: طيب قوم معايا.

الشـخص: ضـع شـيئا في الصنـدوق أولا.

عـادل، يفتـش في جيوبـه ثـم يضـع كل مـا معـه في الصنـدوق. يقـول للشـخص:

عادل للشخص: يلا

الكـــامـيرا عـلى الشـخص وهــو يبتســم برســوخ بخيــل ويقينـي لعـادل ثـم يشـير لـه لينـصرف ويتركـه وحـده.

الكامـيرا عـلى عـادل وهـو ممتثـل، وينـصرف.

ثــم لقطـة عامـة للمـكان، وعـــادل يسيـــر وظــهـــره للشـخص، والشـخص ينظـف المقعـد الأسـمنتي ويفرغـه ممـا عليـه ثـم يمـدد جسـمه فوقـه..

الكـــاميرا تبتعـد ثـم تتحـول في حركتهـا مـن أعلى إلى شـمس شـتاء وغيـوم في السـماء..

قطع سريع على رجل عجوز جدا جدا وزوجته بجواره في بيتهما؛ يتحدثان بفرحة:

جيمس لزوجته: الولاد جايين.

كلارا: يا رب بالسلامة، أنا عاملالهم كل اللي بيحبوه بالهنا والشفا على قلوبهم حبايبي. ياريت ما يتأخروش. وحشوني أوي أوي يا روحي..

قطع على «شذا» وهي تقود السيارة بتركيز، والكاميرا تنتقل من وجهها إلى بيت به أم وبنت مراهقة، وولد صغير..

الكاميرا على الأم وهي تقول:

الأم لشذا: يلا يا شاذية، عاوزين نلحق النهار، كل زيارة لبابا كدا نتأخر عليه، خلي بالك لا يزعل.

المراهقة لأمها: ههه، متقلقيش يا دودو، أنا عامله حسابي على كل حاجة، وراكي رجالة. **شذا** تقول لأخيها الصغير: مش كدا يا عمر! هه. (تأخذه في حضنها مبتسمة بحنان وتضمه طويلا..

قطع سريع على مكان مقبرة الوالد. لقطة عامة. الأم وشذا وعمر يقفون بزهور، ساكنين، ثم يفرقونها ويضعونها على كل المقابر أمامهم.

شذا للأم: بابا وحشني أوي.

الأم تأخذها في حضنها باكية. وانا كمان يا شوشو. يبكيان. يأتي عمر مسرعا ويقول، الحقوا فيه هناك طير تقريبا بيتألم.

الكاميرا على حمامة علقت قدمها في ساق زهرة من اللائي وضعوها على إحدى المقابر، وتعاني لتطير، ثم خافت حين اقتربوا منها.

الكاميرا على شذا، وهي تحاول فك الاشتباك، ثم الكاميرا على الأم تضحك بمرارة وحسرة على وحدتها ووحشتها بدون زوجها حبيبها، وتقول:

الأم لشذا: باباكي الله يرحمه كان بيموت في الحمام اللي بعملهولو بإيديَّه ويقوللي إنتي اليمامة وانا كمان تقريبا تقدري تقولي «ذكر اليمام»، بس يا ترى مين بقى الصياد، ونقعد نضحك واحنا بناكل لغاية ما ننام، الله يرحمه.

الكاميرا عليهما الاثنتين.

شذا: اوعِي. الأم: لا طبعا يا شوشو، أنا أصلا بطلت من زمان. (ثم انخراط في ضحك عجيب) ..

الكاميرا على وجه عمر، وهو لا يفهم.

قطع سريع على الأسرة في السيارة وهي تتحرك في لقطة عامة ثم تتوقف عند ريستهاوس لالتقاط الأنفاس وتجديد التموين!!

صوت تليفزيون من بعيد بيذيع أخبار

* قطع ناعم على شاشة (تليفزيون) في المكان الذي يعج بالكراسي الخالية فتظهر مذيعة تليفزيون «صارمة جدا» وهي تقول:

ومن الأخبار الدولية العاجلة: حصل العندليب الشاب جيمس ص. ز. على جائزة جرامي للمرة السبعين ليخلد بذلك في التاريخ والجغرافيا والفلسفة والفلك كأفضل الفنانين المبدعين إطلاقًا..

الكاميرا تقطع على وجه عادل «ممتعضا» وهو ينظر لشذا، فتنتبه له وتضحك قائلة:

شذا: طب ليه مخدشي نوبل بس. شكلنا مش هنخلص أبدا من المؤامرة العالمية الماسونية المستنقعاتية دي. ههههه

يضحك عادل ويقول لشذا:

عادل: كنت بحسبهم هيجيبوا سيرة عن اللي حصل لكن الظاهر، تقاطعه – **شذا:** مفيش حاجة يا حبيبي، أكيد بس الإرهاق اللي مرينا بيه الكام يوم اللي فاتوا مخلينا مش مركزين ويمكن كمان يتهيأ لنا حاجات..

عادل ينظر للأولاد كأنه يستنجد بهم..

عـادل وهـو متنرفـز: ايـه! انتـي بتتكلمـي بجـد، يعنـي أنـا مغيـب والا غبـي والا كـداب، أمـال لـو مـا كانشي اللي حصل دا كان قـدام عينينـا كلنـا..

سـارة: برافـو عليكـي يـا مامـي والله. **كمـال**: خـلاص بقـى يـا بابـا، يـلا نجيـب آيـس كريـم!

ينـزل عـادل مـن السـيارة، و(الكامـيرا معـه) يتوجـه إلى الثلاجـة، يفتحهـا، يسـأل شـخصا كالحًـا واقفـا أمامـه عـن كيـس يضـع فيـه الحاجـات، يـرد الرجـل بإشـارة (مفيـش)، يأخـذ عـادل مـا يريـد صامتـا، ويعطـي الرجـل الفلـوس، ويعـود (ومعـه الـكـاميرا) يفتـح بـاب السـيارة ويقـول:

عـادل: باينهـم سرقـوا الاكياس في الهوجـه.. يقهقه!!!

الكاميرا على شذا، تشكر عادل بعينيها، وهي مبتسمة كعادتها امتنانا لرب الأسرة الكريم كعادته، وتمتد الأيادي مرة واحدة في الكيس، كلٌّ يلتقط ما يحلو له.

الكاميرا، من فوق، تنزل على السيارة أفقيا إلى الأمام وهي تنطلق، وصوت الموتور يهدر بإخلاص المتوجع منذ ولادته!!

كمال: ايه دا، الآيس كريم بيسيح، لأ، ساح.

وكل شيء يستمر ومعه الكاميرا دائرة؛ تراقب وتقتنص كعادة ما يحدث وما لا يحدث..

عادل: طيب معلش، بصوا أنا عامل حسابي فـ معالق، أجيبها وناكل من الخَنْدَرِيس ده. **سارة:** ازاي يعني يا سي بابا.

شـذا: معلـش يـا ولاد، مفيـش غـير الرِّسْـت ده، اعملـوا زي مـا بابـا قـال، مـش عارفـين يمكـن نقـدر نرتـاح تـاني امتـى وفـين وازاي!!. يـلا بقـى كلـوا هـه.

الأولاد في نفـس واحـد: يعععععععععـع

عـادل: يـا ولاد، الله! لازم نعـرف نتأقلـم مـع الوضـع الراهـن والموقـف المرهـون – ظـرف نسـتحملو زي مـا يكـون بقـى. هـه

الـولاد في نفـس واحـد: يعني ايـه وضـع راهـن ومدهـون معلـشي قلـت إيـه؟!!

شذا وعادل:

يعني سمعتوا خندريس وعديتوها عادي. هههه. احنا كده تمام اطمنا على مستقبلكو وف بطننا زيليون طن آيس كريم..

ضحك فاضح من الجميع على الجميع مع الجميع، وممكن للجميع أيضا!

(١٨)

هـذه روايـة قـد لا تكـون الأولى لي، لكنهـا قطعًـا الأخـيرة. حاولـت فيهـا قـدر استطاعتي أن أضمنهـا كل المخطوطـات التـي أود الاحتفـاظ بهـا في مـكان آخـر إلى جانـب مُفَكِّـرَتي / قَـدَري - التـي أخشـى دائـما أن تضيـع كعادتهـا وعـادتي.

هـذا العمـل لا أطمـع أن يقـرأه أحـد وإن كنـت بالطبـع أرغـب بـل يسرني ذلـك إلى حـد مـا. لا أتمنـى أن يعيـد قـراءة الروايـة أحـد مـرة يتيمـة فقـط. لا أتطلـع إلى أن يحتفظـوا بهـا في المكتبـات، وإني لأعلـم أنهـا ستلتصق بالرفـوف إذ لـن يَلْتَفِـتَ إليهـا ذَكَـرُ نَمْـل، أو الشَّـيْصَبَانُ الـذي هـو أيضـا اسـمُ الشيطان، هـه.

كان ينبغـي أن أقـرأ كل الـضروري لهـا لتصـير كـما ينبغـي فلـم أتمكـن. كان ينبغـي أن أفكـر لهـا وفيهـا كـما يجـب فلـم أسـتطع. كان عـلي أن أكتـب كـما أود وكـما تـود لكـن مـا باليـد

حيلة سوى ما حدث. كان هناك أمل أن تتحول إلى أشياء جميلة وأشخاص رائعين لكن ما العمل؟ يبقى رجاء!

قلت أنتظر. انتظرت عقودا. العقود تجر مشاغل أكثر وتراجيديات أقسى. قلت الروايات التي أحبها نوادر، وهي برأيي موجودة ومتاحة وتكفي تماما. إذن، لن أكتب. أما الروايات التي لا أحبها فهن كثيرات بلا حصر، وهي أراها سُبَّةً حقيقية؛ رغم انتشار معظمها بين الأيدي والأرجل. إذن سأكتب. لكن ما الفائدة، من كتبوا جيدا أو سيئا كتبوا وذهبوا. إذن لن أكتب.

أحاول في روايتي العصية هذه أن تكون لي ولكم. مني ومنكن. بيني وبينكم. عني وعنكن.

قبل البدء تهيأ لي أنني متهيءٌ تماما. أثناء الكتابة يزداد الشك في الجدوى واليقين في العدم. بعد الكتابة تأسرني رغبة المحو في تنازع مع حاجة الإثبات.

هل أحب الرواية أكثر من أي شيء آخر؟ لا أعلم. أظن لا. هل أكرهها أكثر من أي شيء آخر. أعتقد. لا، إنني لا أعرف بالضبط. لعل هذه روايتي فعلا؟ أحسبها كذلك. هل هذه رواية الآخرين. أزعم أنها هذا وذاك بأقدار.

ما أنا متأكد منه تقريبا أنني شرعت فيها، فصديقي يقول إن الكاتب الحقيقي كاتب حقيقي حتى لو لم يكتب - حقيقة - . لكن الجميل في عبارة الرفيق أنه شدد على وصف الكاتب الحقيقي؛ حتمًا لأنه في العادة كان يتفرد باللياقة، ومازال يؤمن بأنه كالقابلة، أو الأم؛ حين يَحْمِلُ نَصًّا، أو يُحْمَلُ إليه.

آآآآه. دماغي سينفجر إن لم يكن قد انفجر بالفعل - وما أسير به الآن شظايا حطام أو بقايا سديم كوني لم يجد مكب نفايات ملائما فضاق به الفراغ حتى اضطر إلى أن يستقر بي. أووووففففف..

أريد بشدة أن أنعزل بين أصدقائي الحيوانات في بحبوحة الغيطان؛ لكن كيف سأحل مشكلة العيش؟!

(١٩)

كلما مر بأزمة في حياته حاول الاستدفاء بمقولات الفلسفة والأدب بأن الكتابة دواء، تطهير. كشف، بل تعرية. ضوء، صدر، ظهر، بطن. عملية ولادة، خلق، بعث. إماتة، إبداع من العدم، إبداع من الوجود. نشاط تنشيطي. نشاط فراغي. نشاط كسلي. لعبة تضاهيء الدنيا بكل لهوها بنا وفينا. لم أجد شاطئا للبحر الميت سوى قطع وشظايا وحفنات رمل تشبه غيرها. هي رمل؛ لا شيء يميزها غير أنهم قالوا هذا شاطيء ذاك البحر. شرع - رويدًا - يسجل بلا ترتيب - كل ما يرد على ذاكرته وكل ما كان يحلم به وبعضًا مما لا يتذكره أو يجرؤ على الاقتراب منه..

كلما كتب زاد همه ونهمه. لا يصدق ما يقولون، فعمد إلى قول إنه يكتب سيرته الذاتية. لا بل سيرة ذاتية ليست بالضرورة لي. أو لا سيرة ولا ذاتية ولا غيرية!!.. آآآآه. لم يصدق نفسه.. قال الأليق إعلان أنني أؤلف رواية كما

يفعـل الجميـع.. وأخلـص!!!

كلـما ظـن أنـه انتهـى شـعر بحاجـة إلى اسـتئناف العمـل، وفي الآن ذاتـه حاجـة إلى بـتره في أوقـات معينـة وأماكـن محـددة، ودائـمًا..

لمـا اسـتبد بـه الملـل والكلـل، رغـم طُعُـومِ مُتَـعٍ متقطعـة، قـال فلأَنْتَـهِ مما أفعـل بـأي شـكل.. الحيـاة ذاتهـا ليسـت بتلـك الدقـة، أو الـدأب الزائـد عـلى الحاجـة؛ كل مـا فيهـا يَعـرف مـا يفعـل وأيـن وكيـف ومتـى ولا يشـترط لِمَ.. بـل حتـى لا يشـترط أن يَعـرف!.. سـنن كونيـة؟ قوانـين طبيعـة؟ منطـق؟ حقيقـة عقـل علـم معرفـة ثقافـة حضـارة؟ ديـن؟ قيـم؟ مبـاديء؟ أخـلاق؟ تعاليـم؟ لوائـح؟ علـة؟ تاريـخ جغرافيـا ديموغرافيـا، فلسـفة وحكمـة، تحليـل وتعليـق، اسـتشراف وتوقـع وانتظـار وتحقـق. معـادلات توازنـات وحـي وإلهـام. معايـير، خطـط، فـوضى، نظـام، عشـوائية؛ الأواني المسـتطرقة، والأحـداث المُسْـتَنْطَقة، والأنـاسيُّ المُسْـتَحْمَقَة، والحيوانـات المُسْـتَنْهَقَة، والكائنـات المُسْـتَنْفَقَة.. ههـه..

لـو ظللـتُ أنتظـرُ الكـمالَ المُفْتَقَـدَ المُنْتَظَـرَ أو النقصـانَ العـاديَّ المُتَوَقَّـعَ، قـد أمـوت. ربـما لا أسـتطيع الكتابـة. آه. أو ربـما أسـتطيع الكتابـة أسـوأ، أفضـل، لا أفعـل هـذا أو أفعـل ذاك.. ظـل يكـرر مـا سـبق حتـى تكاثـر فيـه تعـب الـرأس

والنفس والروح والجسد. وفي لحظة حسم واستسلام، قرر ألا يكمل الكتابة، وأن يبدأ موسم الحصاد بمنجل، والتقاط الثمار بأسنان المشط..

كلما جمع الشذرات يعجبه شيء وساءته أشياء.. حتى أتم ذلك مرات ومرات لا يقدر على حصرها.. وصل إلى نتيجة أن يختار عشوائيا محاولة في المنتصف؛ لأنها - بتعبيره الدقيق - ستكون في بداية الغريزة، وانطلاق العنان، ونشاط الذاكرة المُسْتَحَاثَّة. وستجمع إليها نهاية جهد الجهد ومداخل الاقتراب من أبواب تمام التمام وتناول المتاح مهما حدث.. لم تعجبه فكرته التي اطمأن إليها. عاد إلى تردده بثقة؛ فقرر الاستمرار في الكتابة بالتوازي مع بدء الكتابة من جديد بالتوالي مع قطعها. كانت أول جملة خطها:

لا تَفْعَل الخطأَ حتى تُنهِيَ الصَّواب.

ثم،

لا شيء نهاية العالَم

ولا أحد.

نهايةُ العالَم: نهايته.

وانتهى..

قـال كلُّ شيءٍ هـو كلُّ شيءٍ ببسـاطة مهـما تعقـدت المسـائل واشـتبكت الصـور وتداخلـت العنـاصر. فليسـت الروايـة وسـواها تشـذ عـن ذلـك وسـواه. ههـه. لا تقـل لي التعميـم والكليـة والإطلاقيـة لا تمـت لعلـم بصلـة ولا منطـق. لأجـلي، ولأجلـك، ولأجلهـا، قـل لهـم جميعـا: فلْتَرْفُقُـوا في السَّـيْر وغـيره..

(صغـيرًا كنـت أصنـع لإخـوتي روايـات مُصَغَّـرة مُصَـوَّرة، مُعَبَّـأَة ومُغَلَّفَـة ببسـاطة، ولطيفـة. بعدهـا تعلمـت - ومـا فَتِئْـت - ألا شيءَ فعـلا أَلْطَـفُ مـن هـذه الدنيـا ذات العدسـات والـدُّود، والأجـراس..

(٢٠)

رفعتُ يدِي حين مرت حبيبة القلب وكُلِّي من تحت السماء؛ لأطلب مرة أخرى قطعة حلوى. كانت الغابة السوداء تتزحزح من أطراف بون وفرايبورج، وكوخ هايدجر قد بدأ يخلو من الكينونة المعتادة.

قُلتُ الزمانُ كفيلٌ بأن يُسَوِّيَ المسألة، وكان الزمان بالفعل عند الظن. انتظرتُه طويلا جدا.. ولما كاد يصيبني اليأسُ؛ وضعتُ رأسي تحت صنبور المياه الباردة، وحلقت ذقني بسرعة أعمى يهز البردُ يديه، وفتحت الثلاجة أبحث عن زجاجة الدواء. كان القدر رحيما بي – كعادته – فلم يحدث شيء ذو بال، ولم أعد أتذكر بَعْدُ ما حدث.

الآن أحمل في حافظة الجسد أمفيتامين؛ لأظل منتبها للسقوط. السطوح عالية، والقيعان تتفشى كالإيبولا وبقية الطواعين. وأنا مطلوبٌ مِنِّي تَتَبُّعُ الخيطِ الحرير، ومعرفةُ اسم

دودة القز التي أنتجتهُ ورقم هويتها التسلسلي واسم الزوج إن وجد، وعنوانُ تاجر التجزئة.

وقفتُ أُغَنِّي. صوتي أشبهُ بسكينٍ مَرَّ مِن هُنا قبل ذلك، ومازال طيفه الحراري يتمدد في نُخَاع الفراغ. أضع الكلام تحت الوسادة، وأنتظر الفيلم حين يبدأ.

لا حلم لي. لا عقل لي. لا يوم كما أشتهي بلا جورب. لا يوم بلا امرأة اليوم. لا يوم بلا دم وماء. لا يوم بلا ضوء العمود الذي في النهار. لا يوم بلا فأر التجارب. لا يوم بلا نَفَس اليوم. لا يوم بلا هِيبيين جدد، أو وداع.

يتركني جزءٌ بَعد آخَر، أَتَحَوَّلُ جزءًا بعد جزءٍ آخَر إلى آخَر وآخرين. يبحثون عن تفاصيل يسدون بها مسامهم في ليل الشتاء، ويُعَوِّدون أنفسهم على الأحاديث في صمت!

(قيثارتي الآنَ ثلاجةٌ للمخدرات. وأنا مرتاحٌ تماما – حتى الآنْ – لهذا الوضع.

إذا حاولتَ المزج بين الشمع والثلج والحَجَر، اِعلم أن الجديد لا يزيح القديم من المركز إلى الأطراف. فبما أن الحياة ليست مضمونة: عادة تتم الإزاحات بين المراكز/ وعادة تتم الإزاحات بين الأطراف.

شاؤول، أضحى الرجلَ المتشحَ بالبياض؛ ليتشح بعد ذلك بسواد - ويصرخ - جيدًا - أيام الآحاد؛ لأنه لم يعد أحد يهتم بموسيقى الريف. (الآن الوقت يهتز) ؛ لذا فالرهان على الهارد روك، والراب، والآر ان بي والبوب والهيب هوب، وعائلات الميتال والجاز وسوى ذلك.

لا أحد يهتم بـ جوني كاش. ولا شَفَتِه الغاضبة، أو قيثارته المملوءة بالمُسَكِّنات. إلى السجن ومِنهُ. (حلقة النار والدجاجة المتشحة بالديك) ، أو الذي يؤذي نفسَهُ؛ ليرى - إن كان مازالَ يشعر بالوحيد الحقيقي في عالم المجدليات: الألم.

بعد سنوات (وما السنوات إلا لحظات وما ذلك كله إلا نحن يا سلام) بدأتُ رحلة اكتشاف خطير. لم تكن زوجتي من ينام بجواري. ولم يكن أولادي يرعون في الفناء. ولم يكن الفناء خلفيا فقط.

كان الجَرَّار الزراعي المرابط على قمة التل الأزرق. وكانت مجموعة البط التي تخرج من لوحة وضعناها في الدرج لتمثيل الطبيعة.

وكانت جيون كارتر، تستعد لبدء اكتشافي؛ لنبدأ معا بناء قصور الأسطوانات، ونستطيع الغناء - ونحب الذي يبقى، ونعيش الذي يبقى، ونكون الذي يبقى.

بالمناسبة يا حبيبتي، وكما تعرفين - رغم حالات ضعف وموجات عجز - أنا قوي جدا وقادر تماما أن أعيش بدونك.. لكنني لا أريد. أريدك. أريدك معي فقط. وأريدني معكِ فحسب.

(٢١)

يوم صحوتُ قَزَمًا كبيرا تعجبتُ. هل في حُلْمٍ ما أرى أو أنا هكذا فعلا. منذ البدء أم هنا والآن. نظر سريعا إلى روايته فلم تعجبه. روايات الآخرين لم تعجبه كذلك. جلس يكتب رواية جديدة ربما. يكتب قليلا ويعزف على جيتاره الإليكتروني كثيرا. ويشرب أكثر بالطبع.

يخرج ليشتري مسدسا بكاتم للصوت. البائع يسخر منه وهو يجهز له بضاعته..

ماذا ستفعل به.

لا شأن لك.

أقصد؛ لو تحتاج مساعدة!

لِمَ؟!

يعني إذا أحببت أي نصيحة أنا في الخدمة..

لا. وفرها لنفسك ومن معك.

البائع حرن على الصفقة رغم احتياجه وحاول طرد جيمس لكن القزم قفز على العملاق وأمسك بخناقه وكاد يقتله حتى رضخ وأتمم البيعة بعدما دمعت عيناه واختنقتا بدخان البارود.

جيمس يستشعر انتصارا حقيقيا. مع ذلك يصر على استئناف ما بدأ. طيب، أما كان ينبغي أن أسأله كيف يعمل هذا الشيء. حمار كالعادة. أووفف. يعني المسألة ليست مستحيلة. أراهم في الأفلام يضغطون الزناد ويوجهون المسدس للهدف وحسب. عاد إلى المنزل فوجده باردا كالحا واسعا جدا بضيق ليس بغريب عليه. أعاد التفكير مرات وهو يعب الفودكا حتى استقر.

جلس على أريكته المعتادة. يفكر في الآلية؛ يضغط الزناد أولًا ثم يوجهه بدقة إلى الهدف، فانطلقت رصاصة في قدمه اليسرى. صرخ وتألم مغتاظا. المفروض أن توجهه أولًا نحو الهدف ثم تضغط الزناد يا غبي أو على الأقل تحدث الخطوتان معًا فيما أظن. كيف أفعلها؟!.

ما هذا؟! إن يدي أصغر من المسدس، ولا يمكنني التحكم فيه كما ينبغي. من أين إذن جاءت الطلقة؟! حاول القيام - توجع وصرخ مَنْ بالبيت؟! سمع صدى فوَجِلَ. آلآن يخاف للمرة الأولى في حياته؟! ياااااه. جاء بباله أنه هكذا قد يتعطل عن عمله. فجأة قال كيف؟! أنا سأترك كل شيء أصلا. عمل، ههههه. لن تكف عن غبائك أبدا طالما حييت. فلتمت ببساطة. وتريح. تردد في أذنه رغبة العالم في رفع معدلات البطالة وتأكيد المسئولين يقينهم في نجاح مساعيهم فأصابه غم آخر. لا أعرف حقيقة ماذا يضيرني ولِمَ أنا غاضب هكذا. فلأنجح أنا في مسعاي وكلٌّ يُسَرُّ بما حقق!!

الحديث السخيف شغله قليلا عن ألمه؛ ولم يشغله عن الهدف. حاول تضميد الجرح فانتهى عن ذلك مذكرًا نفسه بما عزم. قال أين تلك الأيام التي كنت أرسم فيها ما أشاء. طيب، تُرى - أنسيت كيف أمسك بالألوان والظلال والنور، وكيف أحول لوحة بيضاء إلى حياة صاخبة بجدارة التشكيل. هادئة بحذر لا ينقطع. هاه. هل أجرب؟!

وضع المسدس في رأسه. وانطلق..

الواضح أن أهم حاجة الصورة.

بقع الدم تبعثرت رتوشها على أريكته فتغير لونها بالطبع. لكن رغم هذا، هل هي الآن كما هي فعلا ببعض اختلاف أم صارت غيرها تماما بعدما حدث؟!

هو ذاته لا يعرف أن صار هو هو المفارق أو الفارق أم بَقِي؟!

تساءل هل كان ينبغي أن يُقْتَلَ حتى يظل يتساءل؟!

الأجمل بحق أن كل شيء فيما عدا ذلك ظل كما هو فعلا. يعني مثلا الحمام كما هو. المطبخ البعيد عن المسرح ظل أيضا كما هو. غرفة النوم. الشرفة. مكتبته. باب الشقة بالطبع. الأرض والستائر وبقية الأثاث في أمان. الأعجب أن جدارا واحدا فحسب طالته بقع دم متناثرة وشكلت هي أيضا صورة متوائمة ومناسبة جدا لصورة الأريكة الجديدة القديمة، ولوضعية الاستبطان التي بات عليها جيمس - البطل القزم - الذي تحدى كل ما قابله من سخافات كان آخرها محدودية ذكائه - فضلا عن يده الصغيرة التي ما انتظر يومًا أن تصير أكبر مما يجب!

(٢٢)

أَذْكُـر الموتـى. أَتَذَكَّرُهـم جميعـا؛ وهـم يموتـون جيـدا. أذكـر أنهـم ماتـوا كـما ينبغـي لهـم. وأني كـما لا ينبغـي لي لم أمـت كـما ينبغـي. لم يَتبـقَّ منهـم حتـى أرقـام هواتفهـم أو عناويـن الأكشـاك.

كيـف أسـتدل عـلى مـن يبكـي الآن ومـن يريـد أن أُحْـضِرَ لـهُ شـيئا مـن السـوبر ماركـت. كيـف يمكـن أن أسـاعد أحـدا الآن؟ كيـف لهـم أن يحادثـوني مثلـما كانـوا يفعلـون؟ كيـف أَسُـبُّهم عـلى نذالتهـم وهروبهـم؟

متـى يكـون لي شـجاعة مثـل الـذي في صبـاح الرابـع والعشريـن مـن كانـون الأول ١٨٨٨ تقريبـا فَعَلَـت الشرطـة مثلـما لا تفعـل؛ فأنقـذت فـان جـوخ بعـد أن بـتر أذنـه اليـسرى بشـفرة حلاقـة؛ ليسـتريحَ ويسـتعيد اتزانـه حتـى بعـد سـبعة أشـهر أخـرى. ليسـتريحَ، ويسـتعيد رُوحَ لونِـهِ الخشـبي. ليسـتريحَ مـن المسـيح. ليسـتريح ويسـتعيد «فـان جـوخ». ليسـتريحَ، ويسـتريح،،، ويسـتريح،،،، – وينتحـر..

أو كما يفعل **Pyotr Pavlensky** – الفنان الهارب من معهد الطب النفسي في موسكو؛ ليركب السور عاريا. يقطع على مزاجه أذنه اليسرى الأخرى بسكين مطبخ كبير، ويُغَنِّي/

«السكين يقطع شحمة الأذن من الجسم، بينما يفصل جدار الجرانيت هنا كائنًا عاقلاً من مجانين. أمّا الشرطة، فتعطي نفسها (كالجميع) صلاحية تحديد العتبة بين العقل والجنون، وكل

شيء» – وليقول لي بعد ذلك: أَتَذْكُرُ حين قمتُ بخياطة شَفَتَيَّ. وحين وقفتُ عاريا أمام مجلس النواب في سان بطرسبرج – ملفوفًا – بالأسلاك الشائكة؛ ليُفيقَ مَن بالساحة الحمراء، وأنا أدق مسمارًا في خُصْيَتَيَّ؛ لأتقربَ – من بيض العدالة!

(٢٣)

رحلاتهما إلى جلسات العلاج كانت كأنها إلى نادي التعري، ههههه. كلارا، زوجتي، الغالية، اصطفتني من بين رجال العالم لأشرف على رحيلها عن هذه الدنيا رغم يقينها بعشقي لها، ورؤيتي نفسي فيها وبها - جيمس الذي بحق - دائمًا - سلطان قلبها فوق سائر العروش. مرضها اللعين وَظَّفَها في غير مكان الإنسان العادي. أوقف - أو كاد - كل مفردات الحياة المتوقعة لبنت في العشرين، ليحل محلها قواميس الألم ومعاجم التخوف لا متناهية الأجزاء.

اعتادا أن يجعلا جلسات العلاج الكيماوي لسرطان المبايض الفاحش هذا «خروجة» - هي صحيح لا تكون إلا في مستشفى، وبين وأمام أطباء وأطقم مساعدة؛ إلا أننا قلبنا الجو لصالحنا، والألوان والأشكال المحيطة لتلعب معنا لعبتنا تلك.

قبـل تحركنـا مـن بيتنـا، لا نـبرح السريـر. نُـصر عـلى تأكيـد حفظنـا كل تفاصيلنـا جيـدا؛ بحـب ووجـل وإجـلال للحظـة، ولنـا. وببعـض امتنـان لقَـدَرٍ أَبَـى أنْ يُصْلِـحَ ولـو قليـلا مـن أخطائـه – كـما نـرى – ، قبـل أن تَنْفُـذَ فيـه سـهامُ قَـدَرٍ آخـر.

نـأكل معـا نـشرب معـا نضحـك معـا نبكـي معـا ننصـت معـا نلغـو معـا نلهـو معـا نصحـو معـا ننـام معـا.

ودائما كأنها آخر ليالي القمر!

نخشـى ذلـك لكـن أمل أن يكون هناك يقـين حقيقي وجميل آتٍ هـو ما يجاوزنـا جسر الرعـب الممـدود منذ ولـدت زوجتي مرورا بزواجنـا وبرحيلهـا بعـد ذلـك مـع اسـتمرار الجسر في التطـاول!

يومًـا ذهبنـا إلى الموعـد متأخريـن كعادتنـا، فـكان كل شيء كأنـه فاتنـا. نبـدأ في التلطـف مع الجميـع حتـى نأخـذ حقنـا الفائـت، أو حـق أحـد آخـر لكـن بـدون ظلـم.

الآن نبـدأ. تقـول الممرضـة. تسـتلقي كلارا عـلى السريـر. الغرفـة مزدوجـة؛ فالتأمـين الصحـي لا يوفـر غرفًـا راقيـة منفـردة مسـتقلة شـاردة واردة إلا للكبـار في الدرجـة والمسـتوى عـلى مقيـاس انفشـاخ المكتـب!

المهم أننا سمعنا أصواتا أزعجتنا. فهمنا أن جارتنا مريضة زميلة وحكمت الظروف أن تصطحب معها ابنتها التي حلا في عينيها الملهى فلهت بضمير الأطفال البريء الساذج.

بدأنا أنا وكلارا ننزعج بحق، ونتهكم على الأم التي لا تستطيع التحكم في دلع البنت ونحن في بقعة مقدسة على هذه الأرض الطاهرة بين هؤلاء الرائعين.

شفتي الناس الهبلة. مُصِرِّين يبقوا مزعجين ومقرفين بإبداع.

معلش يا بيبي. بس عندك حق على فكرة. البنت دي دلوعة أوي زيادة عن اللزوم. مبطلتش خبط ولا زعيق ولا مياصة من ساعة ما شرفوا جيراننا الأفاضل هادول.

طب مش كانوا يحطوهم في ركن العائلات أو الألعاب أحسن. بصراحة أنا مش طايقهم هما الاتنين وشكلي هشخط فيهم أو ع الأقل أطردهم برا ونخلص.

يا بيبي معلش عشان خاطري. يعني هو احنا هنعيش هنا. شوية يعدوا زي ما يعدوا. يا نكون خلصنا ومشينا يا إما يكونوا مشيوا هما.

أصل يا روحي بصراحة كدا مينفعش. دي مستشفى المفروض محترمة.

اشمعنا دي بس اللي هتبقى محترمة يا حبيبي. عشان خاطري متحطش في دماغك.

أنا مش حاطط يا بيبتي، بس البت هي اللي بتحط صريخها ف وداني وتركِّبني فرقة عفاريت.

حقك عليا، متزعلشي بقى، ايه رأيك تروح تاخد سيجارة سريعة على ما تيجي الممرضة ونبدأ. ومتقلقش، شكلها هتتأخر. شوف احنا بقالنا أد ايه مستنيين.

لاااا، هروحلهم، هو احنا ناقصينهم كمان.

تَحَرَّكْتُ من عش الزوجية المؤقت في يسار الغرفة إلى ساحة التعذيب في يمينها. ألقيت التحية على جيراننا الأعزاء والغيظ يأكل لساني. نظرت خلسة لأرى هذه الكائنة الثقيلة. تعجبت حين وجدت البنت ممدة في السرير مهتاجة ومتوجعة من كل شيء، والأم جوارها تحاول تهدئتها بكل الأشكال. أشفقت من ذلك. سألت الأم إذا كانت في حاجة إلى أي مساعدة. (وظللت أدور في ميدان السائل) .

قالت إن ابنتها الصغيرة هذه لا تقوى على المحاليل وأوردتها ضعيفة وجسدها دائما شاحب، غير أنها دائما خائفة لكنها عادة تستسلم في النهاية. لا تقلق. لا داعي لأي تعب. أشكرك.

خطوتُ نحو البنت، وخِلْتُها ابنتي. مسحت على شعرها، ورَبَّتُّ على كتفها الذي يغوص في الوسادة.

صباح الخير يا قمراية. إيه مالك يا قلبي..

صباح الخير يا عمو. أنا خايفة.

من إيه يا .. اسمك إيه صحيح.

آية.

الله. إيه الاسم الحلو ده. بس إنتي على فكرة أحلى.

متخافيش أبدا من أي حاجة. ماما جنبك وكلنا حواليكي. متخافيش، هاه.

تعثر لسانها وهي تقول: سرطان الدم دا رخم أوي.

ايه. انتي...

أيوا، آية عندها دلوقتي تسع سنين، من وهي صغيرة بتتعالج بس لسه مفيش تحسن. قالت الأم.

أردت أن تنشق الأرض حرفيا وتبلعني بالرعد الذي ضرب جسدي كله بلا رحمة ولا حكمة.

آيه حبيبتي متخفيش. (جسدي تزلزل بعنف ونجحت أخيرا في اعتقال حفنة دموع)

أصل الحقنة والكانيولا يا عمو بتوجع أوي. قالت وهي تتلعثم في كلام لا تستطيع تحمل وزنه.

غِبتُ قليلا، وعدتُّ لها ببعض الحلوى والمشروبات والألعاب. فرحت الأم قليلا؛ ففرحتها الأكبر تأكيدا ستكون بشفاء صغيرتها تماما. أما آية، فقد طارت بهذه الأشياء البسيطة جدا. ظهر في عينيها شوق وشغف وتلهف على العبث بما أحضرت لها؛ لكنها المسكينة بدأت تدرك مبكرا أن ليس بمقدورها فعل كل ما يحلو لها كبنت في هذه السن.

بدأت أفتح لها عبوة عصير، وبعض الحلوى، وأناولها لعبة. نظرَتْ إلى أمها وهي تنازع ابتسامة طفلة كبيرة، فأشارت إليها أمها بالموافقة. مدت آية يدها، وأمطرتني بكلمات الشكر وعبارات الامتنان، وقبلات البراءة بأوجاع الفرح.

قَبَّلْتُ جبينَها. رَبَّتُّ كذلك على ظهرها بعد أن ساعدتها في الاعتدال قليلا بجلستها عساها تجد في ذلك الوضع

الجديد بعض راحة. وجهتْ إليَّ عيناها الصافيتان المنكسرتان الصامدتان أثمن ما لقيتُه من شعور بعرفان.

استأذنتهما في الانصراف وبأنني في خدمتهما حال تأمران. عدت وأنا ناظر إلى الأرض ثم إلى السقف بحسرة. زوجتي كانت في غفوة خفيفة. اقتربت منها بحرص حتى لا أوقظها. أخذتها بين ذراعَيّ، ونفخت فيها من روحي. قَبَّلْتُها طويلا؛ كأنني أهرب من قول شيء.

(٢٤)

أكتب لا لأتحكم تماما في حيوات هربا من التحكم في حياتي. أكتب لا لقدرة أو عدم قدرة. أكتب لا لأتسلى معكم أو بكم أو أسليكم. أكتب لا لأقول. أكتب لا لأكتب. أكتب لا لأتصنع الصدق والإخلاص. أكتب لا لأدعي المعرفة والوعي. أكتب لا لأحاول الوصول. أكتب لا لأدعي الشجاعة والاجتراء والشفافية وكل هذه العائلة. أكتب لا لأَنْظُرَ أو أُنَظِّر. أكتب لا لأفهم ما لا أفهم وأدرك ما لا أدرك. أكتب لا لأنني لا أعرف شيئا آخر. أكتب لا لشهرة تقليدية وغيرها. أكتب لا لأتنفس. أكتب لا لينقطع نفسي. أكتب لا لأنني لا يمكنني الاستغناء عن الكتابة والقراءة حتى. أكتب لا لأقول إنني أكتب. أكتب لا ليقولوا إنني أكتب. أكتب لا لأملأ صفحات بيضاء أو بدرجات الأصفر. أكتب لا لألهو بمفاتيح الكتابة والذكورة والأنوثة. أكتب لا لأنني أحب مسكة القلم الرصاص أو الجاف أو الحبر. أكتب لا لأفهم أو لأكتشف أو نكتشف معا.

أكتب لا لأبقى. أكتب لا لأستمر في الحياة. أكتب لا لأكون لا أكتب. أكتب لا لأكون كاتبا أو كِتَابًا أو مدرسة.. أكتب لا لأسَخِّنَ الحروف قبل مبارياتها المصيرية وكل مواجهاتها كذلك. أكتب لا لأتدرب على الكتابة. أكتب لا لأصير يوما ما أريد. أكتب لا لأصير ما أصير. أكتب لا لأحتكر الوقت والطاقة لصالح ما أراه مفيدا أو ممتعا أو محققا لشيء أو ذات أو ربما لما يراه آخرون كذلك. أكتب لا لأصحو. أكتب لا لأنام. أكتب لا لأعيش. أكتب لا لأموت. أكتب لا لأضيف أعمارا إلى أعماركم، يا سلااااااااااام.. ههههه، أكتب لا لشيء يمكنني مضاجعتُهُ أثره في ضوء القمر. أكتب لا لأقرأ. أكتب لا ليقرأني كل من عاشوا أو يعيشون. أكتب لا ليقرأني كل من ماتوا. أكتب لا ليقرأني كل من لم يأتوا بعد. أكتب لا لأبتعد عن الركاكة والرطانة. أكتب لا لأبتعد عما أحب أو أقترب. أكتب لا لعمق أو لسطح. أكتب لا لأدشن فصاحة وجمالا وحرية وكل هذه القبيلة. أكتب لا لأتحمل الوزر وحدي أو لأُحَمِّلَه آخرين. أكتب لا لألحق بالسوق وغابته التي استولى عليها القرود والغربان والحِدْآن. أكتب لا لأكون. أكتب لا للأوتار الفائقة نظرية كل شيء. أكتب لا لأنصر الدم على السيف أو الحب على من عداه. أكتب لا لتحبني النساء أكثر. أكتب لا لأتخلص من وطأة مؤخرات آل كارداشيان وأخواتها فوق الأرضِ الهشةِ هشاشةَ بذلة الرقص الشرقي المصنوعة من

نسيج اللعاب. أكتب لا لألعب. أكتب لا لأتعب أو أتخلص من التعب. أكتب لا لأنغمس في شيء عن شيء. أكتب لا لأختلس. أكتب لا لأقتبس. أكتب لا لأحترس أو لا أحترس. أكتب لا لأنخرس أو أنحبس. أكتب لا لأطير...   أكتب لا لأكون كثيرا أو كبيرا. أكتب لا لأكون خطيرا. أكتب لا لأكون حميما. أكتب لا لأكون إنسانا. أكتب لا لأظل وحدي. أكتب لا لأستَحْضِر. أكتب لا لأَحْضُر. أكتب لا لأغيب. أكتب لا لأكون كالشمس أو القمر. أكتب لا لأخطو في اتجاه القدر أو عكس انفراط البشر. أكتب لا لأكون كالحجر المنقوش عليه طلاسم وتمائم وثعابين. أكتب لا لأحصل من المال ما يغنيني عن السؤال. أكتب لا لأكون في غير حاجة. أكتب لا لأقبع في حاجة. أكتب لا لأشعر بالسكون أو الحركة أو السلام أو الحَمَام. أكتب لا لأستحم. أكتب لا لأرحل. أكتب لا لأُسْتَشْهد أو أعتَقل أو أتحرر. أكتب لا لأنني سئمت الضجر. أكتب لا لأنني أنهيت الحاجاتِ والأشياءَ والأسماءَ والصور. أكتب لا لأهرب من برامج الواقع والخيال والطهو والكرة وطبيبك الخاص والأبراص والأغاني والرقص والخلاعة والمناعة والأبراج واحتساء الشاي مع المعتوهين أمام كاميرات البهاليل. (لا أكتب). ههههه..

أكتـب لا لأتمسـك بـشيء أو أدع شـيئا، واحـترازًا سـواهما. أكتب لا لأهـرب من تسـونامي مقاطـع الفيديـو وشركائـه. أكتب لا لأهـرب مـن التماثيـل الحيـة وبراكـين الجثـث. أكتـب لا لمجـرد أن أنشـغل. أكتـب لا لأختبـيء مـن الميديـا التـي تنصـب نفسـها وسـيطا حكـما يصـير حاكـما غالبـا محكومـا مسـوقا بعصـا أعمـى مختـارا مجـبرا. أكتـب لا لأتذكـر. أكتـب لا لِخِطَـاب. أكتـب لا لأضـع الصيـد في القيـد. أكتـب لا لأنني أو لأنهـا. أكتـب لا لأن.

أكتـب لا ليسـتفيد القـاريءُ احتـمالًا، ولا ليسـتفيدَ النـاشرُ يقينًـا. أكتـب لا ليسرقنـي النـاشر والطابـع والمـوزع والمعلـن والعـارض والناقـد والقـاريء والكاتـب والصحفـي والمذيـع ومنظـم الفعاليـات والباعـة والمشـترون والمتفرجـون واللاعبـون في أعضائهـم وحاجـات غيرهـم كعادتهـم. أكتب لا لأعمـل؛ العمل ذاتـه كذبـة هائلـة لا يَعلـمُ صِدْقَهـا إلا الحقيقيـون؛ إذا كانـت الحيـاة ذاتهـا كذلـك، فـما بالـك بعنصريـن فحسـب فيها. هـاه؛ لا أَسْـمَعُكِ تُحدثيننـي ثانيـةً مـن فضلِـكِ عـن الكتابـة أو العمـل ورفاقهـما مـن عنـاصر العنـاصر ههـهـ، أو عـن الحيـاة بالطبـع. اتفقنـا!!

Clara, How about being just as jazz performers; Don`t say but play -

And not crying while trying to stay!

(٢٥)

أنـا: حيـوان منـوي، وبويضـة، وحاجـات أخـرى لا داعـي لذكرهـا الآن. دع كل شيء مـن فضلـك لوقتـه، ولحالـه.

أنـا، لي حياة بالطبع. إنسـان يعنـي. لي آبـاء وأمهـات. عـادي. اثنـان منهـما قَذَفَـانِي، وجَرَيْنَـا معًـا متفرقِـينَ في التيـه البيـاني الجميل. يمكنـك تشـبيهنا بقطـع جبـن في مصائـد للفئـران. ولـن نغضـب إذا شـبهتنا بالفئـران. لكـن أرجـوك لا تبالـغ في تشـبيهنا بالمصائـد. يمكنـك أيضـا أن تطلـق علينـا جـرذان الصحـاري الشاسـعة ولا تخـاف؛ ما فائـدة الوراثـة والطفـرات والقرابـة والنسـب والمصاهـرة إذن!!

طبيعـي جـدا. درسـتُ ومـا تعلمـت. أكلـتُ ومـا تَغَذَّيْـت. رضعـت ومـا فطمـت. قُمِّطـتُّ ومـا نَظُفْـتُ ولا حُمِيـت. وهكـذا حبيبتـي تسـتطعين الاسـتمرار في جمـل زميلـة؛ لـو تملكـين وقتـا كافيـا لإشـعال عـود ثقـاب. واحـذري -

إذا نَاءَ الشيءُ واسْتَنْوَقَ الجَمَلُ؛ فَقُلْ على الخَيْتَعُورِ السلام..

أحب ولا أكره. أعتقد أنني أحب جيدا. صدقيني. ولا كراهية حتى كما ينبغي للخالدين. اِلْتَمِسِي لهم العذر؛ جاءتهم أوامرُ التهجير صباح العيد فهُرِعُوا تاركين الأضاحي مُعَلَّقة.

لست من الأجيال العظيمة التي فعلت أشياء كثيرة كبيرة، ولا من الأجيال الجميلة التي لا تبحث إلا عن الطعام والشراب والمال والسفر والتحقق والإنجاز والتملُّق والتزحلق والتحذلق والتَشَبُّق والمتعة والقفز والامتلاك والتكديس والجنس والتخلص والتملص والنكوص والدعاية والهواء، وسائر وصفات البيض المُخَصَّب.

سمعتهم يرددون أقوالا عن خَلْقٍ وانبثاث وتوالد وتلقائية وذاتية. عن نمو ونضج ومراحل وموجات. عن كليات وجزئيات. عن نظام وفوضى. وعن جنة دخلها واحد وخرج منها آخرون. عن كون وأكوان. علوم وآداب وفنون ومعارف وحضارات وثقافات ورسالات. أنبياء، وممالك الأرض والسماء، وديانات وأعراف وعادات وتقاليد وتراث وأمجاد وحروب وكوارث. أعمال وسعادة وحاضر وماضٍ ومستقبل وحياة وموت - وعنهم وعني. ولم أقنع.

أحـب ولا أكـره. أعتقـد أننـي أحـب جيـدا. صدقينـي. هـل لأننـي أحببـت شـيئا أو أحـدا فقـد خنـت بالـضرورة سـواه، أو ينبغـي أن أخـون كـما يجـب حتـى يتمثـل لـك الإخـلاص الـذي تقولـين.

تنورتـك لا تنحسر عـن ساقيك كـما أحـب. ولا قميصك عـن صـدرك. ألا تخلصـين لي أنـا أيضـا!

(٢٦)

كما اعتاد ظل يسير حذاء النيل. قابل كلارا. عرضت عليه نفسها. تردد ثم قال ولم لا.

(حقيقة لا أعرف من عرض ماذا على من. أأكون قد عرضتُ نفسي عليها حين رأيتها صدفة وهي تلميذة! احتمال كبير يا أستاذ. ههه. أم التقينا فجأة فالتقينا في الموعد تماما؟!! أعتقد لا أهمية لعين الأمر، أنا كتبتُ السطر الأول وأنهيتُه وانتهينا. يكفي أو لا يكفي؛ من يدري؟!)

اتفقا على السعر والمكان وبقية الأشياء. أخذها بين ذراعيه. ناما. توجعا قليلا. ثم تقافز سلاما. أما هي؛ فلا يعرف. بدأت فترة الحديث التي تلي التلذذ الغريزي.

ما اسمك؟

كلارا.

الحقيقي!

كلارا، صدقني.

ياااه، يعني لا تخفين شيئا حتى اسمك.

طبعا.

طبعا نعم أم لا.

هههههه، أنت ذكي.

وأنت لم تحدثي.

طيب.

أهكذا؟!

ماذا تريد يا...

جيمس.

أعتقد أن اتفاقنا تم.

أحسب أن الوقت لم يحن بعد لانصرافِك.

لااااا، أنا لست كغيري.

أعرف.

إذن!

لا شيء.

إذن إلى اللقاء. شرفتني معرفتك يا عزيزي..

بالله عليكِ انتظري.

ليس لدي وقت، وإن كانت طاقتي لا تنفد.

ألم أقل لكِ؟

ماذا؟

أرجوكِ انتظري.

هاه..

أنا وحيد، وليتك تبقين معي الليلة. الليلة وحسب. لازم. عشان خاطري.

لا خيار لي. وعلى فكرة، مفيش شيء لازم ولا حاجة ولا أي حد. كله مات وكلو برضه عاش عادي يعني أسرع من طرقعة الصوابع.

عارف. طيب.. بس دي مسألة فيها نظر، المهم،، ءءء إذن ستبقين.

لا، مضطرة أن أذهب، ورائي آخرون..

زبائن؟!

هم وغيرهم.

لا أفهم.

لستَ مضطرا، ولستُ مجبرة أن أشرح!!

لم أنت جافة على غير رقتك الطافحة؟

ليت الظاهر كالباطن.

ماذا؟

ماذا أنت؟

كلامكِ غير متوقع وعجيب.

أنت أعجب، وأنا أعجب وأعجب. ههههه

كنت أعلم أن وراءكِ سرًّا.

من فضلك، دعني أذهب.

أرجوكِ..

ألـو، حبيبـي، تقريبـا انتهيـت وفي طريقـي. نعـم، كـما اتفقنـا. أوكـي. أحبـكَ حتـى أعـود. قَبِّـل آلبـا. قـل لهـا مامـي متيمـة بمَلاكِهـا. وقَبِّـل نَفْسَـكَ حتـى تحبنـي أكثـر. وأنـا أيضـا. تشـاو!

زبون؟!

هھه، لا، إنه جيمس، زوجي.

ماذا؟!!!

ما في ذلك؟!

ءءء اعتقدت أن الـ، لا، أنا لا أفهم..

أُطْلِعُكَ على كل شيء لكن شرط أن تدفع لي تعويضا عمن سأفوتهم وربما أخسرهم أبدا.

موافق.

إذن، هات ما بيدك أعطيك ما في صدري.

هھه، كلي آذان وعيون وقلب؛ ملكك أنت وحدك وفقط ..

ما علينا. هه. يا عزيزي أنا امرأة عادية، سارت حياتي بدايةً كما كنت أرجو، لكن بعدما آنَسَنَا ملاكُنا «آلبا»، أحسست وكأن الشياطين تعبث برأسي ونفسي وروحي.

لهذه الدرجة..

لا تقاطع. اتفقنا!

اتفقنا.

لا تسأل عن السبب. فليس كل شيء له سبب. حتى لو كان، ربما يكون مجرد علة ظاهرة، أو ليست وحيدة، هذا بالطبع إذا كانت علة حقة.

كلامك لا يقول أبدا إنك ءءء، أعتذر، لكن أقصد «فتاة ليل عادية»

ماذا قلنا؟ هاه. عموما، أنا دَرَسْتُ الفلسفة والأدب المقارن والموسيقى كذلك. هذا ما أستطيع تذكره الآن. ههه. تشعل سيجارة، بعد اعتدالها في جلستها على حافة السرير، وظهرها له.

يعني لم يخدعني حدسي.

بمعنى!

لستِ مومسا، ءءءء، أعتذر، ولستِ كبقية النساء. أعتذر مرة أخرى عن كلام منه الجارح ومنه ما يبدو قديما لكن لا ضير. هو صادق وحقيقي، وكفى.

المهم؛ بعد تخرجي، حلمت بتحقيق أحلامي كافة في واقع صدمتني كوابيسه من ذوات العيون المتتنة. عادي جدا. بنت. صغيرة. تقدر أن تقول بريئة. نقية. حالمة. واضحة في ما تقول وتفعل. وسط عالم جميل، يضع كل المساحيق على جسده، ولا ينسى أن يرميك دائما بحمض يذيبك. يخفيك. يقتل مباشرة

بحروق وحشية مهينة. ثمنك لا يتعدى لديه لحظة الضغط على الزناد بعد توجيه الفوهة نحوك!

يااااه. كل هذه المرارة. أنا أيضا أشعر مثلك، وإن كانت الحياة أحيانا تلتفت إلى أخطائها، وتغفل قليلا عن أخطائنا، وإن شئتِ تخطيئنا.. يعني رغم كل شيء يمكننا النفاذ.

بالطبع كلامك يبدو واقعيا. أو معتادا. لكن ما لا تعرفه، أن هناك من يولدون وفي يدهم كتابهم الثقيل بلغته المندثرة - المطموسة حروفها، واليد الأخرى تشرف على مراسم التوقيع فقط.

قبل أن أنسى أو تفهم أي شيء مني على غير ما هو، فإنني أعاني منذ كثير لإصابتي بالاضطراب ثنائي القطبية. أعتقد بسبب صدماتي المتكررة ولأنني أيضا يدعي الأطباء والناس «حسَّاسة». لكن السبب الرئيس هو تاريخ عائلتي المشرف وقائمته الطويلة المتخصصة في تلك الفصيلة.. ههههه، المهم - هذا المرض يأتي باضطرابات، وهوس، واكتئاب، وابتهاج.. تغيرات غير متوقعة أو متوقفة على الحالة المزاجية المعتادة، والسلوك السالك المسلوك - ههه. شعور بالضيق الشديد وصعوبة في مواجهة الحياة. وتحملها.

هههـه، تحملهـا! يعنـي الـلي مـش بيقـدر يتحمـل الحيـاة دا مريض. أنـا قلـت كـدا برضـه. طيـب أنـى لنـا بمستشـفى يسـع كل هـذا العـالم المتضعضـع!!!

مـا علينـا. أكمـل لـك، الذُّهـان – الانفصـال عـن الواقـع، زيادة النشـاط والطاقـة، والإثارة والنشـوة.

إذن هـذا يفسر أداءك الخرافي الليلـة، هههههـه. أمـزح فحسـب. المهـم أكمـلي مـن فضلـك.. ينظر إليهـا بلهفـة غريبة عليـه، وباهتمام أحسـه حقيقيـا وأغـرب مـن اللهفـة التـي أدهشـته قبلهـا.. كـما أنـه غضـب مـن نفسـه لقولـه لهـا مـا قـال باعتبارهـا مومسـا حاذقـة – يشـكر لهـا زبونُهـا انبسـاطَه.

المهـم، ثرثـرة، تشـتت، تسـارع الأفـكار، الانخـراط في علاقـات حمقـاء وخطـوات رعنـاء، الإسراف في الـشراب، في الـشراء، في ممارسـة الجنـس، فـترات ضغـط جنـسي شـديد، إدمـان المخـدرات والكحـول، ارتفاعـات وانخفاضـات حـادة في العاطفة والشـعور، تقلبـات عصبيـة مفرطـة، تصرفـات مدمـرة، محـاولات انتحـار، هههـه، وقـد يرجعونهـا مـع الوراثـة إلى تغيرات عضويـة في الدمـاغ. لا عليـك.. أكمـل لـك – ضعـف الأداء.

لاااااااااااااااااا. لا أسمح. أين ضعف الأداء هذا. هو مش كان في الأول زيادة نشاط وطاقة ونشوة وإثارة. هو المرض دا أحول. هههه.

لا تسخر. هو مرض كغيره، لا يعرفون سببا مباشرا له. تكهنات. وإذا أردت أن توقف الإهانة قل محاولات. استبصارات. يعني. باخد دوا، بس الظاهر مش شغال عشان الدكتور عايزني!!

كلارا.

نعم.

لا تذهبي أرجوكِ.. أحتاج إليك فعلا وبشدة.

منذ متى؟! تَوًّا التقينا. صحيح تحدثنا، لكن أهذا كافٍ!

يكفيني.

أما أنا فلا. أنا حرة!

لِمَ؟!! أحببتكِ صدقيني.

انظر إلى نفسك. أنصت جيدا لما تقول من فضلك.

ما لي!

هههه، مش قصدي. بس علاطول كده. ازاي.

مش مهم

عموما يمكن بعدين، سيبني دلوقتي ألحقهم

أرجوك لا تذهبي. أرجوكِ..

شعرتْ بشيء كامن تجاهه. ترددت. عادت إليه. دفنت رأسها تحت كتفه اليمنى، وهو أحاطها داخله. أحسا برقائق صمت تغطيهما بجبال من كلام طائر. ضحكا. ثم بكيا. فالصمت الآخر..

لما حان وقت الكلام، نظر إليها بدهشة وسكينة، ثم، غازلها كثيرا، وانخرطا في لهو طاهر.

ظلا هكذا حتى قال جيمس مزهوا بابتسامة وادعة خجلة ثم مستحاثة:

على فكرة، أنا بحفظ شعر غزل عربي مشهور وعظيم. وحاسس إني عاوز أقولهولك دلوقتي.

بجد!

اسمعي هذه المقطوعة البليغة الرقيقة - التي أحببتها كثيرا أول ما وجدتها:

يا بنت يا امُّو مَرْيَلَة كُحْلِي

يا شمس ناشفة بس مَبْلُولَة

أبوكي راجل ييجي ويقوللي

هو انتي هبلة والا مَهْبُولَة

تضحك بهيستيريا وكأنها لم تضحك من قبل، فكادت تفضحه في سائر الحي والوقت مَوَات.

إنت فاهم معنى اللي بتقولو ده؟!! هههههه

أنا عارف انو كلام حلو أوي طبعا، وانا حاسس بيه فعلا، اللي سألتهم قالولي كدا لما رحت المركز الحضاري لثقافات المتوسط ودورت على نماذج ومخطوطات بتحكي تاريخ تطور الأدب والفن - خاصة موضوعة الغزل - وعلاقتهم كلهم بحياة الرفاهية وفترات الحروب.

لأ تمام. ههههه

ما رأيك لو هاتفت زوجي ونكون معًا. ثلاثتنا وفقط. وحدنا.

كيف -

معًا.

لِمَ.

ألم أقل إن ما أعانيه لا أنساهُ ما حييتُ لو أشربُ السُّلْوَانَ ما سليتُ ما بي غِنًى عنه وإن غَنِيت!!

أحببتك!

خلاص

موافق. قالها ولم يعرف لِمَ وكيف وماذا يفعل. أو ما الذي يمكنه وما يريد.

طبعا تنتظرون العبارات الملتهبة والأصوات المتناكحة. لاا!. تخيل بنفسك يا أخي. ساعدني!

المهم. كان تصرفا شاذا. لك أن تقول ما تشاء. هذا ما حدث. الأغرب أن الثلاثة كما كانوا منخرطين فيما يلتحمون، أُغْرِقُوا في العَرَق، ونوبات متعة مدفوعة، تلتها نوبات بكاء مكتوم.

CUT

الكاميرا في بيت كلارا وزوجها. تدخل إلى غرفة آلبا صغيرتها. تطمئن عليها وتغطيها جيدا. تقبلها. تخرج مسرعة مشدودة من البيت دون أن تلتفت إلى جيمس. تدخل السيارة بعنف. وتغلق الباب والزجاج.

رايحة فين يا حبيبتي

إلى جيمس. قرأت شفاهه من خلف الحاجز. وهو سمعها بوجعه!

الكاميرا على زوجها والسيارة تتحرك. هو يفكر بذعر. لا يحاول منعها. الكاميرا على عينيه وهو يبكي. الكاميرا تبتعد رويدا رويدا عن السيارة وعيني كلارا المترغرغتين بالدمع على اتساع مذهل. الكاميرا تبتعد تبتعد حتى تثبت على صور متتابعة للُعَاب الشمس.

صمت.

الشاشة فارغة بألون متداخلة..

صوت قطرات ماء متقطعة ورياح شديدة تضرب صحراء شاسعة يليها أغنية تلعب كاملة:

Nothing Else Matters

Metallica

كان بعدما قَبَّلها ثانية وثالثة كثيرا غافله سلام عجيب آخر فأغمض عينيه. بدأ يتمتم عن عثوره أخيرا على بداية وشكل للنص المسرحي الذي كان يشتغل عليه فترة طالت بشدة لظروف ومرض. بالفعل، وبدافع لم يتمكن من تتبعه، شرع وهو شبه نائم شبه صاحٍ يُسْمِعُ كلارا النص ويمثله، رغم قناعته بأنه يجب أن يُقرَأ من ورق – لا من فم يضيعه في متاهات الآذان والنسخ..

يأتي هكذا ويذهب كذلك

١- رائحة المال

الفصل الأول

المشهد الأول

يصعد إلى ذلك الأنف دون رهبة كافية. يربط فيه الخيط. يُثَبِّت حلقة محكمة، وينزلق..

مَنْ خَبَّأ طاسة الرغبة في كُرَة الثلج؟ ألم يكن هذا الذي - يعلم ماذا تقول الطبيعة. الباب يدق، وبيت الرب. حان الآن موعدنا. يدكِ في يدي بسرعة لِنَرْكَبَ الشمس. لُفِّي ذراعيك تماما حول خصري، وحاولي التمسك جيدا - بحقكِ: في القفز بالليل، مرتدية حذاء التنس، فحسبُ، عند النوم - غَيرُ مهم حتى الفضول - سوى، لكلينا. أنا وأنت معا في اليوم . يا لحظه السائل.

يقول واضعا كوعه على جذع النافذة

ما، سبق

المشهد الثاني

يدخل الملاك ميخائيل، ويخبيء في جيبه إصبع روج

يبدأ الصوت الجديد في التجربة:

(حتى لا أُتَّهَمَ بقسوة؛ هاتِ ثدييكِ؛ لأقطعهما - بشفرتك. نزنهما في مقابل ريشة نحلة؛ لنرى. لا، لم أخطيء. هي ريشة نحلة فعلًا. ألم أقل إن عالمنا ليس بعالمنا، وإن ما يحدث أو لا يحدث فهو حادثٌ حادثٌ لاحادث. وإن ما نراه غير ما نسمعه غير ما نعيشه غير ما نشعر به وله. الميزان الحقيقي في ذلك كله هو: الهواء، الرائحة، الكفة الأخرى، الداخل، الخارج.. وأخيرًا، ربما، يكون هناكَ - أخيرًا - مهما يكن. آه، لا تنسَي أن تعطي كل واحد اسمًا ورقمًا، وخارطة. لا شيء نضمنه الآنَ - كما تعلمينَ - خاصةً، فيما بعد.

خطوتـين إلى الخلـف، يصطـدم بكـرسي البيـت، يـصرخ مـن هـول المفاجـأة –

بنشوة

يضحـك المتفرجـون عـلى صرصـور تسـلل إلى خشـبة المسرح فطفـق البطـلان يخصفـان عليـه مـن ورق المؤلـف. الإضـاءة تبـدأ في التهافـت..

يـد صفـراء تدلـف إلى علبـة الربيـع، ثـم تأخـذ المصابيـحَ حُمَّـى بـلا إرهـاص.

الاضطـراب بـادٍ عـلى وجـوه الخمسـة والسـتين والثلاثمائـة الممثـل وجـزء واحـد مـن أربعـة.

في الكالـوس ينتحـب المُخـرج لإمكانيـة ضيـاع فرصتـه الوحيـدة، وتـأتي القطـة السـمينة فيكتمـل كل شيء..

شعور بارتياح غريب يطير فوق، ويُحَلِّق أبعد فأبعد

المشهد الثالث

حرب كونية شاملة: كل البلاد مشتبكة ومضطرة أو دافعة لهياج. جميع المشاركين في طريقهم إلى الإنهاك؛ الدول الغنية: تخشى على كيانها وفي الوقت ذاته على قيمة الإنسان فيها. تستأجر محترفين لخوض المعارك. الرصيد ينفد، تضطر للزج بأبنائها، إلا أنه ليس الجميع أيضا، فمازال أفراد يُخشى عليهم من لسان الهواء الطائر. رويدًا رويدًا تتحول المدن إلى عشش خاوية، تهرع السلطات للاستعانة بمخزوناتها الهائلة، إلا أن خشبة المسرح ذات حوائط ثلاث والسقف عالٍ نوعًا ما - مهما كان الأمر فكل شيء له حدود - يفكر المؤلف في نقل المعارك إلى ساحة ثانية وثالثة ورابعة ووو حتى لو كلفه الأمر وظيفته..

القائد العام يقفز على الحديث القائم فتنكسر ساقه ثم تقع رقبته في يد وزير الخزانة من شدة الخوف، فالظرف لا يحتمل الخطأ، ولا التجريب. ولا غفران بعد.

المشهد الرابع

أصوات بكاء عجوزَيْنِ مُنْزَوِيَيْنِ في ركن الغرفة. يقولان فعلنا كل شيء معًا؛ سوى أن نصبح بابا وماما. أنجب هو من أخرى وأنا حاولت مع غيره. ظل بيننا الإخلاص والاحترام والوفاء والتكريس والبقاء في السراء والضراء - عناوين ومباديء، ومحاور أساسية ومِنَصَّات - للتساؤل:

أيها الولد الذي كان حُلمي. أيها الصغير تماما لتجديد الذكرى. لا تنس الذي جاء بك. أعطِ كلَّ ذي حق حقه، واعلم - جيدًا - مَن أنت.

تحتشد الصور في ذهنيهما حول النطفة وأطوارها حتى وصلت إلى مرحلة الاعتماد الكلية، وعاشا على أمل التحقق، والانبساط. تأتي الرياح فتعوي كما لا تشتهي السفنُ.

كبرنا، ولم يتغير حال الحال. ما الفرق الجوهري الذي ربما قد أحدثته الخلفة ؟

نحن معا، ولسنا معا، أما عن تبرير اللحظة/ لا ندري

الفصل الثاني

مشهد الختام

(جوقة أخرى تنتحب..

تبكينَ

لأنَّ

لا أحدَ

لكِ

ولا

لكِ

أحدٌ

«مثلي»

–

الفصل الثالث

«محاولةُ دَسِّ مرآة واحدة في يد الوقت»

عُـد بظهـركَ خطـوةً سريعًـا. وأنـتَ - عـلى تلـك الحـال/ لا تغمـض عينيـكَ مهـما حصـل. عـد خطـوة أخـرى، واحـذر أن تعجبـك الحـال. توسَّـطِ المـكانَ بالتقريـب؛ لتضـع قدميـك في الحقيقـة - عـلى الأرض. انحرِف يسارًا ملليمـترًا، ثـم قِس زاويـةَ التغـيُّر، وظِـلَّ الآن..

اتَّجِـهْ يمينًـا قليـلًا قليـلًا، ثـم قِـس هـذا التحـرك، واسـأل نفسـك لِمَ لَمْ تتحـدد المسـافةُ الأخـيرةُ مثلـما تـم مـع سـابقتها. انتظِـر الإجابـة.. خـذ نظارتـك مـن فـوق الجبـل.. جفـف مـا قـد يكـون علـق بعدسـاتها مـن سـكونٍ أو سـكوتٍ أو كلامْ.. قِـس ارتفـاع هـذا الجبـل - قبـل وبعـد التجربـة - صَـفِّ ذهنـك مـن سَـلَّةِ مـا كان.. كَثِّـف تركيـزَك عـلى صـدرٍ تحبـهُ، و، يحبـك. لا تُنْعِـم النظـر طويـلًا فيـما يـأتي. كـرِّر مـا سـبق..

هـل تذكـر ورقـة الشـجر التـي سـقطت ونحـن نتحـدث.. هـي تلـك.. هاتهـا.. كـن رفيقًـا بجفافهـا. ضعهـا بـدل النظـارة فـوق الجبـل.. مُـدَّ ذراعـكَ – جيـدًا – حتـى لا يسرقَـكَ الوقـتُ، والمسـافةُ، والتشـتت. قـف، وقـل: مَـن لي ببعـضٍ ممـا أريـد. أخلِص النيـةَ – ثُـمَّ، قـم – عـلى استحياء – تفقـد آثـار الحركـة في هـذا المحيـط، ثـم انتبِـه إلى كل فَـرْق. هـل تذكـر زجـاج الحقيقـةِ؟ ذاكَ الـذي قـد اسـتوعبَ قدميـكَ فيـهِ (– عـلى الأرض –) ..

أَلصِـق وجهـك فـوق ظهـرهْ. اهـدأ.. تنفـس بعمـق. لا، تتحـرك..

هل تذكرُ الـ مِرْآة؟ ا ل م ر آ ة، هه. آه

الفصل الرابع

حينما حملوا كفني، وأمالوه قليلًا – إلى الأمام، سقط الهيكل في الحفرة بسرعةٍ جعلتني أشك أني أعرف المكان، وأني قد أتيت إلى هنا مرةً، وأني سآتي إلى هنا مرات بعد مرات. قفزت جيدًا – بلا صوت. ثم تألمتُ قلت « آه « قصيرة جدًا لم تُسمَع. شعرت بِكَمْ حفنة من بودرة بيضاء تُنثَر. كما أحسست بالسماء مثلما لم أعهدها: شبيهةً بكل ما ذقتُ من قبل، ولم أذق. كأنها «تي شيرت» لطيفٌ تماما – جاءني هدية – غير متوقعة – في عيد ميلادي – من أجمل امرأةٍ في كل شيء. في كل زمان/ مكان. وأنا بالطبع – لا علم لي – في – كل شيء. في – كل – زمان/ مكان.

الرجل الجالس عن يمين يغير يده، ويبحث في الحقيبة عن قدم المرأة المنفتحة هناك تخبيء ما تريد في صدرها بينما تعدل الأوضاع

تصفيق حار..

قطع مفاجيء على قاعة الضيوف

القلـق يسـاور المهتمـين لعـدم تمكـن البغايـا جميعهـن مـن الحضـور؛

لأوامر من الباغين

والمحاكم العليا.

أصوات المارة تبدأ،

الفصل الخامس

يقـف المِيكْـرُو؛ ليقـول إن التماسـك الثقـافي، والحمايـة الاجتماعيـة، وأشـياء أخـرى لا أذكرهـا - هـي مـا تقـوم عليـه جمهوريتنـا الحـرة، وديمقراطيتنـا القوميـة النبيلـة؛ لـذا؛ لا تصدقـوا أبـدًا أن مـن يـأتي إلينـا قاصـدًا حاجـةً لا يجدهـا.. نحـن الممتلئـون لنفيـض عـلى هـؤلاء المسـاكين. واجبنـا المقـدس/ الـذي كرسـتنا لـه آلهـة الضِّعـاف، وراهبـو القـادمْ. لقـد فعلنـا مـا بالوسـع حتـى ندشـن معنـى جديـدًا لموسـم الهجـرة الـذي دائـما إلى الشـمال، بـل مواسـم الهجـرة. حـاول أحـد الطيبـين - مـرةً - تذكيرنـا: أن الهجـرة إلى الشـمال/ مـن الجنـوب، فَـرَدَّ عليـه صاحبُنـا، والـشرق، هـاه - أم نسـيت. أشـاح بوجهـه، وأشـار إلى الراقديـن عـلى أسـطح القطـارات، و، دمعـت عينـاه؛ لَمَّـا جـاءهُ مـن القبـو صـوتُ مَـن قِيـلَ هِـيَ أُمُّـهُ - عـلى سـبيل المجـاز - أو الحقيقـة - مـن يعلـم! التـي حَشَـت أحـد جواربهـا قشًّـا وقماشًـا؛ (حاوَلَـت إيصالَـه إلى درجـةٍ تُقـارب نوعًـا شَـكْلَ الشـدي، وملمسَـهُ.. واضعـةً إيـاه في حضـن صغارهـا الذيـن فـاق عددُهـم نَهْـرَي العينَيْـن. الأم اتجهـت بحملهـا

نحو العُنُق. ثم انعكست إلى السُّرَّة التي تربط وتفصل أمريكا اللاتين عن بارونات الأنجلو.

[من المؤكد أن هناك مالًا لي في تلك الأرض. قالت، سأكون ممتنةً لانتظارِهِ لِي، حتى لو ما تعدى حجمُهُ - «الصراصيرَ الثلاثة.»

.

.

.

ويصطك باب نورا

-

الفصل السادس

العالم كله، منتظرًا الولادة. هل سيأتي للأمير جورج شقيق كالعادة أم فتاة أنيقة - تغير القانون. هنا هنا في لهفة وفي شاشات التلفزة، والهواتف لا ترتاح.

يااااااه على الدنيا. التي كانت مُدَلَّلَةَ الفراش أمس، ويخطب ودَّها المحتاجون أمس.. ماذا اليوم؟

الهواء مشحون برائحة الظروف. الأنظار مشدوهة والفؤادات معلقة بحفيدة مرغوبة لـ (ديانا) التي لم تشعر يوما أنه يرغبها (أحد) - ويحبها كما هي تحب؛ لأنها: هي. لقبوها بأميرة الغلابة تَصَوَّرْ! عذرًا، آه ليس كذلك، وإنما أطلقوا عليها (أميرة القلوب).

المهم، والسبب كذلك، أنها لم تصدق فلاشات الكاميرات، وأزيز الباباراتسي، وأغلفة الصن. لم تحبذ عقيدة العرش؛ بل ظلت على إيمانها النحيف.

الإمبراطورية الباردة، تحن. اسم الأميرة الجديدة التي وضعتها دوقة كيمبريدج/ زوج الأمير ابن ولي العهد وحفيد الملكة الأم.

ظهيرة السبت ثاني أيام أيار مايو ٢٠١٥

المواطنون الشرفاء والمنتمون تركوا أشغالهم وتحلقوا حول القصر لرؤية الآتية من بطن (كيت ميدلتون) التي ليست كبطن الإنجليز، لكنها حتمًا تمامًا - بطن بريطانيا العظمى، ووجه الذي لا يعرفون. اسمُكِ يا أميرة، هو ما ينتظره العالم.

اسمُكِ / إذا تتفضلين

٢- رائحة السُّم

الفصل الأول بعد الوضع

يعـود الجماهـير للراحـة في بيوتهـم اسـتعدادًا لفصـلٍ آخـر بعـد أسـبوع واحـد؛ إذ يبـدأ الحلفـاء احتفـالًا بالذكـرى السـبعين أو الألـف لا أتذكـر لنصرٍ عالمـي ضـد العـالم.

«من اليمين إلى اليسار:

الجيـش الأحمـر - الأخـضر - الأصفـر - الأزرق - الأسـود - الأبيـض - الأفعـواني - العماليـق - الراجمـات والخوازيـق

«ويبـدو للمراقـب أول وهلـة أن عـدد أفـراد الجيـش الأبيـض بـلا حـصر، في حـين يصطـف الجميـع عـلى شـكل قـوس قـزح، ويتجهـز العنـاصر لإطـلاقٍ ذي دقـة متناهيـة ..

[حمامـةٌ، للسـلام..حمامتان، للسـلام، فللسـلام ذاك الحمام، والسـلامُ عـلى الحمام

[خطـوةٌ للـوراء.. خطوتـان للأمـام، فالسـلام للأمام، والسـلام عـلى الأنام

* وتواصل الجوقة.. فيما بعد.

كاتيوشا، يا حبيبتي.. بصواريخك الستة عشر، والكيلومترات الخمسة على الأقل، وفيما لا يجاوز أبدًا - عشر ثوانٍ، تحبينني ..

لي خبرةٌ من التحليق بالطائرات الخشبية - لساعات قد تتجاوز الأربعمئة ..

كاتيوشا، يا جمجمتي.. ما الفرق بين موسكو ولندن وواشنطن.. هل تعرفين؟

تأملي طريق برلين. هل تتحدثين الآن الفرنسية في روما أو أوشفيتز؟

ألم أقل إن العولمة كانت معي فوق المقعد..

الآن أذكر أنني كنت أحمل سطلًا من المياه أصبه فوق الحفرة، فأصطاد ثلاثًا أو أربعًا من قوارض.. كبدائل للحم العزيز. أما في أيام الحرب؛ كنا نغني ليالي الصيف ونحن نمضغ الشوكولا، ونضع الملح في شَايِنَا. ولم نفكر إلا فيمن سيأخذ القطع المعدنية التي سوف نبقى عليها.. إذا بَقِيَتْ..

الفصل الثاني بعد قليل

آفاز /

AVAAZ–

التي تبعث دائما على الإيميل رسائل في منتهى الغرابة.

يا أخي.. العالم لنا. عام ٢٠١٤ وبعده تاليا كان مهمًا بامتياز. نعم. خرج فيه حوالي سبعمئة ألف للتظاهر. أكبر تجمع من أجل التغير المناخي طوال التاريخ..

أربعة آلاف قدموا طلبات للتطوع ذهابا إلى أفريقيا والمساعدة في وقف انتشار فيروس إيبولا.

حققنا نجاحات ضخمة في سبيل حماية المحيطات والفيلة، وإيقاف شركة مونسانتو المبيدة للزراع والمحتكرة لألم الغذاء.

يمكننا إحداث الفارق بين الراهن والمرهون. نحن المؤمنون بنا..

نحـن يقـال أبنـاء جـورج سـوروس الـذي لـون الثـورات، وجعـل النـاس يـرون النجـوم في عـز الظهـر. نحـن لا نهتـم كثـيرا للحصـول عـلى بطـن مسـطح أو مؤخـرة طازجـة. ربـما قـد نوجـه عرائضنـا الجديـدة لمثـل هـذا في وقـت لاحـق،، أمـا الآن فعلينـا أن نثبـت مصداقيتنـا، فعاليتنـا، الخطـر الـذي يدفعنـا للشـك في نيـة الإنسـان أن يكـون حقيقـةً إنسـانًا، ويسـتمر؛ لا تَحْـتَ الحاجـة، أَنْ حسـبَ الرغبـة، وإبـرة القـرص النجمـي..

مـن الحـارات والشـقوق ينـدلـق المنقوصـون، الشـحاذون، القصـيرون، ذوات الشـعر المتطـاول، الهيبيـون، الأطفـال عـلى درقـة سـلحفاتي، الضعيفـون بـلا معنـى..

نسـعى لأن ينـام النـاس جـوار البحـر، ويسـتلقون بـلا ملابـس. أن ينامـوا جـوار بعضهـم، ويلعبـوا دون أي تحفـظ، بـلا قواعـد. كل رجـل في كل امـرأة.

يـد كل منهـم قـاريء نَهِـمٌ وحكيـم لجسـد الآخـر، ومنشـفة لحزنـه، وريشـة نعـام لروحـه، وشريـط طبـي لجرحـه. جميعهـم في حضـن النسـيم. جميعهـم حضـن جميعهـم. لا ينظـرون إلى البـط الطالـع مـن الميـاه لينفـض عنـه انكـماش الريـش ولسـعة الاتسـاع بـلا عيـون وانهـمار النهـار، الملـح القديـم وبقـع الشـمس وآثـار قبـلات السَّـمَك. لا أحـد يتحـدث. لا يشـيل أحدهـم عينيـه مـن عـلى صـدر حبيبتـه أو وجهـه بـين ثدييهـا أو ينـزع رأسـه مـن

فخذها أو قلبه الذي يزرع الورد ويحرسه فوق ظهرها..

والسماء تغني. والرمل يرقص. وأنا وأنت.

أنا وأنت أنا وأنت أنا وأنت أنا وأنت، لا تشعر بالملل أرجوك، أنا وأنت أنا وأنت أنا وأنت

أنا وأنت أنا وأنت أنا وأنت أنا وأنت أنا وأنت أنا وأنت أنا وأنت أنا الذي أنت هو أنا أنت

رائحة الحب تعبيء الأغطية بقمح يكفي صحن العالم؛ ينبت فيه العيش بلطف دون الحاجة إلى قطن مبلول أو مساحيق.

أعطني فمك الجميل هذا. فلندع سكين الحاجة في المطبخ، والشوكة، والملعقة/

لنجربَ أن نأكلَ، بأيدينا، لا بأقدام الضفادع..

الفصل الثالث العجيب

معطف الريح الذي يرتدي الضجر، ويقف على أول الشارع يشير إلى الحمار.

لِمَ ليس عندك سيارة. ناقص أن تقول كذلك ليست لديك وحدة سكنية في الكومباوند. أنت خارج كل السياق، وداخلٌ في غيبوبة/ هذا لو وجدت مكانًا لك وحدك.

ماذا ستفعل في قرسة البرد. بَق الحَر. مصاريف الحشرات الأخرى.

ألم تكن تعلم؟ جئت تهز ذيلك فحسبُ، ولَم تُعَقِّب. مُدَّ يدك إلى حلقكَ؛ لعل كل الكلام انحشر. ألم تعلم بأن المال يرى. لئن لم تنتهِ لَنَرْمِيَنَّكَ بالناصية كأولاد الشوارع.. تحت الجسور. تُقَلِّب عيشك بعلب المناديل. تنقر على الزجاج. وتنقر. لا ترد عليك العيون ولا الأيادي. فقط لسانٌ خرج لتوه من مرحاض. المرحاض الذي نذهب إليه جميعًا مرغمين.

لكن بالطبع هناك مرحاض أكثر مرحاضيةً من غيره. كما أن المرغمين أولئك ليسوا كذلك مرغمين كما ينبغي. وكما يجب.

نصيحة:

لا تصعد الآن إلى السطح. سلاح الطيران يقوم بتدريبات شاقة. إنها عاصفة الحزم.

نعم، العمليات العسكرية ببلاد الغضب التي تقودها المؤسسة وشركاؤها. لا تجعل الغم الشخصي يبعدك عن الهم العام. أنت شخصية عامة. أنت رجل عام. هاه. لا تنس ذلك مهما حصل. لا أقول لكَ، أو أوجهك لعدم الحديث عن المرحاض أو غيره. لكن الأمر يختلف. صح. وأنت تعلم يا أخي. ارفع رأسك لقد مضى وعد الثورات.

ارفع رأسكَ، يا، أخي؛ فنحن في عصر الكوندوم.

يجحظ صندوق حوار صغير فوق شاشة الكمبيوتر، كتب عليه كلاب السكك - انقر داخل الدائرة:

«أنا لست روبوت ببرامج». خشيت أن يزداد ثقب الأوزون على يدي، فهربت.

أرجو ألا تعود تولول: لا يمكنني الكتابة. لا أفهم شيئًا مما أقرأ. أصلا لا يمكنني القراءة. دعك من هذا. ارفع رأسكَ

قلت لك. تلك المخدة، هل هي مريحة بالفعل. آه لو يتوقف رذاذ ما بفمك وأنت تعطس، يا سلاااااام.

ابتعد قليلا عن مكب القمامة تحت بنايتنا وأنت تتحدث في الهاتف.

إما هذا أو تقابلني عند بتاع السَمك. أبو سيد. الحرامي. تعرفه طبعا. يعني، هاه -

نتكلم وأنت تأكل، وأمري لله. سأتحمل الرائحة. هذه اللحظة تمنيت ألا أكون نباتيا لأنخرط في العَك. ماذا فعلت بنباتيتي. لم أصر جذعا ولا شجرة. وبالطبع لن أكون وردة. آخِرِي: عُود فجل. المهم. أظن أننا اتفقنا. هذا عن المكان. أما التوقيت فنحن على اتصال. المهم كذلك ألا تنسى محفظتي، وزجاجة البيرة الملقاة بجوار الدولاب وفيها شفطة. والنبي لا تنس الولاعة/ إذا جئت. لأجلي. لا لأجل شاهنده

فصل السؤال

ماذا لو كان البيت أي شجرة أو قطة؟ كان الواحد حينها سيشعر بالأشياء مختلفة. الشجرة غير البيت بالقطع، كما أن القطة هي الأخرى لا تمت إليهما بصلة. لكن السؤال: لِمَ بالتحديد تم ذكر الشجرة أو القطة؛ ليكونا عوضًا عن البيت، أو مرحلة تالية أو مستوى آخر للتحول، أو قُل تمظهرًا متجليًا للتمثُّل المتخايل.

نعم، أظن هكذا اتضحت الصورة - خاصة بعدما أضحت المصطلحات مباشرة ومكثفة.

ينقص الآن قضية المثلث:

البيت/ الشجرة/ القطة.

وبإنعام النظر في الأطراف كافة - تبدأ المسألة في الحل:

.

هناك طرف حاضر غائب يشعر بالملل سريعًا. أنت.

إذن. المعادلـة بها خلـل مـا ربـما ينجـبر إذا تحـول المثلـث إلى مربـع، وبحسـابات أوسـع ينبغـي إضافـة مَـن معـك، وأعتقـد أيضًـا إلـخ.

وبالتالي: البيت/ الشجرة/ القطة/ أنت/ من معك/ إلخ

–

طبعًـا أنـا لا أشـك في ذكاء السـيد القـاريء، أو بديهـة السـيدة القارئـة –

!

!

لم يكـن داع اضطـراري لتفنيـط الأوراق؛ حتـى أتوصـل في النهايـة إلى تجميـع كلمـة:

«مُسَدَّس»

.

المشهد الآخر

حـين يبيـض الإنسـان/ لا يطـير، ولا يصـير طعمـه أحـلى، ولا يكـون قابـلًا لألـوان شم النسيم. وبالطبـع لا يقـدم أغراضًـا متعـددة للاسـتعمال، والسـؤال: لمـاذا؟

***

حـين يبيـض الإنسـان، لا يطـير، ولا يصـير طعمـه أحـلى، ولا يكـون قابـلًا لألـوان شـم النسـيم. وبالطبـع لا يقـدم أغراضًـا متعـددة للاسـتعمال.

الجوقة:

الأشياء المتكررة، تؤدي إلى، كثير من الـ، أشياء الـ، متكررة

يا إنسان، يا إنسان، لماذا لا تجيب الآن

الأصوات المتكررة، تؤدي.. (مزيد من الأصوات)

المشهد الآخر الثاني

منظر مماثل

مـاذا يعنـي الشـفاء الداخـلي؟ أن أقطـع علاقتـي بالشـمس؛ لألِقِـيَ بصنـارتي في صـدر القمـر - منتظـرًا حليـب هنـاك.

❋

أنـام بـين فخذَي نجمـةٍ. أُقَبِّل النقطـة بـين عينيهـا، ولا أتحـرك إلا بعـد حشـو جيـوبي

بالسديم.

❋

أَدْعَـك صدرهـا؛ لأوقـظ مـا بالداخـل وقـت الـشروق، ويبـدو أن سـتفوتنا الحصـة الأولى.

لن أوقف الطَّرْقَ بل سأضع الجرسَ مكان رأسي.

❋

مستلقيًا على ظهري. رافعًا قدمي اليمنى.ساندًا جنب السماء - كالعصا.

*

تجلسُ بجواري. أمد يديَّ لأسحبها، والخجلُ في عيني: يهدأ، ينفجر.

*

الجوقة:

كيف الشفاء من التعلل بالهوى

راحت تُدَلِّلُ أنها لا ترغبُهْ

قال الذي في عينه قطر النوى

هي مشربُهْ. هي مسربُهْ. هي التَّطَيُّبُ من الخواء وما حوى

—

منظر مماثل آخر

///////////

الراوي:

❊

كانت تقتل بهما العالم بلا هوادة. تسحق أعين الرجال وتحرق دم النساء، وترتجي كل الصغيرات نعمةً قريبةً مِن صدرها.

أما وإن الأرض الهنيئة قد زُلزلت، وانتشر الجرافيتي –

شَرعَتْ ترسم دائرتين: بمركزين، وقُطرين.. لكنهما، – حتى الآن – مازالتا على:

خطٍّ واحدٍ تهتزانِ – باستقرار..

❊

الجوقة: ويا لها من فكرةٍ تدور في كل رأسٍ بلا جدوى

فصل الحاجات

المشهد الأول

عقـابٌ شـهير/ لمجـرمٍ مغمـور.. يـزأر كالحـمار، ويركبـه العصفـور - في بـاديء النهـار:-

- تفاصيـل أخـرى لا تهـم كالاسـم والشـكل والحالـة الاجتماعيـة ومستوى التعليـم والأظافـر المُقَلَّمَـة ومقـاس الحـذاء وألـوان الملابـس الداخليـة وعـدد الغرائـز التـي مازالـت حيـة وعـدة النجـارة وهاتـف النجـدة وبتـاع العيـش، وجامـع القمامـة ليـوم لا ريـب فيه ولا مجال لأحدٍ أن يقـول لأحدٍ أيها أَلا تعـرف مـن أكـون أنـا مـن أكـون يـا ابـن الـ

- لا حظتَ حيلتي ؟!

- استمر، فأنـا للحـق أرى فيـك مسـتقبلًا لا يقـل بـأي حـال عـن البـط الـذي يعـوم في طشـت الغسـيل

الراوي:

غيَّب الموت بالأمس رجلا من أزهى الرجال، من أبهى الرجال، من أقهى الرجال. ونحن في مؤسستنا العريقة ننعى للشعب الكريم هذا المخلص المغدور، طالبين لمن يعلمه تعويضًا محترمًا، ولمن يفهمه مكافأة مجزية، ولا أراكم الله بيت جاركم من طاقة الجدار المجاور له .

يستأنف:

أَتْرُكُ غطاء القلم راكبًا على ذيله يلكزه من الخلف لِيَمُدَّ سِنَهُ إلى أي حق.

أتركُ عينِي تحت السماء تعبث بها تقول لونُكِ مازال كالأزرق، وحدقتاكِ مثل حدقتيَّ اثنتان فحسبُ، وإن بدتا أكثر أو أكثر. أنا في انتظار ثمارٍ ستسقط من يد الإله الذي لتوه صار ناضجًا. ينادي يا أحمدُ هل لي بإناءٍ من ماء. الجو حارٌّ جدًا والناس كالشمع. والضوء كأنه نارٌ ترتدي خُفَّي حنينٍ وقفازَ الساحر المليء بحمامٍ طائر.

أتركُ هذا كلهُ، ثم أتركُ كل هذا فحسبُ.

سيأتي الرجل ذو العين الوحيدة في رأسه ليسأل عن شيء محدد.

سيأتي التنين الذي بذر أسنانه فأخرج الإسبرطيين ليسأل عن شيء محدد.

وأنا أعرف أن سيأتي عليَّ زمانٌ يكون الواقف فيه كالقاعد والجالسُ كالقائم والمضطجع كالنائم والسابح كالغارق، والثامن كالسابع والأبيض كالأسود والمجنون كالمجنون، والشجرةُ: يعني تمامًا - «كالشجرة».

هذا ضميركَ فافعل به ما شئت وامضِ..

قال الحصان لسرجهِ وعَدَا بعزم ما فيه حتى آخر الحلبة الرمادية. ملأ الأرض بحبات الفول وقطع السكر وأخذَ يصهل.. قائمتاه الأماميتان: على صدر الهواء.

- صوت أحدهم يسعل - والجمهور الواقف كلٌّ على حدوتهِ ينذهلْ، و يصفق.

*

تدخل الجوقة بحماس شَجيّ:

بوشكين

الكساندر

يا قلبي الذي في موسكو

لا تبارز هذا الوَجَع

دعه ينمو على الأيام.

منفاكَ هنا:

دافِئٌ

وهناك ليلى – أعرفُ – معك.

أرجو ألا تقول غدًا –

في فِيلْمِكُمَا

.

«تركتني ليلى مساء أمس دون اكتراث،

قلتُ توقفي، إلى أين؟ فعارَضَتْني: (لقد شاب شعر رأسك)

قلتُ للمتهكمة المتعالية (لكلٍ أوانُهُ!)

فالذي كان مسكًا حالكًا؛ صار الآن كافورًا»

.

لا تدع ليلى تَجُرَّكَ للحَجَر

اسحب هذا الجبل بيدك إلى ما تشاء، واصنع تمثالك الكريم على عين الله الجميل، وضَعْ قبعتك ثم عصاك. ولا

تضع قلمكَ إلا في الوقت الذي لا هوَ نهارٌ لا هوَ ليلٌ لا هوَ إلا لكَ وحدكْ.

هذا بكاؤكَ في فم المجرة. هذا يومكَ في الكاميرا. وهذا سيناريو القمر - حين يُخَيِّرُهُ الهوى - أينَ.. يُقِيمْ.

*

تذهب الستارة إلى مسرح آخر. الإضاءة تخفت شيئًا فشيئًا. الصوت يبدأ في العذوبة التي بلا أي منتهى. الكراسي انتقلت إلى حديقة لا نظير لها. ينابيع المياه تتهادى حول الجالسين. قطع ناعمة من البللور تتساقط من فوق الشجر..

إلى عرش الليل - تحجُّ بعينين كالمسك والعسل.

تصطاد النومَ بجفنيها وترفع بشعرها سقف الحلم، وتنادي: يا من في البعيد/ اقترِب. أنا هيَ.. نعم هيَ.. تَذْكُرُني بالطبع، هاه كنا معًا (بالأمس).. نداعب الريح.. ونعبئ النهارَ بين أيدينا جسرًا إلى يومٍ جميل. هل يأتي؟

أنا الـ «هيَ». أَتَسْمَع. لا تعتمد على غنائي كثيرًا؛ فأنا متعبةٌ جدًا.. والآن. ماذا.. سأغني. ليس لديَّ سوى الغناء أو البكاء.. ماذا. لِمَ لا تفتحُ فمك الطيب وعينيك الرائقتين.

هل تذكر عينيَّ اللتين قلت إنهما/ كالمسك والعسل؛ لا، لا شيء مثلهما. أنا أنت. أنا وفقط.

الجوقة ترجع الصدى

الوقت أَمْلَسُ تمامًا وقطيفة وردية كبشرة الهالة. المكان كله مُعَبَّقٌ برائحتها

كلما ذُكِرت صار اللون كما ينبغي والطَّعم كما قال الله

يا من أَحَبَّ فقد أرهقتك الليالي الطوال، تبحث عن عين النهار متى تسكن

دليلك ما يدفعك إليها يا صاحبي، لا تعبأ بما قد وقع وما ليس بعد ولا تحزن

الضفدع الصغير قافزًا من مِعَاء الغدير

النقيق يتحول إلى سيمفونية البطولة/

وبيتهوفن يضغط بكفيه على أذنيه؛

بعدما فتح فاه ليبتلع النوتة الأخيرة

وحدي. أعبيء الهواء الحار في سحابة بعيدة. الصيف ذكي تماما. الشتاء معدل ذكائه لا يزيد على جورج دبليو بوش. من زجاج الشقة الحمقاء تعرفني المدينة. لا ضوء، ليس هنا.

شريحة نـور إذن ربـما يكـون هنـاك. لا صـوت، قـد يكـون يحـاول القـراءة في صمـت نبيـل. ضجـة، آه، ربـما تكـون أشـياؤه تشـعر بالوحشـة؛ فاتفـق أن تلاقـت الرغبـات، وبـدأ جيـدا ذلـك العـد العكـسي للانفجـار..

نـم يـا حبيبـي، فالـذي يـأتي صـاحٍ، والـذي يمـضي يقـظٌ، والتأمـلُ سِـكِّينُك.

نـم لِتَعْـرِفَ أن الوحـدة لهـا الكثـير مـن الفوائـد/ التـي لـن تعـرف أبـدًا بعضهـا وأنـتَ -

وحدك

صـات الله بنميـم لم يفهمـه الذيـن يعملـون والذيـن لا يعملـون. نظـر الجمـع إلى بيـت الـكلام ولم يجـدوا ربَّتَـهُ. شـاء القـدر أن يتعلـم الوافـد درس المـاضي ليسـير عليـه جيـدًا ولئـلا يشـعر بالغربـة؛ إذا وجـد الظـلام حقيقيـا وليـس - كـما كان يعتقـد - في الليـل فقـط. رأيـت النـار التـي أشـعلْت. تلـك النـار التـي سرقْـت. مـاذا سـتفعل الآن يـا حبيبـي - بالرمـاد - وقـد احترقـتْ.

أَدخـل يـدك في جيـب الكفـن، وخـذ المفتـاح المزخـرف ثـم اضرب أكبـاد الإبـل.

هـذه قيامتـك، وهـذا يومـك، فافعـل مـا شـئت بأعيننـا (كـما نشـاء) ..

تبـدأ الجنـازة في التحـرك، والنائحـات يتأهبـن لتحليـل لقمـة العيش. في مـكان مـا يتجهـز القـاضي لحمـل مطرقتـه، والحاجـب يـدرب حنجرتـه. الادعـاء قـادم عـلى دراجتـه الهوائيـة مشـمرا سرواله عـن إحـدى السـاقين.. ولا همـس في القاعـة..

(لا يعجبك بَلِّطِ البَحر)

مشهد التحولات

كنتُ في دنيا بعيدة نباتًا حيًّا ناميًا في مكاني ضاربا جذري في العمق. أفعل كما تقول المعاجم، وأشاهد مباريات الكرة. زحزح شاشة التليفزيون الهواء، فلم أعد قادرا على متابعة اللعب. ساعتها. ساعتها فقط، طلبت من الفلاح أن يثبت فصاحتَهُ، ويقلب الأرض. طلبتُ من طيور الحقل أن تُعَدِّل أسراب الإشارات من أجلي. من الماء أن يجري حولي/ بحيث تكون صفحته واضحة أمامي كبديل مؤقت.

كما طلبت من إخوتي الدعاء.

الجو كان ملائما لما سيحدث بشكلٍ ما توقعتُه قط. الظرف كله تناسب مع معدلات الإنجاز. فانتظرتْ.. وتهيأتْ.

هل تذكر أنِّي قلتُ إني كنتُ في الدنيا البعيدةِ:

نباتًا في مكاني. أفعلُ كما تقولُ المعاجم.

يخرج الكلام من اليسار

يقف الممثلون عن الأداء المتصنِّع

مـن آخـر الصالـة يجـري المُخْـرِجُ بلهـاث ببغـاء، وفي يـده أسـطوانة

الأنظار تتحول من العين إلى الأذن لَهْفَةً

والترقب يجعل الجميع فَمًا واحدًا كبيرًا

كبوابة المَطْهَر

يتراجع الهواء خطوتين، فيتسع الصدر بحقٍّ للعاطفة:

ربـما يقتلـك الملـل، أو الشـغف، بقـدر مـا قـد يقتلـك المـوت أو المـوت

الجوقة: العلاج في المحبة، والآلام المُنْتَهَى

المشهد الذي لم يره أحد

أنـا – كـ جيمـس – أُحِـبُّ برامـز. أنـا أحبـكَ يـا يوهانيـس. سـيمفونيته الأولى التـي يقولـون عنهـا شـيئَيْنِ متناقضَـيْنْ: هـيَ عـاشرةُ بيتهوفـن، وهـيَ: لا شيء تقريبًـا. أَسـتمِعُ إلى الحركـة الرابعـة في وَجَلٍ بـريء. جسـدي ينتفـض جيدًا كمحترف. قلقي يعـود إلى مكانـه المعتـاد في جسـدي كلـه. روحي لا أعـرف مـا هـي ثـم أيـن تكـون. وعلبـة السـجائر تنتظـر النقصـان التـالي. وزجاجـة الفـودكا كذلـك..

أنـا أحـب برامـز، هكـذا قلـتُ وأنـا أحـب أن أكتـب؛ لا لـشيء إلا لأننـي لا أجـد الراحـة فيـما أفعـل، ولا أفعـل. أردت الكتابـة عـن الكتابـة أو في الكتابـة. لم تكتمـل الإرادة بعـد. كيـف تكـون في ليلـة يتـم فيهـا القمـر، وترجـع الشـمس إلى الفايكينـج بمغرفـة فيهـا عينـاي وعقـلي. تنتهـي الأولى لتبـدأ الثانيـة كاسـتئناف طبيعـي للضجـر. ويحـاول البحـث عـن افتتاحيـة تليـق بتشـوشي.

ها هي، الله. تا، تيرارا، تيرارارا راراررارا را ...

أشعر بك وأنت تحاول إبعاد كلارا عن باب غرفتك. هل كنت مدركا أنها زوجة معلمك المخلصة وأنت تراها تُمَرِّضُ روبرت شومان المسكين وتقول له يا زوجي العزيز تماسك – ستعيش حتى تُكمل المؤلفات كلها. وستعيش وأنت تراني أعزف هذيانك المكسور. هي موسيقى متعبة، ويقول البعض إنها عجيبةٌ وجنونُ مُهَلْوِس؛ لكنني أراها أنت، وأنا، وتلميذك المخلص النجيب، وعادة الدنيا بامتياز.

تتعلم وأنت تحب معلمك، وزوجته، وتخلصان رغمًا عنكما لمريض..

المرض نقي، إلهٌ قصير، مكعب سُكَّر في قلب المحيط الهادىء. فردة حذاء في أعالي المحيط القطبي الشمالي. زجاجة مياه معدنية محكمة الغلق في جوف القطبي الجنوبي. والمرضُ، يا حبيبي روبرت: أن تشعر بهِ حقًّا، وتتألم في صمتٍ –وحدكْ. أما أنتْ، فأنا معك. وأنتَ أَعْرِفُ لستَ معي. ولستَ معك.

هل يستمر شرودُكَ، جائز. لكن لا تخشَ الوجعْ.

كلارا حبيبتك ويوهانيس؛ يُضَحِّيَانِ من أجلكْ، ويُقْسِمان على الطهارةْ –

ما دام هذا البيانو – يبكي، وما دامت يدايَ عليهِ – تُرَبِّتَانْ.

أنـا: برامز، وروبـرت شـومان، وكلارا، والعقـلُ الـذي ذاهـبٌ إلى عقلِهِ بموسيقا.

أنـا بـلا عقـلٍ جميـل، إذا كان فعـلًا مِـنْ عقـلٍ، ومِـنْ جميـلْ، ومِـنْ/

أنا

لـذا، أحِـب الوقـت الأبيـض؛ سـوى أن بيتـي لا يمـشي إلا بالليـلْ، ويسـعلْ.

الجوقة: أَدْرِكِ الباقي وعَجِّل بالذي يجعلُكَ أنتَ،

هذه الأشياءُ بحرٌ شَطُّهُ الأشياءْ

يعود صوت الحكيم، فتنتبه القصائد

قصعـة الشـاعر القصـير – لا تبنـي سـوى الأقـزام. يعمـل مـا يمليـه المقـاول دون اللجـوء إلى جدليـة العـمارة الجميلـة والوظيفـة النفعيـة.

هـو كصاعـد إلى السـطح قبـل أن يرمـي الأسـاس. وحتـى قبـل أن يتمـم التراخيـص، أَكْمَـلَ البنـاء. خـير وبركـة. انهـار. البلـد فيهـا قانـون، وفئـران.

شاعرنا يترك الدنيا من أجل كِيس كلام. ينسى نفسه عند الحلاق فيجد شعره كله في حجره ولا يندهش. يشرب الجعة فلا يكون قادرا على تحمل سقف التوقعات؛ لأنه ببساطةٍ لا يملك ثمن الشراب والطعام وحقيبة النوم - منذ أن سرقه صاحب الشقة - ليلة غد.

كأعمى، لا يستطيع النوم قبل أن يطفيء الأنوار. كبيانيست - يرى حبيبته تحاول إبهاره بعزفها - فيضع يديه على يديها فوق لوحة المفاتيح؛ لتكون حرارة النغمة أشد، وليبهرا نفسيهما بكونهما فقط معًا، وفوقَ أي موسيقا..

يقول اذهبي. أريد أن أجلس وحدي بدون لحم. أرغب في تجربة الحُلم بلا شهوة. أحتاج فقط أن تبتعدي عن كل شيء؛ حتى أرى وجهكِ - صافيًا - إذا بكيت.

يقول تعالَي. هذا الألَمُ اختبارُنا. هذا الألم اختيارُنا. لماذا أُعَلِّقُ ثدييكِ هنا في رقبتي - كلما ينكسر إله؟ لماذا برأيكِ أنتظر انبساط الغريزةِ فوق الجسد؟ لماذا أُعَدِّدُ أبواب الجحيم الآن؟ أنا ماضٍ في طريق الشمس ولست أبالي.

أنا أريدك أكثر من قَتْل الضرورة، ولا أريدُ أن أعرفَ حتى لماذا.

أحبكِ أيضًا

لأني

أحبكِ

أحب الزمان الذي تمشين عليه بقلبٍ مسيح. أحب الوجود الذي تخلقه شفتاكِ.

أحب عينيكِ أكثر من الحياة الجميلة، وأكبر من الموت الرحيم. مساء الخير يا حبيبتي. صباح الخير. هل تحبينني الآن أكثر؟ أحبكِ قبل الذي في هناكْ. أحبك منذ انفجار الحاجة، وإلى أن تنتهي الحاجة، وبعدها، وهكذا..

يصحو، فَزِعًا، ولا يجدها بجواره

ممددًا أمام كعب البندقية. داخل أحد أدراج ثلاجة الموتى. بلا لون أو كلام. لا أحد معي، لا أشعر حتى بالموت. فقط رقم واحد يقول: هنا كان منذُ.

لكن، ما سبب ذكر البندقية؟ الحقيقة، لا أعرف. شاهدتهم مرة يُكَسِّرُون بعقبها النوافذ، فأعجبتني وسيلة التحطيم المبتدعة. البندقية، وسواها، ليست تقتل بالرصاص فحسب. استعمالات شتى وفوائد جمة - ينقص أن يصفها الطبيب،

ويـوصي بهـا الغنـي، ويُوَرِّثُهـا صاحـبُ الصولجـان، ويعلقهـا الجوعـى فـوق أكتافهـم - بَـدَلَ خُبْـز!

أما عن الجثة ذاتها – يا صديقي/ فَقَدْ تُحدِّثُ؛ ولا حرج.

قُل: لي مَن – أنتْ/ أقل لكَ يَعْنِي.. مَنْ أنتْ

منظر خديج

خـاطٍ بتثاقـلٍ عَـبْرَ نَفَـقْ. يـذرف مـن الدمـع مـا يفيـض عـلى الـضَّرع. وبكفيـه يخبيء وجهه المكدود، ملتفتًا إلى ما حَوْلَ، ويجترُّ.

إلى هـؤلاء الذيـنَ يحلمـونَ بالتاريـخْ: لا تنامـوا؛ فالطريـق أمسـت خطـرة أكثر، وبـاب الحـَمَّام لا يـكاد يُغْلَقُ حتى يُفْتَحَ مـن جديـد.

تسـمعون الآن صـوت الصنبـورْ، وهـو يُنَقِّـطْ. قنينـة الصابـون السـائل مـازال فيهـا، والسـخان: يَعْمَـل جيـدًا جُهـدَه بطاقتِـهِ. أمـا الحـوضْ: فجـافٌّ، تمامًـا، جـدًا.

أيهـا الحالمـون اصعـدوا – إلى رأسـكم: قـدمٌ عـلى قـدمٍ، وأخـرى فـوق يـدْ.

بالحجـارة جَرِّبـوا قَـذْفَ السريـرْ، وقفازكـم لا تخلعـوهُ أمـامَ غريـب.

الكلـمات المتقاطعـة: لتجعلوهـا لكـم سـلوى. منفضـة السـجائرِ، أفرِغوهـا.

طائـر اليقظـة عَـوِّدوهُ عـلى أطلـس جيوبكـم، وبعـد ذلـك لا تنسَـوا أن تضعـوا - في جانـبِ القلـبِ أحذيتكـم، وسـاعاتِكم؛ فإنـهُ، ربـما، مهـما كان البيـت كبـيرًا، ثَمَّـةَ أي طريـقٍ آخـرَ يـؤدي - إلى المطبـخ.

ولَمَّـا جَـنَّ الليـلُ طـالَ النفـقْ، ولم يكـن يُعْـرَفُ مِـنْ قَبْـلُ نهـار. هـل بعـد؟

غناء منتحب، بدون مصاحبة الآلات:

كبيرةٌ/

مرايا الهواء،

وصغيرةٌ هي الأشياءْ.

مـا يحدث تقريبًـا أنْ تتكـرر كل الصـور أو بعضُهـا، أو لا صور؛ فينتـج بالتـالي شيءٌ، أو شيءٌ آخرُ، يُتَمِّـمُ - معنًـى جديـدًا / قديـمًا/ وسـيطًا، أو يخلقُهْ:

شـبحُ جبـل، طيـفُ رجـل. هيئـة حِـدَّأة وامـرأة أو الطيـور المشـهورة: كالقاقَـم، والعقعـق!

مليءٌ هذا الجوُ بِكُم يا أبناء السحاب البعيد. جنديٌّ: يصير جيشًا، فردٌ يتحول شعبًا، كتابٌ يبقى مكتبةً. دمعةٌ: تظل حزنًا، وخزةٌ: تدوم ألمًا، وابتسامةٌ قد تراها أو لا تراها حسب الظرف. قطيعٌ من الجمال يدخن السجائر في بار الروح، والمتشرد العجوز في البرتقالة الآلية يقول لآليكس:

ماذا دهاه ستانلي كوبريك؟ يجعل العصابة تضربني قليلًا جدًّا في أول الفيلم، وأنا أكررُ أن العالمَ أقذرُ مِنِّي، ومتسخ، نتِنُ الرائحة، وكريه!

ألَا ينظرُ، في أي مكان، في المرآة، في أي وقت؟

هل يذكر تلك العيون المغلقة على اتساعها لما قالت الزوجةُ:

متأكدةٌ كما أنا ماثلةٌ أمامك الآن يا زوجي أن حقيقة ليلة واحدة فحسبْ، - ناهيك عن الحقائق التي يصطخب بها العمرُ بأكملهِ، ويصطك - لا يمكن أن تكون أبدًا، كُلَّ الحقيقة. هل كنا نحلمُ؟ لا ضير. هل كنا نخدع أنفسَنَا، بعضَنَا - كما الآخرون.

لا شيءَ جوهريٌّ يُحَتِّمُ أن نمسك بذيل الفضول. أن نلعق أصابعنا قبل وضع الطعام على مائدة الطعام. أن نركب حصانًا مسروقًا نؤدي به أعمال الخير، ولا نعود. أن نقول غير ما نفعل أو نشعر أو ما نفهم.

لا شيءَ حقيقيٌّ جدًّا. لا شيءَ تمامًا زائفٌ. لا شيءَ يا حبيبي/ تَمَهَّلْ. لا شيء. لا شيءَ بعد.

يفتح النافذة –

مخاطبًا الشارع؛

أدخلُ إلى الطبيعةِ بلا نقود، (وسواها). أخرج منها عاريًا. أنا الذي دخلْتُ فخرجْتْ. أَتَعَجَّبُ من ذوي العقول الناشفة؛ لِمَ لَمْ يغسلوا شعورهم في نهر الحب، نهر الخوف حتى نهر البصيرة؟ لِمَ لَمْ يستغلوا الوقت في شيء رقيق كالشعر، كالبكاء. كالتفكير في وضع أيديهم في جيوبهم بلا تفكير؛ ليضعوا في يد عامل النظافة ورقة مالية جميلة بلا مناسبة فعلية – من دون أن يروا ما فعلوا إحسانًا يستحق الثناء. أن يجيبوا الطفلة بائعة المناديل بابتسامة بطعم القبلة. أن يقولوا لمن ينوي أن يَهْوِيَ من أعلى البرج:

انظر تحتك، كم تبدو النجوم على الأرض حلوة كالندى! كالسحابة المنقطة بالشفاه القانية. كالهواء المعبأ برائحة حبيبتك.

أن يكذبوا على الأسماك، ويؤكدوا أن بعد البحر شيئًا آخر. أن يجلسوا أمام القس ولا يعترفوا على الألعاب الساذجة كم كانت أصغر من كيس الحاجات.

أن يتركوا مقاعدهم في الحافلة للكبار والعجزة، بلا كلمة. بل، يصومون عن الغضب، عن النوم. يسلِّمون للطبيعةِ مفتاح غرفتهم ورقم الهاتف، والسُّعَار. ويُشَبِّكون قلوبهم كالعناقيد. ويستوحون من الأشياء طيبتها الحقيقية، ومن الصغار ملامحهم الواضحة.

أنا ..

طبيعيٌّ جدًّا: في الطبيعة. أنا: طبيعيٌّ تمامًا أبدو - على الطبيعة أني غيرُ طبيعيٍّ حقًّا (نوعًا ما..

-

أنتهت المسرحية؟! لا أدري. بل مَنْ عساه؟! إذن، ماذا أنتظر.

قلت آخذ دُش - عادي يعني. استقبلني الحوض بدعوة كريمة للقيء. تقيأتُ جيدا وصرخت قليلا من الألم، فكثيرا.. لملمت الحاجات ثم بدأت الدفن في الماء عَلَّنِي أنتعش. أنهيتُ المهمة وخرجت. ضحك الجميع بهيستيريا لم أعهدها، ونظروا إلى بعضهم ثم إليّ:

أقلقتنا عليك أولًا، ثم قررنا الدخول إليك وقطعنا الرأي. بعد ذلك مباشرة بدأنا الدهشة وحمام الضحك - عندما سمعنا موسيقى ورأينا المادة المعتمة، وحين بدأت أنت في الغناء بصوت عجيب، وخلطة أغنيات أعجب.. ههههه

رد جيمس: أنا أمرض أيضا. طبيعي. وبالمناسبة، قتلي يجب أن يقتلكم جميعا يا ملاعين!! نعم. أحب البعض، وبعض الشيء!!

لكن؛ كلما عرفتُ عَبَرتُ وتَعَثَّرتْ، عَثُرتُ وتَجاوَزْتْ. كلُّ هذا وأنا عالقٌ هنا وهناك، في كل آن!

ليت هذا كان آخر غربة واغتراب وغرابة في حياتي الماخور الماخرة - الصالحة للاستعمال - إذ إنني ساعات أحن إلى عبادة الماعز؛ لكثرة حسناتها في الصدر، ولرقتها، ولشعرها الفاحم الناعم؛ لكنني لا أنشغل أبدا عن طبقات المعرفة وتراكيب الوعي التي تؤرقني دومًا بنقد الحاجات؛ ومنها مثلا بقية الأشياء الأخرى التي سأذكرها تباعًا بعد القضاء على أرض اليباب. قلت حاجات كثيرة. نعم. صدقني.

خذ مثلا مسألة العائلة التي هي إيهام بكثير ليس أوله ولا آخره إغراء شوكة الانشغال بالاشتغال، ههههه. في عين الوقت وقلب ذاته: يُكَالُ مدحٌ وقدحٌ للفردية والواحدية والانعزالية والإطلاقية والاستقلالية والحرية والإبداع المتعدد الذيول؛ مع ذلك - لا شيء يحدث بضمير.

عندك حق؛ لكنه غير واضح، أو على الأقل غير قادر، ههههه

طيب، ماذا لو استشهدت برأي كلارا؟!

آها، ساعتها ربما أفكر أفضل.

بالمناسبة أيضا، هل ذكرت لك أنني مدمن فانتاسي؛ رغم أنني أَقْصَرُ مني بمراحل؟!!

لكن لمزيد من الإيضاح - هذا ليس رأي كلارا. هي تحبني كما أنا: أي بكتلتي الكثيفة غير المستقرة أبدا، هههههه.. نعم نعم، مفهوم. ءءء ليتنا نختصر قليلا في الحاجات..

هاه. ليس ذنبي إنما هي التي تتوالد تلقائيا وتتكاثر ذاتيا حتى لو جامعها عاملٌ طاريء!!

طيب، أرجوك المهم الاختصار. اتفقنا.

صعبٌ أن أُضْطَرَّ دائمًا للاختيار بين كَونِي مُهَرِّجًا أو لعبة!! صح. معك. (يحاول في وجه الاختيار وأمام المتاح من العالم).. مهرج أم لعبة مهرج أو لعبة، مهرج/ لعبة.. أووفففف..

المهم، هل ذكرت لك بقية الحاجات. خذ مثلا التعليم الذي يغذي الفروق لا يزيلها. طيب - هل لو أزالها سيصير العالم أفضل. من يدري؟! أرجوك، ألا يكفي هذا. صحيح؛ لِمَ تسأل؟!

(٢٧)

ذهبتُ لإحضار أكياس الدمِ ليلةَ العملية الجراحية الأخيرة الفاشلة، قالوا إن فصيلتك نادرة، وأنا بالطبع كنت أعلم، لكن حينها تنبهت أن هذه الحقيقة (البعيدة عن عشقي لك القريبة من جفاف الطب الجميل) تضع حياتك على خطر متقافز.

بحثت حتى وجدت الفئة المطلوبة وانتظرت إتمام اختبارات التوافق.

نظرت على الأكياس الثلاثة ووجدت اسما مسيحيا فتبسمت لأنك مسلمة وتصلين، وقلت يااااااه. بسبب هذا ملأني أمل، إذ إن الدنيا أحيانا أحلى وأرق مما نتصور.

خرجتُ إلى الشارع أمطرتْ الدنيا فخشيتُ بغبائي الفطري أن ينفذ الماء إلى الدم فيختلطا فخبأتها في حضن سترتي، ومضيت أقول: الماء والدم من أصل واحد، ومسيحي تبرع بدمه لمن لا

يدري فوقع الحظ على مسلمة.. الكل واحد ياااااه. صحيح. شعرتُ بجمال الإنسان حين يكون إنسانا فعلا. وتشبثتُ أكثر برجاء شفائِكِ لما أَوَّلْتُهُ علامةً وإشارة.

بعد العملية الفاشلة قالوا لَمْ نستخدم الدم. قلتُ، وبعد. قالوا أعده إلى المركز وخذ ثمنه، أنتَ أَوْلَى. ووافقتِ يا حبيبتي إشفاقا عليَّ وحنوًّا كعادتك الطيبة؛ لكنني قلتُ واعيًا احتفِظوا به في معهد الأورام الذي يعاني بنك دمه نقصا مزمنا – شرط أن يكتب عليه اسمك واسمي واسم شقيقنا الذي أهداناه.

جلسنا نبتسم بحب وأنت قَبَّلْتِني بعينيك وقَلْبِكِ، ثم شتمتني كالعادة أيضا: «هتفضل موكوس وعمرك ما هتعرف تحوش فلوس»، وأكملنا الضحك العالي (رغم ألمك ووجعي) – وسط غابة مرضى يحتاجون الهدوء والعلاج والدم والحنان والرحمة وكل شيء،،، لكن المطر كان قد انقطع، ووحلت الشوارع بضمير؛ بعدما أغرقها الغيث.

(٢٨)

خطر ببالي احتمال وجود إله يلعب معنا الكرة أو يلعب بنا كما قال المعلم. يومًا، انشغلت في عملي وخشيت أن تفوتني مباراة اليوفينتوس في الدوري الإيطالي لكرة القدم الذي أستثقل كل ما فيه سوى اليوفي الذي أعتقده حبا فطريا؛ فالفريق يمكنه أن يفوز على أي منافس في أي وقت، ويستطيع أي خصم أن يكسبه في أي لحظة. ورغم رأيي هذا، فهو فريق كبير ومتزن، ومن أجمل ما فيه قمصان لاعبيه المقسمة طوليا بين الأبيض والأسود بنسب ثابتة حينًا وتختلف على هوى المصمم وواجبات الدعاية أحيانا. المهم أنني ظللت غير مرتاح حتى أعلم النتيجة رغم أنني لست متيقنا من اسم الفريق المنافس لليوفي حبيبي. غادرت إلى البيت مسرعا بعد انتهاء المباراة بنحو إحدى عشرة ساعة. أدرت المفتاح في باب الشقة وهجمت على الشاشة كي أشغل التليفزيون وأدرك ما فات. طبعا ظللت أبحث عن القناة الناقلة للإعادة. ها هو. اوففف..

جلستُ وكان حظي أن المباراة توشك على البداية فاضطررت إلى متابعة إعلانين أسخف من بعضهما قبل أن تبدأ الملحمة. الكرة في الملعب تخلع قلبي كلما اتجهت إلى مرمى حارس اليوفي. كما أنخلع أكثر إذا استمرأ اللاعبون غباءهم وواصلوا تمريراتهم المستهترة وتقديراتهم الفضائحية. أضف إلى ذلك الكرات التي فَضَّلَت تقبيل العارضة أو أحد القائمَين على أن تحتضن المرمى الذى جف ريقه. أذهلني تفاعلي الغريب مع مباراة انتهت. انتهت بالفعل ونتيجتها أُعْلِنَتْ على الملأ، وكل من يهتم بها علمها سواي. اغتظت أكثر من الانتظار.

قلت:

أيكون صحيحا أن الله يفعل هكذا. المباراة كلها لعبها أو أشرف عليها هو؛ بل وقَيَّدَها ذاتَها وسَجَّلَ نتيجتها، كله حدث بالفعل.

انتهى. ونحن إما مشاهدون متفرجون متابعون لا يهم اللفظ. أو لاعبون أو مجرد أي عنصر آخر في ذات اللعبة التي انتهت بالفعل وماتت لكنها مازالت حية على الشاشات، وفي عين الرائي؟!

(فعل. الفاعل/ المفعول به –

معه – فيه – له – عليه) .

(٢٩)

عملتُ – فتراتٍ – فَرَّانًا في طاحونة الإعلام. وحتى وقت اشتغالي حافظت قدر ما استطعت على لحمي من تروسها. وعلى عقلي من نيوبها. تَصَوُّرِي لهذه المهنة أنها تقع بين مقام النبي ودَوْر المعلم؛ تنوير حتى النخاع، وسعي إلى الحقيقة والقيمة حتى لو ما وجدنا في سبيلها إلا الموت. هي مهنة الحياة للحياة وبالحياة. من البشر إليهم. من العتبات إلى محطات الوصول أو على الأقل نحو البلوغ الرشيد. طبعا أتحدث عن إيماني بالمفترض أن يكون لا ما هو كائن بالقوة!

بعضهم يظن أنه الكاهن الأعظم الأعلم بالأسرار، والمانع الضار، والمفيد المجيد،، هههه.. يمكنه كذلك أن يعيد صياغة الأشياء والمواد والأخبار والأشخاص والأحداث والمناسبات والدول وكل ما هو صناعة الخالق بعدما لحقها من شوائب. كلهم مرضى ومعظمهم مُدَّعُونَ وبعضهم جيد والمخلصون الحقيقيون ندرة!!

تتصور حفنة أنها رب الحقيقة، أو رسولها. ليست أي حقيقة وإنما الذي توصلوا إليه وما يبثونه.

المهم برأي بعضهم أن تقول. تعرف متى تقول ماذا وكيف، ومتى تصمت. تؤدي جيدا تحوز قبول الجحافل، وتصير بطلا نجما متغنجا محبوبا تفتح لك الأبواب وتبيت قرير العين بأعداد المتابعين وزيادة الممولين والرعاة والمعلنين والمشتاقين والعاشقين وحتى الكارهين!!!

شَهِّرْ شَهِّرْ بمن تريد يا رجل خذ راحتك. انتهِك كيف شئتَ ما يسميه المعتوهون خصوصية. أنت أصلا مُخْتَرَقٌ هكذا وهكذا. ألم تسمع مرة عن حق الجمهور في أن يعرف يا متخلف؟!!!

على الكوارث يعتاشون. تلقى في كتبهم ليس الخبر أن الكلب عض رجلا، لكن الخبر أن الرجل هو الذي عض الكلب، عقره دون رحمة، رغم توسلات الحيوان الضعيف وتأوهاته!! نعم، هكذا، المصيبة تكون صادقة منطقية، القصة تتسق، متماسكة، مقنعة، جديدة، وتعج بعناصر التشويق والتأكيد والتشكيك إذا لزم الأمر. أنت لا تعمل ما عليك وحسب، بل تعمل ما يمكن أن يجلب لك مزيدا من الزبائن. يدفعون أو لا يدفعون، وكم يدفعون – هذه قصة أخرى يا عزيزي.

مهم بالطبع أن تنقل ما يحدث، لكن كما حدث، كما هو، بدون لمساتك السحرية يا سيد طهاة العالَمين. يا كبير المعلمين، والعالِمين ببواطن الأمور وسائر القشور. ورغم كل ما تقول فقد فشلت الميديا بجدارة أن تنقل للكوكب سلاسل العمليات التي تطور فيها الإنسان إلى قرد!

الأجندة هي البوصلة. القيم التحريرية. العدالة. المساواة. النزاهة. الموضوعية، المصداقية. الآنية، عدم الانحياز. الحياد. السبق. حرب اللحم في مواجهة الصلب. المواطن الفرد في مواجهة الآلات الشرسة والمؤسسات الساحقة. نظرية الأعداد الزائدة وزوائد المتتاليات، الله، وماذا أيضا. أتنسى أنك بشر وتأخذ من كل ذلك بمقدار حسب طاقتك ووقتك وظرفك وما يمكنك. تقول أنا غير منحاز إلا للإنسانية، لقضايا البشر، لأصوات المهمشين، والمظلومين، جيد. لكن كيف؟

أَسْرِع. الخبر سيفوتنا. ستذيل قائمة المشاهدة. أسرع وإلا أَقَلْتُكُم جميعا. أوووووه. لقاء حصري. للمرة الأولى يفرغ ما في جوفه - جيبه، أقصد صدره!! انتظروا حوارا أسخن من قعر الشمس.

ما أهمية ذلك. الناس سيشاهدون. وبعد. سيعرفون. وبعد. يقررون. يا سلااام. ألا تشك في تدخلك. وفي اختيارك. في غرضك. هدفك حتى لا تغضب. هه. وفي الموعد والمكان

والظرف. في الحقيقة أم الصورة. الصوت بإخلاص أم الكلام الذي تريد. هل تراعي هذا كله بتجرد..

يصفقون إذا تحدث أحد عن بسالتهم ومهنيتهم وظرفهم ولباقتهم وأناقتهم وكفاءتهم. ينتعشون إذا شاهد أحد ما قدموا. ينتفشون بفيلم وثائقي عرض في صالة مليئة عن آخرها، والصالة ذاتها بها مقاعد لمئة فرد فحسب؛ بل هي صالة في الصين ذات الكتل البشرية الهائلة، ويعود المراسل يقول إن الإقبال رهيب، رهيب - زميلتي (المُزّة) المتألقة في الاستوديو أعود إليكِ!!!

هكذا وهكذا وهكذا، صار العدد معيارا مُهِمًّا، ربما الأهم - الكم بأي كيف أو كيفٌ تَمَّ تَكْيِيفُه. تتكلم يقول نعم مهم بالطبع وإلا تعمل لمن؟ طيب، وهل أنت علمت بالفعل ما الأفضل والأجدر في المطلق، أو سألت الناس - جمهورك ماذا يريد وماذا يحتاج؟ ومتى وكيف وأين ولِمَ!!!

الحريق مشتعل وهم منشغلون بتغطية ما يحدث لا بإطفائه، ههههه.. الحرب دائرة وهم يتابعون التطورات والأحياء والأموات - لا ينقذون أحدا بل يبكون بحرقة على عدم ازدياد أعداد القتلي من النساء والشيوخ والأطفال والعجزة!!!
(الوقت دا مش أولى بيه الإعلانات والبروموهات!)

يقـول ومـا المطلـوب مني سـوى هـذا. كُلٌّ حسـب طاقتـه. كُلٌّ حسـب مـا يسـتطيع، نحـن لسـنا جهـات تنفيـذ. نحـن نتكلـم. نقـول. على الأقل ننقل ولا نسكت. آآآآآآآآآآآآه. صدقـت. لكـن، هـل تعتبر لذلـك فقـط أهمية. أية أولويـة بشـكل مـا. ألهـذا تعيش. أو بالأحـرى مـن هـذا وعلى هـذا وبـه تعيـش؟!!!

كل مـا تبثـه وتكتبـه يوميـا يعـرف طريقـه إلى القمامـة أو عـلى الأقـل في أرشـيف بائـس لا يطلـع عليـه سـوى بعـض باحثـين عاطلـين؛ أوطلبـة مسـاكين، لتفسـح المجـال لحـدث تـالٍ أو بطـل حادثـة جديـد.

يـاااه. تصـور قتلـوا الصحفيـة التـي كانـت تطـارد الفسـاد. حتـى زميلتكـم، مجـرد خـبر تذيعونـه إلى أن يـأتي آخـر يحـل محلـه بجـذب أكـبر. يـاااه، اعتقلـوا زملاءنـا، ثـم بعـد؟؟!!!! حمـلات وتقاريـر ووو...

يقـول يكفـي أننـا نوثـق مـا يحـدث. هـل أنـت مقتنـع بـما تقـول يـا سـيدي العائـش في عـالم حـاد بـلا ضمـير، مفـزع، شـنيع، شـديد القـذارة، هـش وقـاسٍ، جاحـد وشـاحب، ضامـر ومتعجـرف، بـلا قلـب أو عقـل، قَـزَم مُتَغَـوِّل. مـلىء بالأشـباه والأشـباح والشـياطين والظـلام. مبـدع في الكـوارث والأسـى، وفي القتـل والتهجـير والتجويـع والتعذيـب والاضطهـاد والاغتصـاب والقهـر والتضليـل والاسـتغلال والظلـم والبشـاعة، والوحـدة

والوحشة، والتوحش والريبة والذعر والقمع، والمرض والذل، والزيف والنقص والكذب، الادعاء والتمثيل، والافتراء والتشهير؛ رغم ما فيه أحيانا من بقع جمال يبدو أنها وجدت سهوا، أو بأفدح ثمن دفعه أصحابها ليثبتوا أن لا مفر أمامهم سوى النصر أو الموت - كما قال عمر المختار الذي لم يستسلم بالطبع، وإن قُتِلَ في النهاية أيضا!!!

ما هذا؟! يسبحون في بحيرة الشمع والقار كأنهم النعامة التي لا تطير كالإوز. الكل أبطال وفاشلون وجناة وضحايا وجلادون وصيادون وفرائس وقضاة ومتهمون. سمك كبير وصغير. الكل جميل الكل قبيح - كما تقول الأوراق والوثائق وساعات البث والموجات وحسب التردد والاستقطاب والترميز. المهم الخبر يا أساتذة حتى لو قتلنا أصحابه، هم ميتون ميتون، لسبب أو لغيره ميتون يقينًا، يعيشون ويعانون، فهل نترك مساحاتنا خاوية ونقعد نهش الذباب مثلا؟!

يثرثر، ثم يتقيأ ثم يتبول ويتغوط، فيعود يثرثر ويتقيأ، فيثرثر ويثرثر ثم يثرثر ويثرثر ويتقيأ. يعرف كل الكل وعضو الشيء ومادة القضيب وخام المَهْبِل وأرقام الشاسيهات حتى، ههههه.. عادةً كلُّ أرضٍ أرضُه، وكلُّ موضوعٍ هو رائد علمه في الجامعات ودور الأيتام. هو فنطاس الحاجات وفحل التَّفَلْحُس الجاهز دائما أيَّ وقت ومكان وظرف - وفي تحضير نفسه لأي

مناسبة حتى إذا ولج عالما جديدا عليه تماما اسْتَخْوَلَ في بني فلان وعلان، ضبط العزوة والعدة وجعل لنفسه في دار الغربة أخوالا وأعماما وخالات وعمات وأجدادا وزوجات وأبناء حظ. يعني:

المهم الخبر يا أساتذة صدقوني، نعم، فلتحافظي على نفسك أيتها الحقيقة حالما نحتاج ظِلَّك.

أعزائي الكرام - تذكروا دائما؛

أن الشيطان يكمن في التماثيل..

(سيبكوا بقى من شغل التليفونات والاجتماعات والعلاقات العامة والتلطيف والمعاهرة ده!!)

يقول يا أخي لم تتحامل علينا بهذا الشكل، ألا ترى المُعَلِّم الذي لا يتعلم ولا يُعَلِّم، والقاضي الذي لا يقرأ ولا يعدل والضابط الذي لا يحمي كما ينبغي واللاعب الذي لا يلعب بجد، والطبيب الذي لا يعالج إلا بثمن والمهندس الذي لا يتهندس إلا على أهله، والعالم الذي يبيع والتاجر الذي يتاجر بكل شيء وفي كل شيء - يا أخي حتى المرأة لا تحبك إلا بأجر!! أقول وبالله التوفيق: يا سيدي لا تنظر إلى الغراب فحسب. أرجوك: كن حمامة حقيقية وجميلة وناعمة؛ لا مجرد بيضة.

أعتقد أن الكل في حاجة لمراجعة ما يقول ويفعل؛ لأنني حتى الآن أرى أنها مجرد أرزاق. أكل عيش - مهما تَبَرَّجَت الأسبابُ وتَبَهْرَجَت السُّبُل!!! ملعونٌ من أقام نظام العالم بكل تلك البذاءة.

الجدير بالذكر، ومراعاة للمصداقية والشفافية والسبق والموضوعية والنزاهة والحياد وعدم الانحياز، ينبغي أن أشكر للإعلام تعريفنا بعظمة الحكام والمحكومين، وبالطبع عظمة الإنسان، وفن المفكرين وفكر الفنانين وإبداع من فاز في الانتخابات وريادة من خسر، ومن يعقدون اتفاقيات وصفقات ومعاهدات ومحادثات يليها مفاوضات تتبعها مباحثات ومباحثات ومباحثات.

كان الشيخ الضئيل قد زار واحدة من أقدم وأكبر حدائق الحيوانات في العالم، بها ما لذ وشذ، وطاب وشاب من الكائنات لاسيما المنقرضة. نعم، يحبها بشدة هذه الكائنات المنقرضة. كذلك، أعجب كثيرا بالمهددة بالانقراض، وظل يعدد عجائب الطبيعة الكذا والكذا، ويؤكد أنه بين هذا وذاك، لا يخطر ببال الزائر سوى تذكر خالق الكون، وشكره أن شاءنا بشرًا، وخلقنا في أحسن صورة، ومزايا محصورة، ومرايا مكسورة، ومعجزات منشورة ناهيك عن الأخلاق المحفورة!

في السياق، شتم السياسي السياسي، مع أن كلا منهم هو وحده الصادق العالم المخلص، المتسق مع ما يؤمن به، وتؤمن به أمته التي لا تعرف هي في حِجَابِ عَقْلٍ أم عقل حجاب. وماذا عن عقل العقل وقلب القلب ودنيا الدنيا والطبيعة والميتافيزيقا والباتافيزيقا وبقية الحاجات؟!!!

من ناحيتي يمكنني تعداد أفضال الأعلام على العالم وعليَّ تحديدا. صحيح أنني كثيرا لا أعرفني؛ لكن لا يغريني ذلك باقتناص أدوار غيري وتقمصهم في دراما البلازما بذواتهم في حين لا أرى ذاتَ ذاتي أصلا. المهم، يكفيني أنني بسبب التليفزيون وألوانه الراقصة عرفت بسعادة أن الفتيات الجميلات يزددن حلاوة وطهرا كافرا في زي التنس والجولف. ويقبحن تماما في زي المسئولات، هههه، أما الفتيان فهم دائما قبيحون يا جمهوري الحبيب.

والسؤال الأعظم بالنسبة لي، هو ما أسمعه من المعلقين والمعلقات الصحفيين والصحفيات الأحياء منهم والجمادات: نجمتنا الجميلة: اسمحي لي أسألك سؤالا حار فيه الدهر وانتحر.

هههه، إيه!! انت كل دا ما سألتش. يا راجل دا انت شقطتني من الملعب قبل ما انشف عرقي.

الكاميرا على الراجل وهو يفرك في كرسيه ويلف كفيه على بعضهما بضحكة صفراء جميلة، ولا كأن الكلام للي خلفته.. المهم، إيه بقى السؤال؟! اتفضل.. طبعا أنا مؤمنة تماما إنو من حق جمهوري يعرف فين بينام عصفوري.

ههه، عسل يا بطلة وربنا. بس الحقيقة سؤالي: ليه بتلعبي جولف مش تنس، أو لعبتي تنس مش جولف؟ ههه، أنا بس بحاول أعرَّف الجمهور على نجمتنا وأقربكم من بعض مش قصدي أحرجك أبدا ولا أتدخل في خصوصياتك الداخلية وحرياتك الشخصية، براحتك يعني، هههه.

*طيب تمام. سيبني بقى أقوم آخد دش. الكاميرا على النجمة وهي تزحلق قبلة على كفها للهواء!

كان حوارا عميقا وعظيما ومهنيا بحق. أما عن لون شعر العصفورة وخديها وعينيها وشفتيها، وزغبها الشبقي وفتنة يديها، وجمال صورتها المتكاملة وصوتها الذي يُحْيِي فؤاد الميت – فإذا تفضلت صديقي الكريم؛ ابعث لنا على موقعنا، والحق ادخل صفحتنا بسرعة واعمل «لايك وشير» ثم تابع الميديا بانتظام يا أخي. احنا كمان هَنِشْرِفْ على مزاج أهاليكو!!!!

(ملحوظة: هذا المحتوى يحتوي على احتواءات خارجة قليلا ربما لا تناسب سهرة النشرة)

بهذه المناسبة السعيدة؛ تعرفين يا كلارا أنني أيضا دُبٌّ أعمى يقف على لونه الخلفي ويلعب في عضوه غير الأصيل لعله يرتجف بحب حقيقي يموت عليه بعد أن يعيش إلى الأبد؟!

اسمعي! حين ركبت الطائرة مرة بعيدا، كانت المضيفة امرأة نموذجية؛ فسئمتُ عِطْرَها الناهِكَ - الزاحفَ بنشوة غاصبة بين ساقَي. ساعتها فضلت البقاء في المؤخرة نموذجيا مصطفى صحيح؛ لكن على غير مثال، وقلت:

رافي قلبي هناك ماشي ودايس في السحاب حافي

جسد بيشف روح بتجف والباين غريق طافي

تقول اليوم بقى كم يوم وأيامك محيط صافي

يقوم النوم يقول اصحا وسيب النوم يا دوب غافي

آآآآه.. عالم كلاعب رماية كامن يخفي الدخان أنيابه وحوافره. تاريخ جاحد، وزمان بكرش مخروم وذيلين متآكلين وشبكة قرون متجددة..

العمل يفسد الأشياء. قلت هذا وكان الجبل الأسود من بعيد أخضر من قريب، وكانت الحاجة في البحر، ثم تعلقت ببالون ذي وجه أصفر يبتسم..

قلت: ماذا يفسد العمل؟

العامل!

وماذا يفسد العامل؟

الأجرة!!!

كل الأجرة؟!

كلها.

ماذا إذن،، لا نعمل؟!

سل الأشياء فقد تجيب.

لا، فالشخص العاقل هو من يقبل اللاعقل برضا، واللاإنسانية بانفتاح، ثم يعطي نفسه لمغتصبيه بفرح.

(ألم أقل سابقا لا تسألوا عن - معنى!!)

هه! لا عليك. حكايتك مؤثرة بحق؛ لكن – لا تصلح قصة إخبارية تبعث على التداول.

المصلحة: لا تقتضي؛ بل تعض،، وتنهك..

هل يأتي يوم نؤجل فيه اللهاث قليلا ونقَبِّل رأسه؟! نقول: الشعر لا ينتهي. الشاعر لا ينتهي؛ يسند العالمَ بقضيبه، والعالمُ مؤمن بتطرف – أنه واقع، ساقط.

استهلكنا كل شيء، ولا شيء! حبيبتي، صدقيني مرة أخرى، أخيرة: لا شيء..

هاه، ماذا؟ - لا. لا عليك!

أووو، مازلت تختبيء وراءك خلف الحاجات - ولا تريد مصارحتي. قل: ماذا تحب فيَّ أكثر؟! صدري أو شفتيَّ أو شفرتي أو أو أو..

كل شيء يا حبيبتي.. كل شيء.

طيب..

أَقَنِعَ بما بلغ. لااااا، أنت لم تعرفه بعد؛ إذ هو نفسه لا يدري لماذا يَتَشَحَّطُ كالمقتول بدمِهِ ويضطرب فيه ويتمرغ؟! - بل تأتي عليه ساعات يُسَقْسِقُ بحق. هههههه..

سارت الكاميرا. رصدتْ كلبا يقف على قدميه الخلفيتين فوق سقف سيارة، وبقدميه الأماميتين يرقص ماكارينا. اقتربت منه حتى هَلِعَ ورحل عن وطنه العالي إلى أرض الشتات. ما أقسى الوطء! قفزت الكاميرا مكانه وبنت عشا ثم باضت. تابعت الأفراخ مهمة السلالة فرمت قشرا كثيفا وزغبا حتى انسدت أنابيب السماء وخراطيم الغابة فانثنت أشجارها على هزبر ولبؤة.

(الإضـاءة فقـيرة جـدا - تلمـع حـادة شـديدة تُعمِـي في عـز النهـار بـكل حـره ورطوبتـه. والغيـم يحـاصر مركـز أي دائـرة بالمحيـط..

الهِزَبْـرُ واللَّبُـؤَةُ يَتَمَايَسَـان عـلى طبيعتهـما. قبضـا عـلى أعضـاء الـشر وشرعـا يفكـران في جدليـة الضفـيرة المُنْسَرِحَةِ جيـدا: إطلاقِ العنـان للغرائـز أو إطبـاقِ الأمـانِ عليهـا؛ إذ كـما تعلمـين حبيبتـي «لُولُـو» فالمـاء طَبَـقٌ لـلأرض؛ يعنـي محـض غشـاء، ههههـه.

تراجعـت الكامـيرا فالتقطـت صـورة لي مـرة كثيرا جـدا لا أدريه حـين لم أُخَـيَّرْ بـين الفيلسـوف اللغـوي لودفيـج فيتجنشـتاين وأخيه الأكـبر الموسـيقي. الفيلسـوف الموسـيقي الفيلسـوف الموسـيقي؟! آه، بقلبـي وعقـلي اخـترت الفيلسـوف اللغـوي كعـادتي، مـع أننـي اخـترت الأخ الأكـبر بالطبـع.

قلـت لـك إن المبـدع إنسـان بِرِيـشٍ أصـلي زائـد حتـى لـو كانـت أعضـاؤه غـير مكتملـة. هـو ليـس بمجـرد الكائـنِ الإنسـانِ المتواقـعِ المُنْزاحِ وحسـب. صدقينـي.. لا يبكـي كالآخريـن أبـدا.

الكامـيرا بلـون باهـت جـدا تحمـل صـورتي أنـا بـول فيتجنشـتاين حـين اسـتدعيت للحـرب العالميـة الأولى فلـم أكـن أنـا. عمـري وقتهـا كان تقريبـا سـتة وعشريـن. الأعجـب أننـي كنـت رسـخت سـمعتي كعـازف بيانـو عـلى مسـتوى عالمـي ينتظـره مسـتقبل

على الناصية. حاولت انتظار هذا المستقبل جيدا فاحتضنتني المعارك بحرارة شديدة - بترت معها ذراعي اليمنى..

نعم. الكاميرا وأنا أعزف. عزفت عزفت حتى بترت ذراعي اليمنى كما قلت؛ فتخاصمنا أنا وكل بيانو ليس في قلبه سوى الأبيض والأسود.

أنا بول فيتجنشتاين الذي يحب موريس رافيل الذي يحبه بالفعل. متأثر بانطباعيته مازال. أَلَّفَ لحسابي كونشيرتو البيانو الشهير لليد اليسرى. وفعلا خرجت الموسيقى عن أكثر من يد وقلب. العقل يظهر بالمونيتور غير مصدق - كما لم يستوعب أن الحب صانع المعجزات الحقيقي، وأن الذراع الوحيدة تسطيع إنبات جسد كامل بروح تامة، ونَفْسٍ حولها مجمع حدائق..

الكاميرا معي لما عدت من الحرب؛ أحاول التمسك بفوارغ الطلقات - ونوتة الدخان والغبار والأنقاض تتوزع على سائر الآلات.

الكاميرا ترافقني في زيارتي لأصدقائي الكبار وأنا أطلب ثم أكلفهم بوضع ألحان ليدي اليسرى. أعمال اشتغلت عليها قبلها بمحاولة تطوير الأداء وتحسين قدرات الأصابع الخمسة الباقية لتعوض الخمسة الراحلة. تفضل منهم كثير بما دفعت له، وفعلا أفسدت عملهم وهديتهم بتدخلي مرة في الحذف

والإضافـة ومـرة بعـدم فهمـي المنطـق الداخـلي للمقطوعـة!!

المهـم، قلـت أتـزوج. تذكـرت ذلـك وأنـا في الكاميـرا شـاب ذو سبعة وأربعين عاما مع تلميذة لي بالثامنة عشرة.. بعد أول درس حملـت بالطفـل الأول مـن اثنـين كنزناهمـا قبـل الزفـاف. وأعتقـد زينـت بهـما زوجتـي باقـة الـورد التـي ألقتهـا مـن وراء ظهرهـا، فتلقفتهـا بنـات حـواء اللـواتي حـضرن احتفـال تدشـين الجنـة.

الكامـيرا مازالـت معـي. صورتهـا لزجـة بيضـاء تميـل إلى الصفـرة – وأنـا أزور بنـك الدنيـا لحفـظ السـوائل المنويـة. الهـدف تكـرار العـالم حـين نخطـيء في الإمـلاء؛ فكـما تعرفـين التكـرار يعلـم الحـمار، والحـمار كـما اتفقنـا مـن الأصـول البعيـدة الأقـرب تمامـا لإنسـان الذيـل..

الكامـيرا تضـع قناعـا آخـر وهـي تعـود إلى الخلـف أكثـر فتسـأل كيـف لي – أنـا لودفيـج فـان بيتهوفـن – الـذي يتمتـع الآن بنعمـة الصمـم – أن يؤلـف السـيمفونية التاسـعة العاقبـة بأنشـودة السـلام والصداقـة والمحبـة والإخـاء والفـرح – حتـى تعـزف الأوركسـترات نوتـات السـكينة لا التشـفي والسـخط والقنـوط والانتقـام، وهـو العمـل الـذي سـمعه هـذا العـالم والعـوالم المتعالمـة – كل هـؤلاء غـير واحـد فحسـب هـو مؤلفـه!!! لا أدري أقـول لم يسـمعه بأذنيـه اللتـين كآذاننـا أم أقـول لم يسـمع فقـط أو سـمع وأَدَعُهـا تَسْـبَح!!..

هل راضٍ بكل ما حدث ومَرَّ وما لم يَمُرّ؟! - أيكون قانعا إلى هذه الدرجة بما فعل، أم يائسا تماما بسبب ما لا يمكنه فعله؟!!

أو أن الفنان الحقيقي: نبي. بل إلهٌ - صادق. المهم أن نوباتي الإبداعية تفقدني الوعي الحولي.

الغريب كذلك أنني كأغلب العباقرة شديد الحساسية بكل شيء خاصة الجنس الآخر. يحكى عني منذ الطفولة أنه لم يكن يمضي عليَّ وقتٌ دون أن يصرعني الهوى ويغمرني بضرباته، حتى قضيت كل هذا العمر بلا حب مكتمل كالمعتاد!! نعم.. كان حظي واحدًا من سلسلة ملهماتي. بل لم يترك لي حب أولاء سوى المرارة والأسى مهما حدث؛ فأغدقت قواي المبدعة على فني وحده. أنا الرقيق النقي؛ الثائر في كل شيء - على كل شيء، أو أحد.. أنا الكائن الذي جِمَاعي.

آه. رغم أنني لم أكن متدينا بالمعنى الضيق، إلا أن الله زرع فِيَّ إحساسا عميقا بأني ابنه. مع كل ما كابدت لم أختم حياتي مثل حبيبي موتسارت - الطفل الإلهي، الذي كلفته ثورته الفقر - حتى انتهى جثمان هذا الملاك إلى مقابر الصدقة، ولا يعرف العالم له مكان رفات!

الكاميرا تغير القناع وتستمر في دورانها على خلفية افتتاحية أوبرا تانهويزر لريتشارد فاجنر.

دخل فوجد جوقة نساء تنتج كلاما بكميات جيدة. قال له الطفل عانقني برقة أكثر. آآآهه.. ماذا فعل غيابك يا جيمس - بك؟!!

حاول تقبيلها فخجل. مدت يدها بجسارة خلف رأسه وجذبته ناحية نار شفتيها حتى احترقا طويلا وصرخا. فزعت الغابة على قبلة الحياة بطعم السعادة المقشورة فيما تجلس وراء الجدار امرأة وحيدة جدا وينام خلف النافذة امرؤ وحيد يبكي.

الوحيدان تبادلا القبلات من بُعْدٍ يقسو ويقسو ثم يقربهما من سُرَّةِ البطن المكشوفة جيدا بشكل يجعل عرض الزواج مغريا بغزارة.

أول ما قال الآن أعلنكما زوجين؛ غرقا في عرقهما، ثم صحت الغابة عن آخرها ولم تنم بعد هذا قط..

الكاميرا في قناع جديد والإضاءة حالمة وفي الخلفية تعزف افتتاحية أوبرا الهولندي الطائر لريتشارد فاجنر ثم قصيد الرقرقة السيمفونية «المولداو» لبيدريتش سميتانا..

المشهد يحتدم بشفافية لم يعهداها.. في نفس واحد سأل كل منهما الآخر: لماذا تحبني؟ ثم - هل تحبينني حقا يا حبيبتي؟

الكاميرا الصغيرة على طفل نائم يردد: قد نكون صديقين جيدين؛ لكن كحبيبين - لا أدري يا حبيبتي حقا ما أقول!!! (بالمناسبة، كلما زادت حركة الكاميرا تشكك جيمس في رؤيتها أكثر !)

قال جيمس: لقد جئت أطرق الباب كثيرا فلم أجد شيئا في الغابة سوى صوت غريب يغني - ويبكي - حتى ينام.

تعانقا بحُمَّى فانكشفتْ سُرَّتَاهُمَا على مَهَلٍ يتراقص..

(الكاميرا على الأقمار الاصطناعية تتحرك حرة في الفضاء الجيد وتصطدم..

يوووووووه،

المهم.. ما الذي حدث بَعْدُ يا سِتَّ الماء؟!!

ليته هدأ حبيبي.. مِن وقْتِها يا عم أخذ يشتم؛ وضَع مكان عينيه حَلَمَتَيْن، وصَوَّرَ نفسَه سِيلْفِي بجوار العالم.. قال فيكم منكم يا أولاد الـ.. قال يا أبناء الشَّـ.. ماذا تظنون أنفسكم، هه..

هل تستطيعون تربية اللغة - مثلي - كالسمك؟ هل تضعون الكلام في الحوض كما أفعل؟!!

هـل تمشـون عـلى حبـل الشـمس بقـدم واحـدة، بـل بإصبع وحيـدة.. تصعـدون السـماء حـين تحلبـون وتفلقـون الأرض حـين تسـتمنون؟!! تعدلـون المايـل بأرنبـة الأنـف ثـم تكلئونهـا لعـدْلٍ آخـر مـن حيـث لا تـدري نَفْس - تحتـوون محيطَكـم كـما يخلقكـم أجنـةً في بطـون كل شيء - تكتـوون بالنـار كالملابـس المغسـولة فتسـتقيمُ أنسـجتُكم وتكـون جاهـزة - تَقْلِبـون الحـال فيبقـى القادمُ مغـادرًا وفي يـده حزمـة ورد لا تذبـل أبـدا - تسـيرون عـلى قَلْـبٍ فيُمسـي أعقـل مـن حـذاء أسرع رجـل فـوق البسـيطة؟! أتحملـون الوقـت في جيوبكـم فـلا تَتَصَابَـوْنَ قائلـين أثقلتْنـا الحجـارة، تُقَطِّعـون الموسـيقى بأسـنانكم وتُحَنِّكُـون بهـا صغـارَ الأنبيـاء.. تذبحـون الخـوف عـلى عتبـة الحـذر وتدخلـون مـن الأبـواب وهـي مُغَلَّفَـةٌ بالمـاء.. أتنامـون أقـل مـن النـوم وتأكلـون أقـل مـن الصائـم الدهـرَ وتمزحـون كالمـوت مثـلًا!!

لا تجيبـون الآن، هـاه!! أنتـم لسـتم مِـن هنـا أعلـم أنكـم خواجـات والله لا أكثـر. لا تجيبـون مازلتـم، أنتـم لسـتم مِـن هنـاك أعلـم أنكـم هكـذا لا بَـلْ أقَـلّ..

أنـا لا أشـتم إلا العـالَمَ، هُـوَ سَـمَّاكُم موجوديـن، وأنـا لَبِسْـت - كـما تـرونْ - تلـك الأقـراطَ في فمـي، والمخـدِّراتِ التـي تَسْـبَحُ فِي طَبَـقِ الحاجـات، وأنـا.. عليكـم أَنْ تُثْبِتُـوا فعـلًا أَنَّكُـم هُـمْ حقيقـةً كـما أَنَّكُـم هُـمْ أنتـم.. وأنـا: (أُذَكِّرُكـم بالطبـع أن عـروسي قـد

ماتت وهي تمزق بشفتيها غشاء الخمر، فكان كلُّ هذا الدم الذي يقفز من حلق النوافذ..

-

(عمل يملك عليك كل الجوانح والجوارح وأنت سارح.. «باريس ريفيو»

إنتاج جميل بحق تستطيع من خلاله استشفاف روح الشعر غير الملون.. «واشنجطون بوست بوك وورلد»

واحد يقول كأنه يسير وهو مائع ويدعوك لمشاركته أحلام الفقس..

«شمعون بن ميمون، مؤلف كتاب العادة العلنية في سر الجسدانية»

كلمات لا تدري هل تقفز عليك أم تقفز أنت عليها..

«ابن الجنِّي، صاحب العَدْو الشامل في احتباك الكامل»

ألا يستحي أمثال هؤلاء حتى الآن؟!! مقرف، مقزز، قميء

«ابن منقذ، وزير البيئة السابق في حكومة ظل الشعب»

بعض من الكل حينما يكون الجميع أكثر احتمالية من الجزء. عادي يعني..

«نيويورك تايمز بوك ريفيو»

طبع على نفقة الدولة – سلسلة الموهوبين

رقم الإيداع: اترك تسلسلك وسوف نتواصل قريبا حينما تتحقق..

جيمس، مازال يفكر بعد الخطة بقليل طويل. قال: أزمة الإنسان تكمن في أنه إنسان. يا سلاااام. الناس وأنت في الشارع يكونون في الشارع. الناس وأنت في البيت قد يكونون في الشارع. تعجبني تماما قدرتك على مسك أنابيب الاختبار، وحفظ عنوان المعمل – حتى هذه اللحظة.

ثمانٍ وثلاثون سنة وأنت تحاول في تدريب الذاكرة على كرة الجرس – كرة الجرس تعلقها في رقبتك، وتصيح في العميان من معه هاتيك الكرة؟! الكرة لعبة يقولون في السر إن أصلها كان المربع صفر، ولما تشابكت الفرص باختلاف الأضلاع آثر الكابتن أن يدرس الخطة جيدا. قال لصحابته: تكمن أزمة الإنسان في أنه إنسان!! تخيل.. حتى أنت لست في بيت حقيقي. كذلك البيت يظهر أنه ليس في بيت آخر حقيقي، كما أن الشارع والحي ليسا أيضا كذلك!

مشينا معا نخلي الكلام من البلاغة؛ فكنا أقرب من الماء للماء في الماء. طِرنا معا بجناح واحد؛ فصرنا ديناصورا أعرج

بإخلاص. سِرنا على جسر طويل؛ فوصلنا قبل وقت البداية. قفزنا في اللفائف القديمة، وبعض كتب الطبخ الحديث، فاحترق الطعام البائس بسرعة..

المهم: صدقني. وكما قلت لك: بينك وبين فعل الرؤية فعل! لا تَنْسَقْ وراء نظارة الصحافة!!

هم لا يفعلون شيئا؛ بل ينتظرون الأشياء تحدث أو تتجهز أو حتى تُبَقْبِق لِيُبَقْبِقُواْ!! لا يكفون عن الحديث البارد والمغلي في درجة حرارة تفقع فرن الشمس. الحديث عن الأشياء لا فيها ولا معها بحق أو جيدًا، أو كما تقول الأصول!! كما لا يصنعون شيئا بل تصنعهم الأشياء وتجعل لهم قيمة في سوق الحاجات من لا شيء بلا أي شيء سوى ما يفعلونه من بضعة أشياء..

اختصارا؛ لا دور لهم أكثر من أي أحد آخر بل أقل وأردأ والله صدقيني. هه. ماذا تنتظرين ممن يعيش دائما في البركة كنجم، وتتكلم طوال الصمت، ويُشَرْمِطُ الحياة وتفدغ الموت – فضلا عن السير حائما في حلقة برنامج ليست مستديرة بما يكفي لانقطاع الطمث!!!

هاه. أووففففف.. أخيرا!! رغم كل شيء، حاولت صدقيني أكثر من مرة أن أنتقل إلى وظيفة عامل نظافة أو كافيتيريا.

لم يوافق مديرو الموارد البشرية والمالية لأن لديهم ميزانية مخصصة لي، وهي بالطبع أجر أكبر بكثير مما يأخذه المُنَظِّف. هم مضطرون إذن إلى الإبقاء علي، وإن كانوا يفضلون تسريحي كاستجابة لتعليمات تخفيض النفقات، أو حتى الاستيلاء على أموالي المبعثرة دون أن يدري بهم أحد. لكنهم - وكعادتهم الرقيقة الرفيقة معي - أكدوا أنهم سينظرون في أمري حال تسنح الفرصة؛ خاصة بعدما قالوا لي، اصبر - ربما تكون في مكان أفضل. أَمَا سمعتَ عن تسريح سائس الجراج التابع لبنايتنا؟! آه والله حصل كما رويت ليس بالضبط!!

ألم أقل لكِ إن كل من يعمل بالميديا خَوَل. صدقيني. هم حَشَمٌ ورعاة وحاشية وحائزو نعمة وملكية، وخدم وعبيد وإماء؛ بل الحافظات للشيء القَيِّمُون بالأمور وإصلاحها. خَطِرُونَ على ثَغْر. ليت هذا وحسب. تخيل - حتى ابن منظور الإمام المصري الحجة محمد أبو الفضل جمال الدين الأفريقي يقول بلسانه في المشتقات من المادة/ الجذر: إن الخال هو لواء الجيش يا مؤمن!

لذا، أحبائي؛ إذا استخولتم - جيدًا - لا تكونوا كدبابير الورق أو الضفادع أو صيادي العنكبوت..

آآآآآه.. لما سبق يا عزيزتي، ولغيره - من إيضاح لعناقيد عمليات التصفية - تركت وظيفتي، وحياتي السابقة الحالية، ورحت أرعى الغنم مع أصدقائي البدو والغجر والشطار والصعاليك - الذين أحبهم ويحبونني بحق.. أي نعم؛ أحبهم ويحبونني، وتحب أشياؤهم أشيائي!!

كما بدأت جديا - وأنا بين القطيع - أفكر في روايتي الحقيقية، بصدق.

(٣٠)

تهكم على قراره المعتاد بالإقلاع عن التدخين. سخر من نفسه واثقا في إرادته إلى أقصى حد. ضحك وهو يفكر أن كل التأملات العميقة أو حتى العقيمة لا ينخرط فيها سوى مع دخان. أووووو. هل هناك علاقة بين الشِّطْرَنْج والمَهْبِل. أيكون كاليِنّ واليانْج. الذكر والأنثى. الأبيض والأسود. الليل والنهار. السكر والملح. الدقيق والهيروين والكوكايين. الإنسان والأفيون. الحامض والقلوي والمحدب والمقعر، وكل هذه المتضادات المتحايثات المتلابسات. يجوز.

المَهْبِلُ في لسان ابن منظور: الرَّحِم. وقيل هو أقصى الرحم، وقيل: هو فَمُه، وقيل: هو مَسْلَكُ الذَّكَر من الرحِم، وقيل: هو طريق الولد، وهو ما بين الظَّبية والرحم؛ وقيل: هو موضع الولد من الأرض. وقيل: هو البهو بين الوَرِكَين حيث يَجْثُمُ الولد؛ شُبِّهَ بمَهْبِل الجَبل وهو الهُوَّة الذاهبة في

الأرض. وقال بعضهم: المَهْبِلُ ما بين الغَلَفَين أحدهما فَمُ الرحم والآخر موضع العُذْرَة. والمَهْبِل: الاست. والمَهْبِل: الهواء من رأس الجبل إلى الشِّعب.

وقال أبو زياد: المَهْبِلُ حيث يَنْطُفُ فيه أبو عُمَيْرٍ بِأَرونِه.

وقال الأزهري: اهْتَبَلَ الرجلُ إذا كذب، واهتبل إذا غَنِمَ، واهتبل إذا ثَكِلَ. والاهتبال: الاغتنام والاحتيال والاقتصاص.

والمُهَبَّل: الكثير اللحم المُوَرَّم الوجْه. والمِهْبَل: الخفيف. والهُبْلَة: القُبْلَة. والهَبَل: الثُكْل. والمُهْتَبِل: الكذاب؛ حكاه ابن الأعرابي.. (كما لا ننسى أن هُبَل صنم كان بالكعبة !!!)

وفي مقاييس ابن فارس: الهاء والباء واللام فيه ثلاث كلمات؛ تدل الأولى على الثُكْل، والأخرى على الثِّقَل، والثالثة على اغترار وتَغَفُّل..

وكما تلاحظ أن الأبرز في صوت الكلمة هو الهاء؛ الحرف السادس والعشرون من حروف الهجاء، وهو مهموس رِخو، ومخرجه من أقصى الحَلْق..

وهو حرف للغَيْبَة كما في إياه، وللسَّكْت، كلاحقة لبيان حركة بناء في آخر الكلمة، مثل: مَاهِيَه، كِتَابِيَه، وازَيْدَاه. وأصلها أن يوقف عليها.

أما الشِّطْرَنج: فهو لعبة (أو رياضة ذهنية - كما تحب -) تلعب على رقعة ذات أربعة وستين مربعا، كدولتين متحاربتين كُلٌّ باثنتين وثلاثين قطعة - تمثل المَلِكَيْن والوزيريْنِ والخَيَّالة والقِلاع والفِيَلَة والجنود.

مما تقدم من عرض موجز جدا وبسيط تماما أيها السادة الجالسون على تلك المنصة الشريفة، يتضح لحضراتكم أساس نظريتي الدخانية. نعم. ألا تذكرون «المهبل» خاصة حرف الهاء وما يرتبط به من كلمة: الرحِم، هواء، الكذب، رخو، مهموس، هوة، ثِقَل، وثُكْل وفَقْد، واغترار وتَغَفُّل، والاغتنام والاحتيال والاقتصاص، ومَسْلَك الذَّكَر من الرحم.

والشطرنج: لعبة، دولة، حرب، ملك، وزير، جيش، ههههه

إذن فالرجل ذو الشطرنج، يلعب حاسبا خطواته كلها معتقدا أنه مسيطر ولو بعض الشيء؛ إلا أن كل حركة تبدأ وتترتب وتتبع وتتأثر تماما بما يقابلها وحولها من حركات الخصم، مع حسابات الاحتمالات أو العشوائية كذلك.

آها. أما تلك فهي المرأة، وهذا سلاحها التاريخي الفاتك. وها هو الرجل، وهذا لعابه التاريخي الحافز. إذا التقيا، ظن الرجل أنه اعتلى، وتمكن، واستعمل كيف يشاء، ولا يدور

بخَلَـدِهِ أن أبـا عُمَـيْرٍ غـير متحكـم تمامـا في كل شيء؛ أي شيء!! وكـما يَنْطِـفُ يُنْطَـف (حتـى يقولـون جـاء وسـيفه يَنْطِـفُ دَمًـا بمعنـى يَقْطُـر!!) . كـذا، لا يعلـم أنـه كـما يُجامِـع يُجَامَـع، بـل قـد يكـون المَهْبِـل مغتنـما داهيـة ومحتـالا حقيقيـا، ووحشـا قناصـة مفترسـا، يفـرش لأبي عمـير الحريـر في سريـر المتعـة الحالمـة؛ حتـى إذا وقـع المحظـور اغتصـب المَهْبِـلُ هـذا المسـكين المُهْتَبِـل، وسـحقه!!

لا تخجـلي منـي يـا حبيبتـي، فهـذه هـي الحيـاة، وليـس الأمـر فحسـب ذاك العضـو وتلـك اللعبـة.

يعنـي يـا أعزائـي، لا تغـتروا. ولا تتغافلـوا. وأحبـوا بعضكـم بحـق وصـدق ورقـة وإخـلاص. تلـك وصيتـي. أنـا الآن سـأترككم عائـدًا إلى كلارا، هـي تنتظـرني منـذ زمـن، ومـازال بيننا كلامٌ طويـــــلٌ وهَبَـل.

(٣١)

قرر جيمس ألا تكون روايته عن حدث أو شخصية. تجهز لكل شيء. أخلى البيت تماما. ملأ الجدران بالمرايا. كلما سار قليلا تاه كثيرا. وجد نفسه مضطرا إلى اختيار ركن يجلس فيه. مرآة أمامه وثانية عن اليمين وثالثة عن اليسار وأخرى خلفه. نظر إليهم فشعر ببدء انقشاع ظل الوحدة القاسي. نظر أخرى فأدرك أن كل من حوله يشبهونه إلى حد كبير، فذكر قصة صديقته التي تحرص عائلتها على زواج أبنائها ببعضهم لضمان عدم التخليط، وحفاظا على نسل يعدونه بملامح غير قابلة للتكرار في رأيهم.. بدأ فعلا كتابته، بقراءة نفسية لمعطف البطل، ثم بتحليل فلسفي لحذائه، إلى أن عرج على شاربه: تحليل فلسفي حداثي تماما. أكمل توصيف الأحداث والشخصيات والزمان والمكان ووصل إلى اختيارات الحبكة وضرورات زيادة حبكها..

تكتب يقول الحبكة واهية للغاية بكثير من العبارات الرنانة ومحض هراء،، لماذا في الكتابة فحسب تريد الحكبة المحكمة، أليس حواليك في هذه الدنيا الجميلة حبكات واهية وأخرى ضاحكة مضحكة حتى، وعبثية تماما.. هههههه.. ألم يقل الحكيم يوما « مات لأنه يموت» ردا على سؤال رائع عن السبب والعلة وحال المعلول .. وكأنه مات كما لم يمت أحد من قبل..

لا أخيار خالصون ولا أشرار خالصون، وليس في الوسط سوى الوسط بالطبع!

قرأت روايات كثيرة جدا، وأتذكر منها ما أتذكر وهناك ما لا أتذكر. هل الرواية العظيمة فعلا تلك التي تقول أشياء عظيمة، أم التي لا تقول حاجات عظيمة، أم تلك التي لا تقول؟!

كتب النهاية فعلا وراح يفكر بعد ذلك في شكل البداية وحجم الحشو. بينا هو كذلك ساءه ما قرأ مما كتب، وأنه لم يلتزم حرفيا برؤيته التي يعيب فيها على الآخرين. استاء أكثر لما حاول مرارا مع كتابة تمثل نفسها دون أن تتمثل غيرها. ليتني أعرف من أين يأتي الأغبياء بالثقة التي تملأ أعضاءهم؟ تساءل وهو يخطط لإعادة المحاولة التي اتخذت رقما أفجعه في الحقيقة.

(٣٢)

من يكتب الرواية: الروائي – الرائي – صاحب الرواية – أم هي نفسها؟ من له الحق في روايته؟ العاديون، أو الاستثنائيون؟

الحروف والكلمات والعلامات، أم الحوادث والشخصيات. ما هو واقعي منها وما هو إبداعي. أم مزيج بين كل هذا، أم غير كل ذلك؟

يقول الكاتب هو الأسلوب. هو التجربة. الخبرة. العقل. القلب. هو بصمته. هو الإنسان الإنساني واللاإنساني. لا يأخذ إلا ليعطي. ولا يَكتبُ فقط ليُقْرَأ. آها. فهمت. أي هو كل شيء تقريبا عن كل شيء تقريبا. صح. أي من الكل طبقا لقدراتهم وللكل وفقا لاحتياجاتهم. تقصد هذا بالتأكيد. لا. هو عما يعرف. لا. قلت قبل ذلك إن الكاتب أحيانا كثيرة يكتب ليعرف ما لا يعرف، حتى وإن لزم في البدء أن يحمل الشعلة عاديا من نقطة يقف عليها جيدا أو بعض الشيء،

لينطلق وتنطلق معه وبه الرواية! مممممم، أعتقد أن الصورة هكذا وضحت تماما.

يقول الرواية يجب أن تشد القاريء. إلى أين؟ تمتليء بالجذب المتسلسل والتشويق المتتابع. البطل مثلا ينام مع امرأة ثم ابنتها حين تكبر ويعود في آخر القصة لينام مع حفيدة الأولى.. نعم.. لا. يقول يجب أن تكون رائقة متهادية. يقول ينبغي أن تكون رواية العادي وليس غير العادي. رواية الهامش وليس المركز. لا. رواية الواقع. لا. رواية المفهوم غير المفهوم. لا. رواية منغلقة على ذواتها. بل رواية منفتحة على كل الدلالات والتأويلات.. سهلة بعمق، وعميقة بسلاسة!

لا وجود لكلمة «مجرد» أو «محض» - كحقيقة راسخة محددة - في الحياة بمعناها المعجمي أو الاصطلاحي أو حتى الوظيفي!!!. كيف إذن نروي شيئا كما هو أو كما ينبغي أو كما حدث. تجلس لتكتب فتجدك نسيت أشياء واختلقت - أو شبه لك أشياء.

أيكون الحل في رواية ما لم يحدث. ربما. ولكن كيف سيكون موقفك إذا حدث فعلا لكن بآليته هو التي تعمل غير عملك. وتشعر وتتحرك وتحيا حياتها هي، كما تحب أو كما يقتضيها الظرف!

الدنيا، الحياة ذاتها ليست في جمال مكتمل، لِمَ أجهد نفسي في وصفها وتفصيلها وتأويلها والتذكير بها بدلا من وطء عوائقها الثقيلة أو نسيانها. هل حكايتها تؤثر في شيء مما أحس به من ضيق، وقصور، وبحث لاهث عن عدم اللهاث. هل أثرت رواية مثل هذا التأثير الجلل الذي تحدثه مواقف الحياة من ميلاد ووفاة وحوادث معجزة أو حتى بسيطة، ناهيك عن معضلة السعادة. والغريب أن كل ذلك لا يزن كثيرا في مقابل السر الأعظم واللغز الأعقد: معجزة الحب - فهي ذاتها لها وضعها الخاص تماما، الذي لا يوصف أبدا كما هو، ولا حتى يُعَاشُ كما ينبغي.

قلت لن أكتب رواية عن فساد العالم والأنظمة والناس. قال عم إذن؟ قلت لا أعرف. لكنني سأحاول أن أجعلها شيئا أهم قليلا من الحمَّام. الحمَّام! نعم. لِمَ تستغرب؟ ماذا تقول يا رجل؟ أشكرك أنك مازلت تذكر أنني رجل. فيك الخير. المهم، ما حكاية الحمَّام هذه؟ يا عزيزي، هل يمكن لأي إنسان أو كائن حي أن يستغني عن الحمَّام الذي يلج إليه مرات ومرات يوميا ولأغراض عدة أولها بالطبع التخلص مما لا قيمة له؛ حتى لا يتأذى الجسد ويتسمم؟ يا حبيبي لا تكن ماديا هكذا. لستُ ماديا بل واقعي. لا تتدنَّ بالفن والإبداع إلى تلك المنحدرات؛ قل لي ماذا عن

الـروح والوجـدان والشـعور والوعـي واللاوعـي. قلـتُ أرى كل ذلـك لا علاقـة لـه مبـاشرة بالروايـة تحديـدا، أو غيرهـا، بـل بـكل شيء. كل شيء! كل شيء هـو كل شيء. لا الجـزء ينفـع مـكان الـكل أو يعوضـه، ولا الخديعـة والوهـم يبقيـان طويـلا مهـما حملتـا لافتـات مراوحـة!! لا، بالتأكيـد يبقيـان إذا أحسـنتَ التـصرف، وإذا سـاعدك البعـوض بالمشـاركة في إتقـان المَـصّ!! لاااا، أنـت مازلـت تهـذي وأنـا سـئمت الكتابـة فعـلا. أف. مـا الـذي يجعلهـم يُسَـكِّرُون الملاهـي الليليـة نهـارا؟؟ ومـن قـال لهـم لا تفتحـوا فروجكـم إلا بعـد صـلاة العشـاء بكثـير. أوووففـف. مـاذا يحـدث لـو صـارت الشـوارع والمكاتـب والبيـوت كـما هـي فحسـب؛ أنديـة للتعـري الحقيقـي، وبصـدور رحبـة طازجـة؟!!

للمـرة الأولى في التاريـخ تقـول كلارا لجيمـس: بـص، سـيبك م الهـري دا، اسـمع كلامـي، أنـا عارفـة مصلحتـك أكـتر منـك عـلى فكـرة. هـات بوسـة بقـى!!

مـش عـاوز. يعنـي مـش هقولـك عنـدي زهـد بـس ممكـن تسـميه اكتفـاء، رضـا. تعفـف. حـرج، مـش فـاضي،، أي حاجـة يعنـي!! وهكـذا كان رد السـيد الغِربـال شـبيه الـدف المثقـوب؛ حتـى ينقـي الموسـيقى جيـدا مـن كل الحاجـات لاسـيما النغـمات المضطرمـة.!

(٣٣)

سيقول النقاد وغيرهم: هذه الرواية مثل سابق أعماله، ليست كبقية الأعمال. تشبهه وتشبهنا. كما لا تشبه أحدا أو شيئا، أو حتى تمثل أي حاجة!

مجرد علوق. صدقني. التشهير يَنْشَبُ فيك بأية تهمة كدود أسود يعيش في الماء الآسن ولا يتغذى إلا على الدم والسواقط والعوالق والهوام والعوام. ههههه. ليت الكلام كان كذا وكفى.

نعم. كل منا له حياته الطويلة والقصيرة السرية والمعلنة الضيقة والشاسعة الدقيقة والغليظة، هذا إن لم تكن له حيوات من ذوات الطبقات المستغلقة والتركيبات المتعالقة!

أكتب لا لأؤمن بحسن نية المرض ونبله؛ أو لأصارع المعطلات عن الحياة وعن الموت. الحقيقة وأنا أكتب أحب حينا ما أفعل ثم أضجر منه كثيرا. أخشى أن أنتهي منه فأنتهي. أفرغ. أنتحر.

رغم ذلك، ينبغي أن أنهي الرواية بأسرع ما يمكنني؛ حتى ألتفت بجد إلى الحياة. حياتي.

صديقي. من فضلك، هل انتهيت. جيد. يعني تم كل شيء. (أصدقاؤه أطباء وكيميائيون..)

نعم. جهزنا المواد التي ستحفظ الجثمان. بقي الصندوق الشفاف الذي سينتهي هذا المساء. بالمناسبة، أحب التأكد منك؛ أنت رفضت تماما أيا من أساليب التحنيط. حِفْظٌ فحسب. هاه.

لا. حفظ كل شي. كل شيء. أرجوكم احرصوا عليها برقة فهي أمانتي. لا أصدق حتى الآن أنني تمكنت من إبعادها عن هذا المستشفى اللعين. ثلاجة ووووو.. أوووف. لا أصدق. كيف لي بشكركم. أنتم أصدقاء بحق. لا تقل شيئا يا جيمس. كفى. المهم أن تكون مطمئنا..

لا. يا صديقي ذهب كل شيء معها. كلارا هي كل شيء.

لكن الزمان يداوي الجروح والحياة مستمرة.

هه. مستمرة في التوقف..

هَوِّنْ عليك.

طيب – ءء هل يمكنني فتح الصندوق ولو قليلا لألمسها. أُقَبِّلُها.

جيمس. أرجوك. اجمع شتاتك وكن حذرا إلى أبعد درجة. من فضلك التزم كل ما قلناه لك وإلا واجهنا صعوبات كبيرة. من يدري ما الذي قد يقع. اتفقنا! يا أخي يكفي أنها ستبقى معك. تراها كما تشاء، تحدثها وستسمعك صدقني. هي تعشقك. أنت قلبها وروحها ونعرف جميعا أنها قلبك وروحك.

حاضر. سألتزم!!

المهم. لا تنس أرجوك. الليلة سننقلها إلى بيتي. بيتها. غرفة نومها، بين ملابسها وحاجاتها كما اعتادت، وكما كانت تحب أن تبقى. لعل كل شيء يختم بسلام. أشكركم ثانية. ولن أوصيك.

كلارا. تذكرين يوم كنت أضبط لك التنفس. الأكسجين. درجة حرارة الغرفة في المستشفى، أساعد في تعليق المحاليل وإزالتها. في تعديل جلستك. والعناء الدائم في البحث عن الريموت.

ها نحن الآن في بيتك. بيتنا. غرفة نومك. نومنا. على سريرك. في المكان عينه الذي اعتدتيه. ههه، جانب السرير الأيمن الذي لم يَخْلُ لحظةً من شذاك/ ي.

هـا نحـن الآن معـا وسـنظل. أتحبـين أن أفـرد لـك السـتائر، أو أخفـض الإضـاءة قليـلا. نامـي حبيبتـي ولا تقلقـي أبـدا. أنـا هنـا. أي وقـت ستجدينني. أتودين فنجانـا ساخنا مـن أعاجيب الأعشـاب التـي أخلطهـا لـك وتريحك. أو كنـت تبحثين عـن أي شيء يرضيني فحسـب. هـل كانـت تلـك الأعشـاب تريحـك حقـا. لا تخفـي شـيئا أرجـوكِ. هـل كانـت مفيـدة فعـلا أم كنـت تجبريـن كسـوري وقصـوري!

حـاضر. لحظة واحدة وسنسمع معـا كل الأغنيات والموسيقى التـي نحبهـا. هـاه. إذا أحببـتِ أن نرقـص كذلـك فأنـا جاهـز. هيـا بنا.

أووووه. كـدت أنسـى. لحظـات - أذهـب لإحضـار الفنجـان السـحري وأعـود بسرعـة. هـاه. لا تنامـي. وعـد. بسرعـة الصـاروخ أنطلـق. نعـم. هكـذا. اسـتمري في الضحـك حتـى لا تنامـي. اتفقنـا! ولتتيقنـي تمامـا أن كل مـا يحـدث مهـما كان - لا قيمـة لـه مـن غـيرك يـا حبيبتـي. اضحكـي حتـى لا تنامـي..

ههـه، يـاااااه. ليـس في الدنيـا كلهـا مـا هـو أحـلى مـن هـذا الصـوت. صوتـك أنـتِ. صوتـك، وأنـتِ. لكـن، أهـم شيء الالتـزام! هـاه. حـاولي أن تكـوني حـذرة - فأنـا أراقـب كل مـا يحـدث خلـف ظهـري.

يجهز الفنجان، وشريط حواراتهما قبل الأخيرة حي في أذنيه وعينيه، مبهج بوجع.

شد يا معلم سامعاك، بس دي تقطع النفس.

ما انتي عارفة يا بيبتي قلت أجرب السيجارة الإليكترونية دي عشان متتعبيش.

آها،،، منحرف وسهران. طبعا ما القطة مش موجودة يا قط.

كنت عاوزة اروح فيلم لافينج فينسنت. يلا بينا يا روحي أنا حجزت تذكرتين. إلهي كل اللي نفسك فيه يتحقق بالحلاوة دي. يا سيدي يا سيدي. ربنا يراضيك دايما يا حبيبي يا رب.

انتي كويسة! صاحية أكلمك. أنا قلقان عليكي ووحش خالص من غيرك - محصلشي اني افتقدت حاجة أو شيء كده أنا مش كويس. أنا زعلانة، وتعبانة جدا وبصوّت م الوجع لغاية ما جبت حقنة مسكن، وحاسة اني عاوزة ابعد عن كل الناس والدنيا بحالها. أنا حاسس بيكي والله، عشان كدا أنا مصدود ومش مركز ومش مرتاح وقلقان عليكي أكتر من نفسِك والله، كل اللي ف دماغي حاجات زي الزفت. مش عارفة أرد. حاولي بس ترتاحي، متعمليش حاجة. فضي دماغك، ولو عاوزة أعمل لك حاجة قوليلي. مبتفضاش،

وساكتة على طول. مش مهم متتعبشي نفسك. معلش ارتاحي ونامي شوية. صحيتي!! بصحا آهوه يا حبيبي. اقفش، ما انت صاحي اهو يا عفريت وبتزاول العفاريت. نايم يا قانطا، وربنا كنت عاوزك تاكلي معايا من الشُّنْبُح وطن البطاطس المقلية اللي لسه عاملهم. بالهنا يا حبيبي بس ايه الشنبح ده؟!

ازاي تقبل اني أندمج في جو كله قمار وشرب ومسخرة. مثلا. لازم تعرف إني أهم من وفيق وملك وكل الباقين. مين دول؟!. أنا قانطا. وجوزي من طنطا. قادرة تتكلمي. حواليا الناس. أرجوك إوعى تغير، متقلقيش انتي ف منزلة أختي متهربيش م المسؤلية. طب استنى. احنا لازم نقف جنبه. لما اقوم. انتي بصفتك زوجته وانا بصفتي الزبال. ممم، لا. لا متقوميش، انا عم بهرج، متتعبيش نفسك. حاضر.

الزوجة العاقلة المخلصة لازم تدوس على كرامتها ف سبيل كرامة جوزها. ماشي. العزبة فيها مشاكل كتير ولازم نلحق نبيع المواشي قولي ماشي. طيب. قومي بقى اعمليلي بطاطس. طاطس. أنا جعان ومكسل، لازم الست تتنازل شوية عن بطاطسها عشان خاطر جوزها. بينا على بطاطس آند زلابية. لا ياعم، أنا مش هتحرك، أنا بصفتي الراجل هقعد في البيت واستناكي وانتي جايباها معاكي، الست لازم تضحي. أوو بيبي. الست لازم تأكل جوزها أول ما يقول واااء قصدي

جعـان. لأ يدخـل ينـام. بـصي يـا اسـمِك ايـه، أنـا الدنيـا علمتنـي حاجـة واحـدة بـس. إحنـا ملنـاش ضهـر يحمينـا، فاهمـة يعنـي إيـه. إحنـا ملنـاش ضهـر يحمينا. إيه الفيلـم الواقع اللي بتشـوفه؟! إحنا ملنـاش ضهـر يحمينـا، العـالم دا كلـه زي الشـنبح. إيـه! اخـرس يـا وقـح، إيـه الـلي انـت بتقولـه ده، أنـا عـاوز زيـو اشـمعنا هـوا. أنـا غلطـان إني حكيتلـك الـلي حصـل. عشرتاشر سـنة في المدارس وفي الآخـر مـش عـارف آكل بطاطـس. انـت مـش غلطـان. لأ غلطـان. إحنـا ملنـاش ضهـر يحمينـا. إحنـا ملنـاش ضهـر يحمينـا. بيـت صغـير فيـه جنينـة لوحدهـا. لـو راجـل اشربهـا وخليـك قدهـا. اسـكت. مـع إني والله يـا ابنـي شـايف إن الموضـوع يسـتاهل اكـتر مـن كـدا. يعنـي مـش مخنـصر حاجـة. كـدا تكـسر بخاطـره. افتـح يـا ابنـي متنشـفش دماغـك. أنـا نمـت.

حبيبـي صبـاح الخـير. بيبـي كلـت؟! الـووو. انطقـي. مـين الـلي غلـط معاكـي الغلطـة السـودا دي، مفكرتيـش في أهلـك، في مسـتقبلك، والا هتقوليـلي إنـو عشـمك بالجـواز. أنـا نويـت افضحـك قـدام جمهـورك وأعرفهـم مـين زنوبـة بتاعـة المـخ واحكيلهـم نجمـة المـسرح الكبـيرة ازاي أصلهـا بتاعـة كبـده. الرفـاق حائـرون يتسـاءلون: هـل إنتـي بتاعـة مـخ أم كبـده؟ عليـا النعمـة أنـا متأكـد إنـك لا كلتـي دي ولا دي يـا قانطـا. أنـا مسـتحملتش ونمـت. بحبـك. تصبـح عـلى خـير. كان نفـسي

اسمع صوتَك. آي ميس يو. أنا بقى بحبِّك برضك شوية يعني.

الحلقة اللي فاتت دي معادة. هتاجي، بتعطيش الجيم. آه. والله على راحتك. مش بزعل، فكر وجوللي. بتحرجني بالذوق يا بروطط. وحياة النبي لا. هاه، اتصل بقى؟ لأ فَكَّر وانا هستحمى. عشان هاخد وقت، ونتكلم لما أخرج. شوفتي، بدخن آهوه. طيب. هقوم استحمى بقى والنبي. شفتي فوايد الأعشاب. طب كويس. فوايد عظيمة. يللا، هقوم، باي. يللا ايه يا عفريتة؟! هكلمك. بتطرديني. آه، إنجز. إخص، احنا لازم نسيب بعظ، أنا خلاص مليش شوق فيكي، أنا بحب محروسة بنت عم إمام العجلاتي. ممتاز. بس هيا مش موافقة. اقنعها، باي. هكلم أختها أنهار عشان تميِّل دماغها. هايل. بحبها أوي أوي. العجلة. حقيقي بحب العجلة. إنتي لازم تدللي على حبِّك لِيَّه. أنا قايمة بجد أنا عايزه اقوم استحمى. أنا عاوز هدية، عربية خضرا مخططة بالطول، عاوزها دلوقتي وإلا تبقي مش بتحبيني، أنا كنت شاكك فيكي انتي والواد خليل الفَص، شفتكو بتشمو مع بعض من تسع سنين. طيب. طيب. إبقي خللي الدَّنَف ينفعِك، مسيرو هيتمِسِك، أنا بلَّغت عنو، وهياخدو منو التاكس كمان، شوفي بقى هيصرف على مزاجك الاغبر منين. آحبيبتي يا محروسة. عشان خاطري

سيبني بقى يا بيبي. بص. يلا ارتاح شوية إنت تعبان بقالك كتير - يلا بقى علشان خاطري، وانا هخش آخد دش.

بحبك. قالها وهو مازال يجهز المشروب في مطبخهما.

وانا. كمان. بحبك. قوي. أوي. قالتها بشفتيها الذاهبتين. كل كلمة وحدها.. دون صوت.

(٣٤)

أوشك على الانتهاء من الرواية. يااااه. أخيرا!!

يكتب ساعات على ورق بعض مسودات وعناوين، لكن الأغلب والضروري له استخدام اللابتوب الذي يراه يوفر خيارات لا يقدمها الورق الذي تبدو محدوديته الطبيعية رغم جمالها. ضغط زر الحفظ. ثم أراد أن يكافيء نفسه باحتفالية ليس لها مثيل. فنام.

الصفقة أن ينام قرير العين للمرة الأولى منذ كثير، دون بال منشغل. يرى أنه وَفّى بالجزء الخاص به في تلك الصفقة. لكن منذ متى كانت كل الصفقات ناجحة، بل عادلة؟

صحا وارتدى ملابسه ليلتقي أي أحد بأي حانة. لم يفكر لحظة أن يضرب موعدا مع أحد معارفه. لا يرغب في الكلام الذي يسميه «حمض البَيْضِيك» أو «نترات الهاموش» ..

اتجه إلى أول حانة قابلته. ارتاح حيث انتهى به المجلس. وبدأ في عَبّ الطلبات.

كان معه جهاز اللابتوب الصغير الذي اعتاد التحرك به ليُسَوِّدَ فيه كل ما يكتب. لونه كان مشابها جدا للون الطاولة التي ارتاح عليها، حتى أنه لا يكاد يتميز عنها وهو مغلق.

عَبَّ عَبًّا واستمر. فَكَّرَ أن يراجع ما كتب، خاصة وأنه مسح بعينيه المكان فلم يُثِرْهُ شيءٌ أو أحد.

فتح الجهاز ووصل فعلا إلى نتيجة مُرْضِيَة..

واصل ما يفعل حتى ثقلت عيناه من التدقيق والتركيز والتفكير الموجع، والعَبّ طبعا!!

وَازَى بين كل جرعة كحول ونفثة نيكوتين بكل ما أوتي من حس العدالة الجائرة، إلى أن بلغ مرحلة ما قبل النهاية.

جاءه النادل يصفي الحساب - ويطمئن بالمرة على زبونه الجديد - . قام جيمس متكئا على الطاولة، وكاد يسقط، بينما لا يرى أمامه - ينظر في الداخل فقط، وفي ما وراء.

خرج من الحانة وأشار إلى أول سيارة أجرة..

أدار المفتاح في باب الشقة ورمى جثته على السرير، ولم يُعَقِّب!

استيقظ على صوت الهاتف بعد نحو خمس ساعات فأَلْفَى صداعا غريبا.

ألو. أيوه، أنا تقريبا خَلَّصْتْ. لأ، تقدر تقول خَلَّصْتْ فعلا وخْلِصْتْ تماما. ههه.

طيب نتقابل. اتفقنا.

يووووه، مش معقوله أبدا الحكاية دي. لازم أشوفلي حل. آخد دش الأول، وآكل أي حاجة بسرعة واروح للبيه يمكن يخلي عندو دم المرة دي ع الأقل.

جهز نفسه وراح لجلب اللابتوب. وبينما يعقد أزرار قميصه يجد في كل مرة زرا زائدا، وآخر تم ترحيله! كرر المحاولة لكن دون جدوى ظاهرة.

الله، هو فين. يمكن أكون حطيته هنا والا هنا. يووووه على دماغك. بحث سريعا، وبعد ذلك – مذعورا، فلم يجد شيئا. حك جبينه بيمينه؛ فقال: احتمال نسيته في... الحانة، الطاولة..

طب هي فين بالظبط. أكيد قفلوا دلوقت. بس كمان انا معرفش حد هناك م اللي بيشتغلوا. يا ريتني رحت أي حتة م اللي كنت متعود أرمي نفسي فيها. أوووففففف. أعمل ايه بس؟!!!

أغلـق البـاب عـلى يـده ممسـكا آنيـة ملتهبـة حتـى دعسـه ديناصـور – بينـما شرعـت النحلـة في لدغـه. ردد: حظـي يبـدو أن سـيظل هكـذا.

(٣٥)

أنـا جيمـس؛ أي روبـين ويليامـز الـذي أَذهـل العـالمَ بخـبر انتحـاره بعدمـا أذهلهـم بموهبتـهِ، وقدرتـه. وبعدمـا أذهـل نفسَـهُ بـما لا يحتمـل؛ أذهـل الجميـع - بـأن تَـرك هـذا كلَّـه وتَرَكـه هـذا كلُّـه. بعبـارة أسـهل: هـذا، تَـرَكَ كلَّـه. وكُلُّـهُ، تَـرَكَ هـذا. بسـاطة، حـادة. الأمـر- في منتهـى السـهولة، والذهـول؛ تذهـب، وخـلاص! أرأيـت .. أنـت فطـينٌ بالسـليقة. أنـت فصيـح. أنـت رائـع. أهـلا بـك إذن في جمعيـة الشـعراء الموتـى، وإن لم يعجبـك الحال ابدأ فـورا في كتابـة يوميات بابا الشغالة قبـل أن يجد عمـلا آخـر في مـكان آخـر، ولـن تـدري.

كل شيء بـأوانٍ يـا أصدقـاء. فهـذا جِسـرُ البوابـة الذهبيـة في كاليفورنيـا؛ كـما تشـاهدون، مُعَلَّـقٌ، يمتـدُّ، ويتمـدد. الجسر المُعَلَّـق يمتـد فـوق. الجسر المعلـق يمتـد فـوق فـم خليـج سـان فرانسيسـكو. رقـم قيـاسي جديـد يحـرص المكان على تحقيقـه كل

عـام. هنـا ينتحـر المنتحـرون، ويحـاول كُلٌّ بقـدر مهارتـه. العـدد يزيـد، والغضـب يتصاعـد بسـبب عـدم وجـود شـبكة أمـان. نعـم، الجماعـات المدنيـة والسـلطات تقـول:

إن الحصيلة تؤكـد مدى الحاجـة إلى تركيـب شـبكة أمـان تجعل الأمـر أكثـر صعوبـة عـلى أولئك الذينَ يريـدون القفـزَ عَلَنًا. شـبكة أمـان عـلى جانبـي الجسر. نعم، شـبكة أمـان؛ الحل الذي طالما فشـل العـالم في التوصـل إليـه للقضـاء عـلى المنتحريـن. أخـيرا، وجدناهـا. نُرَكِّـبُ شـبكةَ أمـان، ويقـف أحدهـم بمكـبر صـوت ينـادي:

لا تقفـزوا أرجوكـم. القفـز عـادة وغالبـا سـيودي بحياتكـم. لا تقفـزوا. انتظـروا أرجوكـم. انتظـروا شـبكة الأمـان. انتظـروا. انتظـروا. فيـم العجلـة يـا أولاد الـ.. اللعنـة عـلى الديمقراطيـة والدولـة الحديثـة وقيـم التحـضر التـي تضطرنـا للفـزع مـن غـرف نومنـا لنحـرص عـلى حيـاة مـن لا يحرصـون عـلى حيـاة – لنكـون أقـرب إليهـم مـن خرتيـت الميجـور عزرائيـل؛ لتنضـاف إلى أعبائنـا أكـوام الزبالـة هـذه!! انتظـروا. انتظـروا لَعَلَّنَـا لا نلحـق بكـم؛ ونُخَلِّصُ الكوكـب مـن أمثالكـم بأيديكـم أيهـا الحمقـى. أعباؤنـا كثـيرة. أعباؤنـا لا تحتمـل. فـراغ. بحـق الإلـه إنـه لفـراغ وعبـث، آه. آآآآخ. انتظـروا. انتظـروا يـا أطفـالي، بابـا حـالًا يـأتي، لا تخافـوا. فقـط، انتظـروا. كلـه سـيبقى تحـت سـيطرتنا. انتظـروا. ألا تعـرف أجيالكـم الصـبر؟!!

بالمناسبة؛ ههه، ألم أحكِ لكم عن الأم والأب؟!

«نحتاج ناكل يا طيب، نحتاج ناكل يـابـا»

رَكِبَت القطار بملابس كالمهرجين. كالغجر كالحضارات البائدة كقطعان أفراس النهر. مَدَّت يدًا لكل مسافر، لكنه الذي لَمَ يَفطن أن الغريبَ لا ينجذبُ - سوى لغريبٍ، وغيره!! وأن الحياة: هي كل شيءٍ واقعًا، ولم يقع!! هي عربة إسعاف، عربة إطفاء، عربة تَسَوُّق. بائع آيس كريم يتجول بين من لا أسنان لهم. احتفالات العام الجديد في بداية كل عام قديم يقول إنه طازج. البيوت الخضراء والحمراء والصفراء والزرقاء. أشياءٌ جميلةٌ جدًّا في يَدِ الرَّبّ كما يقول مراسل سي إن إن الشهير تمامًا، ويستطرد دون أن يسأله أحد: السفينةُ في عُرض البحر، وبعد الحادث، ينتظر الأهالي الضحايا. رغم العمق الذي في الحزن؛ كُلٌ يبقى مُلَوِّحًا. كُلٌّ يبقى على البر- في البحر..

يجلس بكيس القماش على الباب الدَّوَّار، ولا يتكلم. يضع المارُّون ما يُوحَى إليهم ولا يتكلمون. يمتليءُ ويفرغ؛ ليمتليء ويفرغ. يقف بكيس القماش على باب الدَّوَّار. يتكلم. يضع العابرون ما يُوحَى إليهم ويتكلمون. يمتليءُ ويفرغ؛ فيمتليء ويفرغ. يجلس بكيس القماش على الباب. لا يضع المارون ما يوحَى إليهم. يمتليء ويفرغ، يمتليء، ويفرغ. يجلس بكيس

القماش. يضع العابرون ما يَمُرّ. يكتمل. ينقص. يمتلىء. يفرغ. يمتلىء. يفرغ. يمتلىء. يفرغ. يمتلىء. يفرغ. (ولا ورق يكفي)

الإجاباتُ تجعلك حكيماً، الأسئلةُ إنساناً، الحياةُ أقسى من أن تعتقد، أو تحتمل.

أنا كـ جيمس، وكـ روبين، اكتشفت أنني أحب أبي وأمي كثيرا جدا. فهما المقدسان بحقٍ وَحْدَهما. أمي تحبني أكثر وأكثر وأكثر، وتقول دائما بيقينٍ إنني أحسن واحد في الدنيا. أبي: يحبني أكثر. ويقول – أحيانا – ويفعل بعضا من أجمل الحاجات وأعظمها؛ رغم ما قاله لي في النص يوم عنونتُه «نصوص الفصوص في شعر المنقوص: بالكاد، والعِبَارة، والمُحْكَم» :

(اثنانِ في واحدٍ أم واحدٌ في اثنين. جدار ما بيني وبينكَ – بيننا، يُبْنَى ليُهدَمَ، فيُبْنَى، ويَنْبَنِي. كنتَ، مازلتَ، صالحًا؛ لأن يريدَ رَبُّكَ – وحدكما (وحده ووحدك) – ما تريد.. تبعُدُ عني أنتَ كثيرا وأنا أَبْعَدُ. أنتَ لقد تموتُ فِيَّ؛ لكنَّ ابني فيكَ – يُولَدُ.. اسمُكَ في اسمي. اسمي في اسمِكَ. لا تدَعْ شيئًا يُعَكِّرُ دورَ بُنُوَّتِي؛ كي لا يكونَ كما يكون!!

أبوء بنعمتي إليك. ألوذ بنعمتي منك إلى ذنبي.. لكَ الحريةُ في اختيار عبودية. هكذا قلتَ لي، ولَمْ تَقُل! لا حقيقة

لـك خـارج جينـاتي. طوقـي / طوقـك. لا حقيقـة لـك خارجـي. سـأمدك حتـى تمتـد، كـما فعلـتُ تظـل، وسـتمتد، لكـن ظلالـك لا تعـرف إلا شـجرة، والشـجرة لا تنبـت إلا في شـمسٍ – بعيـوني!!

كنـتُ أنظـر فيـكَ وحـولي عنـد الله سـاعاتٍ. لمـاذا لا نكـون مـا لم نكـن؟ لمـاذا لم تكـن غـيرك؟ أو سِرْبًـا مـن الـوروار يُطعمنـي بِـذَارَ الفـرح. لم لا تـشرب الأرزاق مـن عرقـك؛ لنرتـوي؟!! كيـف أعيـد تَخْلِقَتِـي وأنـا إلـه المسـخ؟! لم أكـن سـوى نزقـي، ولم يكـن نزقـي يفكـر حينهـا – في غـيره. لمـاذا نكـونُ، ولم نكـن؟ الشـمس لا تطلـع في الحـظ – كـما هـي – مرتـين. الزوايـا مراوغـة، تـدور مـن ورائنـا أمامنـا!! أُخْفِـضُ لـوني؛ حتـى لا أصيـب العمـر فأنكشـف. أَزِنُ الريـحَ بجثتـي؛ لأطفـو.

هـل مـن قَبْـلِ أنْ أعـرفَ أيـنَ أنـا ذاهـبٌ إلى أيـنَ – ينبغـي: أنْ أصـلَ هنـاكَ؛ لألحـق تشـارلي تشـابلن/ القائـل الفاعـل؛ حتـى يُعَمِّـدَني. فكـرة واحـدة فقـط هـي الجديـرة بالحيـاة / الانتحـار.

أفكـر في ليـس غـيري كثـيرا جـدا وطويـلا جـدا جـدا، وأكشـف مـا خبـأه الدهـر مـن الدهشـة. لأجلـكَ أجلـس في مسـجد الغربـاء أصـلي لهـم – كـما قلـتَ لي – أقـرأُ آيـاتِ سُـوَر الخَلْـقِ في الخُلُـق. أُبْعِـدُ نفـسي مـا اسـتطعتُ عنهـم؛ لأقـترب..

ما أعدَلَكْ! أنتَ لي، وأنا: لي؛ لستُ لَكْ.. أنا معي. وأنتَ وحدكَ من معي. فمن معكْ؟!!

ليس دبيبي فوق الأرض سوى طَوْرٍ من حَبْوٍ آخر. تعلمتُ الكلام الصامت لأصيح به في وجهك. لا تذهب. لا تذهب. إني لا أحمل أبدا هذا الغياب. لا تذهب. لا أتحمل ذا الغيابَ قلت. لا يَغُرَّنَّك ما أعمل / ما لا أعمل. مازلتُ صغيرا بَعْدُ على كل انشقاقات الذَّهَاب. بل إنني مازلتُ – أَغْرَقُ – في ذرةٍ حتى يا أبي – مِن تراب ! ..)

جميلٌ شعرُ العرب هؤلاء. ردد جيمس، وهو لا يكاد يحيط بكل شيء. رغم هذا، عاش أيضًا – عادي. اتصل بأمه وأبيه. قال لهما: أُحِبُّكُما.

هو لا يعرف إلا الحب والحاجات كما قلنا. لذا؛ تقريبا – كلما رأى امرأة لا شبيه لها، خرج معها، وقال لها: أُحِبُّك.. ههههه

ومازالت الناس تجيء قنابلَ قنابلَ وزَرَافاتٍ ووُحدانًا ويُرَمْرِمُون. هكذا هي الحال يا قهرمانة..

(٣٦)

صحيح أن المنطق منطقي أحيانا كثيرة ولا منطقي أيضا. ومنطقي أن كل حاجة هي كل حاجة. وكذلك أعرف أن الحياة قصيرة جدا وطويلة جدا جدا؛ لكن فيها حاجات تُصَيِّرُها أقصر وأطول بمراحل: أنت وحظك. ومهارتك بالمناسبة. نعم، الحاجات سلاسل كتل مركزية لا مركزية. لذا؛ أرغب أن أكون طائرة، أو على الأقل حلبة سباق سيارات أختار فيها كما أحب بين الحلبة ذاتها والجمهور بأكمله وأسراب الجميلات وسائر السيارات والسائقين والجوائز وكل شيء.. بالمناسبة؛ في الحياة عدل - وإن كان كما لا نبتغي أو ينبغي.

لكن، هل يفعل ذلك أي شيء للجرف الجليدي في القطب الجنوبي المكتئب الذي يغني بأصوات مؤرقة. الرياح التي تجوب كثبانه الثلجية تخلق موجات من الاهتزازات السطحية. هذه النغمات الزلزالية شبه المستمرة تنتج فعلا ما شبهه العلماء بالأغنية الحزينة لمأساة فاتكة ولا مفر.

ألم أقـل لكـم صدقـوني؛ هـذا العـالم الرائـع لا يتوقـف عـن إثبـات جدارتـه بقذارتـه أبـدا!!

آه. كلـما رأيـت رضيعـا تحملـه أمـه أبكـي: كيـف لهـذه القـدم الرقيقـة بمثـل هـذا الضعـف والهشاشـة، ومهـما كـبرت بعـد - أن تطـأ العـالم؛ الحيـاة، وأخـيرا: المـوت؟!!! -

هـذه الروايـة ليسـت روايـة أو لا روايـة. مـن يـدري، ولا يهـم أيضـا.. الـكُلُّ كُلّ. الحـب حـب. والحـب كلٌّ لا ينفـي بعضـه بعضـا قلـت.

بالمناسـبة، مـن موقعـي هـذا يلـزم بَعْـثُ تحيـة حـارة - إلى الزمـلاء الذيـن يعملـون لـدى رجـال الأعـمال ولا يتوقفـون عـن نـصرة المظلومـين والفقـراء والأطفـال الجنـود وعرائـس لحـم القـش - عـلى الـورق.

نعـود إلى أحبائنـا الذيـن تـدور حولهـم مسـابقة الليلـة: نـاس فيما يخصهـم: براجماتيـون وأنـذال وسـفلة. وفيـما عداهـم: قِيَمِيُّـون، وصفـوة القلـة.

أمامـك زيليـون اختيـار حتـى تصـل إلى الإجابـة الصحيحـة. وفيـما تقـرر، أذهـب لإنقـاذ صديقـي المحامـي الـذي أشـعل النـار في ذيلـه بالكامـل ليلفـت انتبـاه النفـط إلى خطـره عـلى البيئـة، وهـو نفسـه معـروف بدفاعـه عـن قضايـا المهمشـين والمطلقـين

والمجذومين ومرضى الإيدز والسيلان والسرطان والشقيقة والجرب وجنون البقر والمثليين والمتحولين جنسيا وثنائيي الممارسة. الرجل ارتكب غلطة عمره حين سئم النار الملتصقة بمؤخرته ولم يلتفت له حتى ضابط المرور. المهم شعر بالجوع فلملم ألسنة اللهب وخبأها تحت ذراعه اليسرى وولج إلى مطعم في الحي اللاتيني. اشتهى اللحم، فطلب طبق بروتينات البريونات، لم يعرف ساعتها أنها تتراكم في الخلايا العصبية وتجعل نسيج الدماغ مليئا بما يشبه فراغات الإسفنج؛ بل تسبب فقدان الذاكرة وتغيرات في السلوك ومشاكل في الرؤية والحركة. المهم - أنهى صديقي وجبته بسلام. اتجه إلى حمام السيدات. حاول النادل إرشاده ثم إيقافه. غضب الحامي وأخرج له ذيله الأمامي. دفع النادل أمامه وجهه للحائط وظهره مباشرة في طرف الذيل الأمامي - حتى امتلأ المطعم بكم نادل صغير- مشوهين جيدا، وكلهم لأبيهم بالضبط؛ تحت أذرعهم اليسرى ألسنة لهب.

اِعرف القيمة جيدا. قيمة القيمة. قيمتك جيدا. قيمة الآخرين جيدا. قيمة الحاجات الأشياء وغيرها، ثم قارن، وأدرك مكانك، وأثرك. أدرك بصدق وإخلاص وضمير حي بحق. كن رجلا واصدق.

أووووه. كدت أنسى أني سئمت. يجب أن أفعل شيئا جديدا، وينبغي أن أكون سعيدا.. إذن فلأضع خطة وأصنف ملفات للحاجات. أول شيء لن أقلد شوبرت.. أتكلم عنه وغيره لكنني لست أحدا ولا أنا.

نتكلم عن جاري كاسباروف وتشايكوفسكي وبول ولودفيج فتجنشتاين وشوبرت، وشوبان وماركس، وتروتسكي وشوستاكوفيتش والخليل، وابن فارس، وابن منظور، وابن جني، وسيرجي بروكوفيف، ورسول حمزاتوف ورخمانينوف، عمر بن الخطاب، بيكيت، هيمنجواي، بيتر سنجر، جاكلين دوبري، وإميل سيوران وفيلليني وآليخاندرو جودوروفسكي، وآرفو بيرت، ربى الجمال، أسمهان، ديميتري هفوروستوفسكي، لينارد كوين، هتلر، نيتشه، شومان، ماركوس أوريليوس، إنجريد برجمان، تارانتينو، إنجمار برجمان، تاركوفسكي، سالينجر، هوميروس، يانيس ريتسوس، شوبنهاور، جاستون باشلار، فيسوافا شيمبورسكا، ترانسترومر، موتسارت، موديست موسورسكي، وغيرهم كثيرون الكسلُ منعهم. أيضا؛ عن نفسي جيدا لما أعرفها كذلك! وعن الواحد، والبيت، وووووووو

لكـن بـشرط أن أعيـش حقيقـة مـا أكتـب بصـدق ودقـة وإخـلاص ومباشرة؛ أكـون عشـته بالفعـل، وأن أعـرف بالضبط مـا أفعل/ أكتـب..

مثلا،،

أنـا - كجيمـس - لسـت شـوبرت أبـدًا أو أعتقـد تقريبـا. لكـن مـا العلاقـة بـين العبقريـة والنرجسـية والشـذوذ والتوحـد والوحـدة. ثـم - نكمـل..

أووو ففففف.

متى يأتي يوم تضع فيه المرأة الصغيرة شعرا مستعارا طبيعيا لونـه ثلجي رمـادي، وتمشي في الشـوارع رافعـة رأسـها - مصـدرة وجههـا للمقابـل؛ لا تخشـى سـخرية الذيـول منهـا - وبسـبب مرضهـا اللعـين المحـرج؟!

الثمـرة التـي سـقطت عـلى الأسـفلت غضبـت بعدمـا دعسـت المركبـات كل زميلاتهـا - وتركتهـا.

(لمـاذا يـصر العـالم دائـما عـلى إثبـات جدارتـه بقذارتـه، وأن يضـع عضـوه في أدمغتنـا وسـواها؟!

الكامـيرا عـلى شـارع النهـر، وتلتقـط مشـهدا للجبـل الـذي يعلـق في بالـون زهـري ويطـير معـه متخبطـا. والصـوت الـذي

يـتردد نابعـا ومحيطـا بالمكان والزمـان والمسـاكين واحـدا واحـدا وجميعـا:

Isle of the Dead (Rachmaninoff) Symphonic poem in A minor Op. 29

(حب شيء أو أحد لا يلغي غيره. إذن: لا خيانة – ببساطة.. تمام)

المهم:

نعـم، كنـت سـأكتب عـن هـؤلاء وغيرهـم كثيريـن جـدا ممـن أحـب وأقـدر. اعتـبروني كتبـت! أحـب كثيريـن جـدا قلـت؛ إذن عمـن أكتـب وأتـرك مـن؟! سئمت كسـلت تساءمت تكاسـلت لا فـرق؛ النتيجـة واحـدة. بصراحة كفاية بقـى، خـلاااااص. أنـا فعـلا تعبـان. حقيقـي كفايـة..

طيـب بـما أنكـم ستسـاعدونني، فاعتـبروني كذلـك وصلـت نهاية الفصـل.. ههههـ، أو عـلى الأقـل حتـى الروايـة كلهـا، هههههـ

لِمَ يجـب أن أفعـل. أن أقـول. ولم يجـب أن أعمـل جديـدا، ولم ينبغـي أن أكـون سـعيدا؟!!

كثـر الله خيرهـم، نظمـوا نـدوة لسـب الروايـة والـراوي والكاتـب والقـاريء، ودَعَـوْني. للأسـف لم أتمكـن مـن الظهـور وسـط هـذا الحضـور الراقـي؛ لأننـي كنـت مشـغولا جـدا جـدا جـدا جـدا. الحقيقـة أننـي منهـك ومنهمـك - وعالـق في البحـث عـن كلارا، وعـن مـكان نقعـد فيـه معـا وحدنـا عـلى راحتنـا.

(٣٧)

ما الأصل والفرع؟ وما علاقتهما ببعضمها وما سواهما؟ الأهم والأولى، وجدواهما بالأساس!

هي أسئلة ليست بجديدة عليه، إذ هي الوحيدة التي صاحبته منذ أيام الطفولة المترددة.

يوما كان في مدرسته الهجين، ومنذ وصوله بات محل استغراب بسبب ملامحه وما في لكنته من نكهة يقولون ليست أصيلة؟

أوقاته في تلك الضيعة سجلت أعلى درجات الضيق والغربة والحرج في حياته بأسرها آنذاك. تقريبا لم يكن يتعامل معه بشكل طبيعي سوى أقل القليلين وعلى رأسهم كلارا التي تعلق بها أول ما رصدتها عيناه وهي نفسها لم تكن تدري.

ظلت كلارا حلمه في اللجوء إلى لحظات سكينة وسط اضطرابات لا تنتهي وقتها وفيما بعد. وظل هو يتساءل هل يتحقق هذا الحلم فعلا وباكتمال؟ أم تحقق منه ما احتاجه حينًا.

آلمته بالطبع هذه الذكرى، كعادتها، بعدما ظن أنه تعافى تماما مما سماه مشاعر الصغار وأفكار البلاهة. تساءل ثانية عن أصله وماهيته. صَعَقَ بالَهُ حديثٌ سمعه وهو طفل ردده جده بأن لهم جذورا شرقية تمتد إلى أحد أهم العلماء في عصره وكل العصور، وصاحب أفضال لا تحصى خاصة على العربية وتاريخها وحضارة أبنائها. أعتقد أن اسمه. سوات. سوويه. آه. سيبويه. هه. ما هذا، أيكون حرفٌ واحدٌ مشتركٌ رابطَ مصيرِنا بأي شكل وفي أي طريق.. من يدري؟!

هو مؤمن بضرورة قتل الابن قبل الأب، أو معًا – وذلك أفضل جدا..

سَيْرًا مع اللعبة، واستكمالا لنشاطه الفراغي؛ رَاسَلَ موقع البحث عن الأسلاف، واستأنف..

قال لنفسه ربما السعي للاكتشاف يحمل طعم تجربة انتقال نحو عالم آخر قد يكون أجمل وأفضل. أو على الأقل هو بعيد. لكن، لماذا أبتعد أو أقترب. ما الفرق الذي سيتشكل إذن؟

في البـدء كان الشـعر، واللغـة، والصمـت. والكـون قواميـس ومعاجـم لا يحويهـا أحـد أو شيء.

ثـم بعـد ذلـك يـا صديقتـي جـاء النـاس يزحـف بعضهـم ويتقافـز آخـرون. منهـم مـن يزحـف عـلى قدميـه، ومنهـم عـلى ركبتيـه، ومنهـم عـلى البطـن وغيرهـم عـلى الظهـر، وكثير منهـم عـلى نفسـه، وليـس بقليـل مـن يزحـف عـلى لسـانه، ولا تنـس كذلـك مـن يزحـف عـلى روحـه، ويعـوي بـكلام كالبـشر.

لا تغرنَّكـم هـذه الأشـكال والصـور والحجـوم. أنتـم جيـدون. صدقـوني. «حَـظُّ غَـيْرِ العَادِيِّـينَ غَـيْرَةُ العَادِيِّـينْ». حـظُّ كُلِّ العاديـينَ،، أنهـم في العاديـين. «بشـطائرها وشـطراتها» وحـظُّ غـير العاديـينَ: أنهـم غَـيْرُ عاديـين!!

مشهد غريب نحو غيره!!

هـو وحـده. بالتـالي عـادة يـمارس الحيـاة بشـطائرها وشـطراتها وحتـى شـطحاتها. يومـا جـاع. عـادي. لكنـه الزاهـد في كل شيء، اشـتهى شيئا لم يطعمـه. سـمع مرة عـن مـادة كيماوية يسـتخرجونها مـن مـخ السـنجاب الـذي تـوفي تَـوًّا - هـذا الاحـتراز تحدى إرادتـه في عـدم ملامسـة جسـد حيـوان شـقيق - أي لم يقتلـه أحـد، أو يذبحـه أو يصطـده!!

المهـم، بعدما علـم أيـن المطعـم المختـص في تقديـم مأكـولات نباتيـة تسـتخدم تلـك المـادة الخـام، ذهـب. المشـوار طال إلى المشـفى القريـب، حينـما فاجأتـه إغـماءة، هـو ذاتـه لا يعلـم جـراء مـا أكل مبـاشرة أم مجـرد عقـاب نفسـي ذاتي لكسـره عهـده وعادتـه!!

هـو في المستشـفى والأطبـاء يحاولـون إتمـام مـا يحتاجـون مـن أشـعة وتحاليـل وفحوصـات، لأن مـا رأوه لم يـروه مـن قبـل!!

اضطـراب دماغـي نـادر ومميت، قرأنـا عنـه مـرة لكـن لم نخبر حالـة مشـابهة.

رئيـس فريـق الأطبـاء يـشرح نتيجـة الكشـف: ذَكَرٌ في منتصـف العمـر، جـاء بعدمـا التهـم أدمغـة سـناجب، ويقـال إنـه كان في رحلـة صيـد!! المهـم هـو يعـاني انخفاضـا في قـدرات التفكـير وفقـدان الصلـة مـع الواقـع، كـما فقـد الرجـل القـدرة عـلى المشي مـن تلقـاء نفسـه - صدقـوني.

كشـف التصويـر بالرنـين المغناطيـسي لـرأس الرجـل - خاصـة السـائل الدماغـي الشـوكي - أن فحـص الدمـاغ بـدا مشـابها لمـا شـوهد في أشـخاص مصابـين بمـرض دمـاغ قاتـل تسـببه بروتينـات مُعْدِيَـة تتلـف المـخ..

أيحيلنـا هـذا إلى جنـون البقـر! يتسـاءل الطبيـب الرئيـس أمـام أعضـاء الفريـق..

كذلك من غير الواضح ما إذا كان الرجل قد استهلك دماغ السنجاب بأكمله أو اللحم السنجابي فقط الملوث بأجزاء من دماغ السنجاب. طيب، هل للوراثة دخل!!

الواضح أنه اضطراب عصبي، موهِن، يتقدم بسرعة وينتج عنه الموت خلال عام واحد من التشخيص.. ولا علاج له!! كالعادةههه

وبتواصلنا مع مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها، ومع اختبار نسيج الدماغ بعد تشريح الجثة – تبين أنه يمكننا الآن رسميا تأكيد الوفاة بالفعل، مع التوصية بعدم الدفن.

لاحظوا معي أصدقائي أننا أجرينا له عملية، بالتالي، فالمعدات التي استخدمناها ربما تنقل الحالة إلى آخرين إذا نظفناها وطهرناها وعقمناها بشكل صحيح. أرجوكم خذوا حذركم.

كذلك،، من التحديات التي أمامنا عن إيقاع الحالة تأخر التشخيص؛ لأنه عندما يشك الأطباء قد تستغرق النتيجة من أسبوعين إلى ثلاثة، بالتالي، علينا تطوير آليات اختبار أكفأ وعدوى أكثر فعالية، وقطعا، بأسرع ما يمكننا أيها الأصدقاء..

يعني، سمع جيمس كل هذا الكلام وكعادته كأنه ما سمع. رجع إلى الفندق وارتاح قليلا كفترة نقاهة ثم ألح عليه ثانية جده الأكبر وبحدة أكثر من كل ما سبق.

أبي أوصاني صغيرا بعدم المزاح مع الصغار لأنهم لو زعلوا سيكسرون زجاجك بالحجارة!!

الفهرست. هو إذن حيث ينبغي أن أبدأ الرحيل.. بعد ذلك ربما تتعدد وجهاتي حسب الحاجات؛ لكن يظل الفهرست القبلة الأُولى والأَوْلَى، على الأقل لفضله – ألا تلاحظ أنه أيضا يشاركني وَجَدِّي العظيم حرف السين، أو الـ إس – هههه.

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو ثقتي وبه أستعين

المقالة الثانية من كتاب الفهرست

ثلاثة فنون

في أخبار النحويين واللغويين وأسماء كتبهم

الفن الأول في ابتداء الكلام في النحو وأخبار النحويين واللغويين من البصريين وفصحاء الأعرب وأسماء كتبهم

قال محمد بن إسحق: زعم أكثر العلماء أن النحو أُخِذَ عن أبي الأسود الدوئلي، وأنه أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه. وقال آخرون رسم النحو نصر بن عاصم الدوئلي ويقال الليثي.

قال أبوجعفر الطبري: إنما سمي النحو نحوا لأن أبا الأسود الدوئلي قال لعلي عليه السلام، وقد ألقى إليه شيئا في أصول

النحـو، قـال أبـو الأسـود: فاسـتأذنته أن أصنـع نحـو مـا صنـع؛ فسُـمِّيَ ذلـك نحـوًا. ناهيـك عـن نقـط أبي الأسـود.

أخبار الخليل بن أحمد

وهـو أبـو عبدالرحمـن الخليـل بـن أحمـد. قـال بـن أبي خيثمـة: أحمـد أبـو الخليـل أول مـن سـمي في الإسـلام بأحمـد. وأصلـه مـن الأزد مـن فراهيـد. وكان غايـة في اسـتخراج مسـائل النحـو وتصحيـح القيـاس. وهــو أول مــن اسـتخرج العَــروض. كان مــن الزهــاد في الدنيــا المنقطعــين إلى العلــم وكان شــاعرا مقــلا. تــوفي بالبــصرة وعمـره أربـع وسـبعون سـنة، ولـه مـن الكتـب المصنفـة: «العـين». ولــم يَــرْوِ هــذا الكتــاب عــن الخليــل أحــد ولا رُوِي في شيء مــن الأخبـار أنـه عمـل هـذا البتـة.

أخبار سِيبَوَيْه

من أصحاب الخليل

قـال شـيخنا أبـو سـعيد رحمـه الله، سـيبويه اسـمه عمـرو بـن عثمـان بـن قنـبر مـولى بـني الحـارث بـن كعـب بـن عمـرو، ويكـنى أبـا بـشر، ويقـال كنيتـه أبـو الحسـن. وسـيبويه بالفارسـية رائحـة التفـاح. وأخـذ النحـو عـن الخليـل وهـو أسـتاذه، وعـن عيـسى

بـن عمـر وعـن يونـس وغيرهـم. وأخـذ اللغـات عـن أبي الخطـاب الأخفـش الكبـير وغـيره. وعمـل كتابـه الـذي لـم يسـبقه إلى مثلـه أحـد قبلـه ولـم يلتحـق بـه بعـده.

وقـد قـدم سـيبويه أيـام الرشـيد إلى العـراق وهـو ابـن اثنتـين وثلاثـين سـنة. وتـوفي ولـه نيـف وأربعـون سـنة بفـارس. وفي روايـات أخـرى أصغـر مـن ذلـك؛ بـل كان وروده العـراق قاصـدا يحـيى بـن خالـد، فجمـع بينـه وبـين الكسـائي والأخفـش، فناظـراه في مسـائل، وحاكمـاه إلى فصحـاء الأعـراب وكانـوا قـد وفـدوا عـلى السـلطان، وهـم أبوفقعـس وأبودثـار وأبوالجـراح وأبوثـروان. فـكان الكسـائي عـلى الصـواب. ثـم عـاد إلى البـصرة ومنهـا إلى فـارس ومـات بهـا.

وكان المـبرد إذا أراد إنسـانا أن يقـرأ عليـه كتـاب سـيبويه يقـول لـه: ركبـت البحـر، تعظيمـا لـه واسـتصعابا لمـا فيـه. وكان المـازني يقـول: مـن أراد أن يعمـل كتابـا كبـيرا في النحـو بعـد كتـاب سـيبويه، فليسـتحِ.

اتخذ سيبويه حلقة ببغداد يلقي فيها دروس النحو وحضرته التلاميذ. حلقته لم تستمر طويلا؛ لأنه كان يعاني حُبْسَةً في لسانه تعوقه كثيرا، تسببت في تسرب الطلاب وانصرافهم تماما. هجر الحلقة واتجه إلى التأليف، فكانت نتيجة ذلك هي «الكتاب».

بالنظر إلى الروايات يعني تستطيع القول مرتاحا - بارتياب قليل لا مبرر له بالمناسبة - إن سيبويه خرج في طلب الرزق ومات في الطريق. طلبه أين وكيف وممن ومتى؟ هه، لا يهم، الرجل مات. انتهى!

خرج طلبا للرزق والسعة بعدما ضاقت عليه كل حال. رحل ليعيد خلق الرغبة واختبار الدافع والتأثيث لحياة، مجرد حياة، وإن كان أفضل أن تكون أفضل!

خرج راحلا فمات في الطريق. إذن؛ لا تقل لي إن مجرد الرغبة والدافع والهدف وغير ذلك ما يحفزك ويبقيك في عنق الحياة، ورقبتك!

الفهرست للنديم الذي رشحه العالمون بالبواطن، قرأه وقرأ ما وقع أمامه عن جده. أووو. أعتقد أنه في حاجة هو الآخر لكتابة روايته. لكن، ضع في اعتبارك ما قلت سالفا، وأنني لا أريد أو تكاسلت أو حتى فشلت في كتابة روايتي، ما بالك برواية الواحد الذي هو ذاك الرجل، وهو من هو كما يقولون..!

سأكتفي إذن بما عرفته عن أصلي هذا؛ المُفْتَرَض أو المَرْجُوّ أو حتى المُدَّعَى. الجميل في الموضوع: الكتاب. آه. كتبه أم جمعه. هو أصله أم نقله عن أستاذه أو سابقيه؟! قرآن

النحو. كتاب الكتب. ههه. تماما مثل رواية الروايات. إذن هو جدي فعلا وأنا حفيده البار.

الحقيقة أنني مطلوب مني حاجات كثيييييرة أعملها؛ أهم أو قد تكون شيئا آخر تماما، ربما. لكن اليقيني أنني أنا وحدي من يجب أن ينجزها، ولا بديل لي يحمل عين بصمتي في الأوراق الثبوتية،، هههههه..

تصفح المراجع بروح غائبة. أراد استحضارها بالشراب. الفودكا كائن متكائن. مخلوق خالق خلاق. عبد الحاجة وسيد الحاجات. عَبَّ ولَمْ يندم..

سيبويه والكاميرا يتسابقان على الرصيف. ثم على حافة النهر. الكاميرا تقفز. وسيبويه يسير بحقيبة ظهر، في يده اليمنى مصاصة واليسرى سيجارة. في أذنيه سماعات الهاتف المحمول تلعب قائمة أغنياته الملائمة للظرف. يبدأ بـ فيفا فوريفر لسبايس جيرلز أو فتيات التوابل الحقيقية لكن النسخة التي غنى فيها معهن لوتشيانو بافاروتي الله يرحمه. ثم مجموعة أخرى تختلف حسب مزاجه. سيبويه يرى بنتا على السور الفاصل بين نهر العذوبة ونهر الطريق وقد خلقت الرياح من ظهرها تجسيدا لتمثال اللعاب. صدرها يتخيله. المؤخرة تفرض عليه مثلثا يبدأ أسفله نحيفا ويرقى وهو يغلظ، قال مثلث فاتن ما بالك بالسحر الذي في الأمام ولا تراه!!

أكيد أن جدي الأكبر كان إنسانا. شاب يا ناس. ارتدت الفستان فكان جمالها لا يحتمل، حاولوا أن تتخيلوا أنتم.. ليس معقولا أن أصفها الآن فقد سئمت الكتابة التي بدأتها منذ كثير طويل.

إذا نظرت لما يحدث، لا يشترط أن يكون الشيء مترتبا على شيء؛ أحيانا ترى أن شيئا جاء مبكرا أو متأخرا أو غيره. من يعرف السيناريو الأفضل؟!

الكاميرا مع جيمس وهو يكلم السماء، والكاميرا على السماء وهي لا تكلم جيمس؟ الإضاءة على جيمس خافتة قليلا، والنور في السماء يعمي الأعين رغم أن سجاد الليل يفرش الأفق!

لو كان هناك إله، وكان الإله مكاني، هل سيبلي حسنا كحاكم أم سيخفق كمحكوم بالظرف وغيره مثلي؟!!! هل لو كان الإله مستيقظا، لما شعرت بالوحدة السافلة المتغنجة بالفطرة؟! هل لو كان الإله ليس منشغلا، لصارت لي مشاعر خرسانية بامتياز؟!! ولما قلت لأي امرأة أحبك وأحتاج إليك وأفتقدك كالرضيع المحموم وهي لاتزال تعبث بأعضائها غير مبالية؟!!!!

الكاميرا على مثلث الريح وهو ينتقل من ظهر عباءة البنت إلى عقل سيبويه بلقطات حية، وسط دخان اللغة وتحديدا النحو والصرف!!

يجب أن أفعل جديدا، وينبغي أن أكون سعيدا.. قال جيمس وهو يتلقى رسالة موقع الأسلاف التي تؤكد أنه حفيد سيبويه؟ ياااااه. أخيرا. لكن المراجع لم تذكر له زوجة ولا ولدا. ما أدراني وما أدراهم؟!! لكن على الأقل، هل لو كان له عقب ألن يذكروه. ربما. ولكن ما أهميته إن لم يكن مهما فعلا. الرجل ذاته الذي وضع الكتاب، يااااه، عنوان عظيم - الرجل نفسه ذهب، وذكره ليس سوى صدى متناسخ تحت سقف الأكاديميا.. ولكن، لو ترك ذرية، المؤكد أنها كانت ستصير نابغة في اللغة، وهذا مبرر كافٍ لي حتى يربطنا معرفيا إن لم يكن سلاليا وجينيا، وجدانيا وفكريا، أو حتى إنسانيا. لم لا؟! من يدري. لكن ما الذي أكد أنه نابغة كأبيه؟! أووففف.. حيرتي هذه تحتاج كأسا أخرى. عب الفودكا ثانية وظل يقول: من يدري؟! ولكن..

شاعر يسافر ليعمل قاطع أشجار بالبلطة حتى يتدفأ في الشتاء!! ولد يعاني مشكلة في البلوغ ومن ثم التواصل مع العالم. مممممم.. الكتاب هذا يبدو مُهِمًّا في الحقيقة.

لكـن،، عـرب أعـراب عاربـة مسـتعربة. مَـنْ هـؤلاء؟! هـم غريبـون. ليـس يثيرهـم عقـل العقـل ولا قلـب القلـب ولا حتـى دنيـا الدنيـا ومـا قبلهـا ومـا بعدهـا!! تصـور أن جـدي هـذا أنـا لسـت حفيـده. ذلـك العظيـم الوحيـد لسـت لـه الخليفـة الحقيـق. هـو ليـس لي. وأنـا لسـت لـه. طيـب هـو ليـس حتـى لـه، وأنـا لا أعـرف إن كنـتَ لي أم لا؛ إذن، يبـدو أن معضلـة التفـكك العائـلي تلـك تضربنـا منـذ أول زوجـين فكـرا أن ينامـا!

نحـن مُرَوَّضُـونَ بشـكلٍ عجيـب. مَـن الوغـد الـذي فعـل الفعلـة الخسيسـة هـذه وكيـف ومتـى؟ مـن الـدنيء الـذي سـاعده في اخـتراع فكـرة السرير، واختـلاط السـوائل والروائـح، والتحـام الجسـوم!!

في درسـه أيضـا قـال: ذلـك ليـس منكـم هـو عطيـة، ليـس مـن أعـمال كـي لا يفتخـر أحـد. هأنـذا واقـف عـلى البـاب أقـرع. إن سـمع أحـد صـوتي وفتـح أدخـل إليـه وأتعشـى معـه وهـو معـي. أراهـم أيضـا نفسَـه حيًّـا ببراهـين كثـيرة بعدمـا تـألم. ظـل يقـول:

أنا هو الطريق الوحيد والحق والحياة.

ولأن أجرة الخطية هي موت. «لأنه «هكذا أحب الله العالم

الله قـدوس .. الإنسـان خاطـئ .. وهنـاك هـوة عظيمـة تفصـل بـين الاثنـين؛ حتـى بـذل ابنـه الوحيـد لكـي لا يهلـك كل مـن يؤمـن

به؛ بل تكون له الحياة الأبدية، أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل.

آها..

حين تمتلىء الأحداث باللاأحداث؛ أعتقد يحق لنا السؤال كيف سيصير إذن حال كل الحاجات؟!

ههنا، وإلى الخبراء الاختصاصيين، لاسيما أصحاب الدرجات الأكاديمية والمرتبات العلمية؛ لا شيءَ أَبَدًا إذا نظرتم لأنفسكم جيدًا أولًا، وإلى من حولكم مثلما ينبغي. كذلك، فضلا - أعزائي - لا تَغْتَرُّوا بقُفَّة أوراق ورموز وألقاب، وبضعة تصورات زَنِيمَة!

المهم، بعيدا من سائر غباء العالم وكل ماسات الدم وكاسات الخواء وصوامع التعريفات، وكذلك اللغة الرنانة والعناوين الصفراء والمصطلحات المثلجة والجمل المتزحلقة وإعلانات التوظيف والتسوق - بعيدا بعيدا بعيدا،،

هل قلت إنها (رواية) «فرصة» للجادين فقط، من الأطفال الشباب الشيوخ؟!!!

(٣٨)

نحن: مُخْلِصُونَ بالطَّبْع. وخائناتٌ بالطبع الآخر.

أنا زهقت.

خلاص..

الحمار أبيض أو أسود وما بينهما

(ختم بداية القرار)

أو ببليوجرافيا الحاجات: وراقة الحياة، وثَبْتُ الإنسان فى بَظْر

ربـما يقولـون ليسـت الخاتمـة قويـة بـما يكفـي أو منطقيـة أو جيـدة. ومـا أدراكـم أنتـم بـأي شيء!

(الكامـيرا تقطـع بـين جيمـس وشـاهد قـبر لينـارد كويـن، وصـوت أغنيتـه يـروح ويجـيء بوضـوح تـارة وكصـدى مـتردد كثـيرا..

Dance Me To The End Of Love

Leonard Cohen

الكاميرا في حركة دائرية ناعمة تتصاعد مستعرضة كل مفردات الفصول السابقة بالتبادل مع فيديو الأغنية ولينارد كوين بين جميلتين إحداهما شقراء عن اليمين وبرونيت عن الشمال.)

كلما مر بأزمة في حياته حاول الاستدفاء بمقولات الفلسفة والأدب بأن الكتابة دواء، تطهير، كشف، بل تعرية، ضوء، صدر، ظهر، بطن، عملية ولادة، خلق، بعث، إماتة، إبداع من العدم، إبداع من الوجود، نشاط تنشيطي، لعبة تضاهيء الدنيا بكل لهوها بنا وفينا. لم يجد شاطئا للبحر الميت سوى قطع وشظايا وحفنات رمل تشبه غيرها. هي رمل، لا شيء يميزها غير أنهم قالوا هذا شاطيء ذاك البحر. شرع - رويدا - يسجل بلا ترتيب - كل ما يرد على ذاكرته وكل ما كان يحلم به وبعضا مما لا يتذكره أو يجرؤ على الاقتراب منه..

كلما كتب زاد همه ونهمه. لا يصدق ما يقولون، فعمد إلى قول إنه يكتب سيرته الذاتية. لا ليست سيرة ولا ذاتية. لا، بل سيرة ذاتية ليست بالضرورة لي. لم يصدق نفسه.. قال الأليق إعلان أنني أؤلف رواية كما يفعل الجميع.. (وحين المَدِّ أقول ديوان شعر أو لوحة أو أوبرا أو أوبيريت أو حتى مسرح عرائس أو عرض أراجوز جدع).

كلما ظن أنه انتهى شعر بحاجة إلى استئناف العمل، وفي الآن ذاته حاجة إلى بتره في أوقات معينة وأماكن محددة.. (أعتقد وقت الهجرة سأقول هي مجرد طلب لجوء، أو صداقة!) .

لما استبد به الملل والكلل، رغم طُعُومِ مُتَعٍ متقطعة، قال فلأنتهِ مما أفعل بأي شكل.. الحياة ذاتها ليست بتلك الدقة، أو الدأب الزائد على الحاجة. كل ما فيها ومن فيها يَعرف ما يفعل وأين وكيف ومتى ولا يشترط لِمَ.. بل حتى لا يشترط أن يَعرف.. سنن كونية؟ قوانين طبيعة؟ منطق؟ حقيقة؟ عقل؟ علم؟ معرفة؟ ثقافة؟ حضارة؟ دين؟ قيم؟ مباديء؟ أخلاق؟ تعاليم؟ لوائح؟ علة؟ تاريخ، جغرافيا، ديموغرافيا، معادلات، توازنات، الأواني المستطرقة، والأحداث المُسْتَنْطَقَة، والأناسيُّ المُسْتَحْمَقَة، والحيوانات المُسْتَنْهَقَة، والكائنات المُسْتَنْفَقَة.. ههه..

لو ظللتُ أنتظرُ الكمالَ المُفْتَقَدَ المُنْتَظَرَ أو النقصانَ العاديَّ المُتَوَقَّعَ، قد أموت. ربما لا أستطيع الكتابة. آه. أو ربما أستطيع الكتابة أسوأ، أفضل، لا أفعل هذا أو أفعل ذاك.. ظل يكرر ما سبق حتى تكاثر فيه تعب الرأس والنفس والروح والجسد، وفي لحظة حسم واستسلام، قرر ألا يكمل الكتابة، وأن يبدأ موسم الحصاد بمنجل، والتقاط الثمار بأسنان المشط..

كلما جمع الشذرات يعجبه شيء وساءته أشياء.. حتى أتم ذلك مرات ومرات لا يقدر على حصرها.. وصل إلى نتيجة أن يختار عشوائيا محاولة في المنتصف؛ لأنها - بتعبيره الدقيق - ستكون في بداية الغريزة، وانطلاق العنان، ونشاط الذاكرة المُسْتَحَاثَّة، وستجمع إليها نهاية جهد الجهد والاقتراب من تمام التمام وتناول المتاح مهما حدث.. لم تعجبه فكرته التي اطمأن إليها.

كلما ثقل الكلام، أو اشتهى أن يفيض بحكاية أخرى مهما كان ماؤها، أحسستُ أكثر بوطأة الحياة ومآلاتها الواقعة والمرتقبة والمُتَمَنَّاة، وافتقدتُ بشدة - حاجتي الأبدية - إلى الصمت..

ظل يستمع للمرة الـ«كم»، لا يتذكر، إلى أغنية **Meiko Kaji** الرقيقة الذابحة من هنااااااك - بلاد الشمس المشرقة:

Flower of Carnage - Shura No Hana

عـاد إلى تـردده بثقـة، فقـرر الاسـتمرار في الكتابـة بالتـوازي مـع بـدء الكتابـة مـن جديـد. وكانـت أول جملـة خطهـا:

لا شيء نهاية العالَم

ولا أحد.

نهايةُ العالَم: نهايتُه.

إذن، ينبغي أن أفعل ما يجب..

أبدأ من حيث انتهى -

«ما» انتهى.

هل أبدأ ؟!

أيكون صحيحا ما قلته في «فسخ الكائنات»:

لا تفعل الخير - إلا - إذا كان - خاليًا - من شر ؟!

لا أحـد قـد يهتـم بـك في الحقيقـةِ، ولا أنـت. يَبْقَـى لكنـه لم يَحـدُث. السـمكةُ التـي لا تُـؤْكَلُ قَطْعًـا تَمُـوت. الشـجرةُ التـي لا تَـشْرَبُ لا تَظْمَـأ. يَجِـبُ عـلى المـرءِ أَن يَكُـونَ طويـلا حتـى يَـرَى عُـرفَ الدِّيـك..

ثـم، مـا حكايـة الكتابـة هنـا منـذ قليـل: (لا تَبـدأِ الخطـأَ حتـى تُنْهِـيَ الصـواب) ؟!! صدقـوني؛ لا يعـرف الإنسـان نفسـه إلا بعـد.. نعـم، يبـدو أنـني أفتقـد بشـدة قاتلـة - حاجتـي الأبديـة - إلى الصمـت.. والمَشْي!

تنهـد. عـاد إلى بعـض صفحـات الإنترنـت المهمـة جـدا جـدا جـدا أحيانـا؛ التـي لم يسـعفه وقتـه وطاقتـه زمنـا ليقرأهـا؛ فأبقاهـا عـلى وضعهـا مفتوحـة عـبر محـرك البحـث العـامِّ الشـهير. (هـذه راحتـه الحقيقيـة المنتظـرة - ووجـوده الحـي المتلـذذ ببهجـة البلـوغ الواصـل حـدود الحـدود - في رأيـه عـلى الأقـل عـلى مـا يعتقـد حتـى الآن - إلى حـد مـا، وإلى حـين ..) . كانـت تلـك الصفحـات في المعظـم روابـط لموضوعـات علميـة وفلسـفية وأدبيـة وفنيـة ونقديـة ثقافيـة وغيرهـا كلهـا. ولمـا آن أوان اضطلاعـه عليهـا، وبهـا - وعندمـا صَـحَّ منـه العـزمُ أخـيرا وبشـدة تقريبـا؛ وكلـما وقـع عـلى «صفحـة» - ظهـرت لـه هـذه الرسـالة الأنيقـة -بشـكلين:

(بالمناسـبة؛ حـين عـرف أنهـما ليسـا شـكلا واحـدا فحسـب شـكر الكـرم ..

Oops!

Things we can`t find:

The page you`re looking for.

Things we have found:

Please accept our apologies.

Hopefully these links will get you on your way.

Oops!

Things we can`t find:

The page you`re looking for.

Things we have found:

Please accept our apologies.

Hopefully these links will get you on your way.

التواصل مع داركتاب

Email : darkitabone@gmail.com

fasbook : darkitabone

٠١٠٩٧٥٥٣٣٢٨